1004

روايات عبير

سلسلة قصص وروايات

Harlequin

دار النحاس

الزفاف القاتل

شارلوت لامب

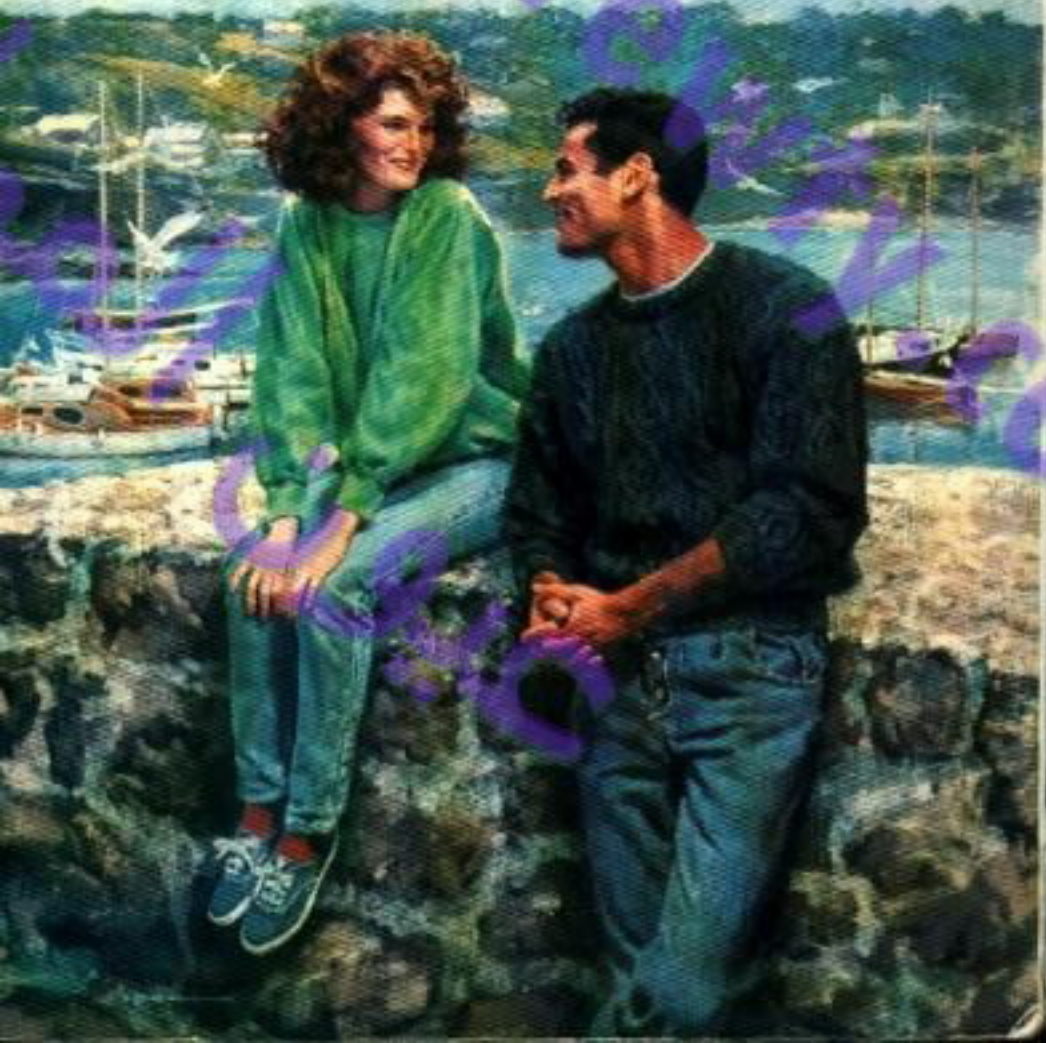

«يجب أن أنجب وريثاً»

حدقت جولييت بسايمون، شاحبة الوجه. كم اضطرب عقلها بعد أن أدركت ما أرعبها - يريدها هي أن تحمل طفله.

لقد أرغمت على الزواج من سايمون عندما كانت في السابعة عشرة، لكنها هربت بعد ليلة زفافها المشؤومة. لقد استغرق الأمر ثمانية أعوام ولكنها استطاعت أخيرا أن تضع كل الأحداث خلفها- ولكن كان يجب عليها أن تدرك أنها لن تستطيع أن تهرب إلى الأبد.

الآن وجدها سايمون- وكان يسألها أن تقوم بالمتسحيل. إنه بحاجة لوريث- وادعى بأنها الطريق الوحيد ليرث المزرعة. ولكن كيف بامكانها ان تنجب طفلاً إلى العالم وأبواه لا يحبان بعضهما بعضاً- أو هل يحبان بعضهما بعضاً؟

www.rewity.com

فُتح الباب وبان ظلٌ

لاحت خطوط شكل طويل على الثلج الأبيض الذي انعكس الضوء عليه بشكل غريب. انها خطوط شكل رجل.

صرخت جولييت واستمرت بالصراخ عندما اقترب أكثر وأكثر.

«من أنت؟» همست جولييت، ولكنها عرفت من هو. مد يده ليضيء النور وصرخت بخشونة: «لا، لا تضيء النور!»

«هل تخشين مواجهتي، يا جولييت؟» سأل بصوت جليدي ساخر وردت عليه بغضب.

«لا!»

ضحك برقة: «لقد تغيرت، أنت تعلمين ذلك. عندما كنتِ في السابعة عشر ،كنتِ هزيلة بكل ما في الكلمة من معنى، جسدك كان مثل جسد ولد، بطنه ملتصقاً بظهره...» توقف لبرهة وكان صوته ساخراً، «لا أحد يستطيع أن يصفك بذلك الآن.»

الفصل الأول

كانت جولييت نيوكم على وشك أن تغادر شقتها عندما رن جرس الهاتف، وترددت في الإجابة لأن يوماً طويلاً من العمل بانتظارها. وبما أنه ليس من السهل عليها تجاهل إلحاح الرنين، تنهدت وعادت لتجيب. فاذا بها تسمع صوت والدتها تقول باندفاع: «جولي؟ هذه أنا، أنا سعيدة لأنني وجدتكِ. لقد أعتقدت أنكِ في طريقك إلى العمل. أما أنا فلو أردت آخذ قطار لندن، فيجب عليَّ أن أذهب الآن وبعدها سوف تأخذ الطريق سنوات من محطة السكة الحديدية إلى هيثرو... آه، حقاً أنا أكره السفر.»

قالت جولييت عابسة: «اهدئي يا أمي، عما تتكلمين وإلى أين أنتِ ذاهبة؟» أجابت مضطربة.

«حسناً، كل ما في الأمر أنني فقط سمعت نفسي هذا الصباح... حسناً، الليلة الماضية، حسناً، في منتصف الليل.»

ولكن ارتباك شيرلي مندلي لم يدهش ابنتها التي كانت معتادة على مثل هذا الأمر. إنها إحدى المزايا التي كانت جولييت تشعر بالفرح لأنها لم ترثها عن أمها، كانت تعرف أنها تشبه والدتها كثيراً: إنهما طويلتا القامة، نحيفتا الجسم، لهما شعر كثيف كستنائي، وعينان زرقاوان تتمتعان ببشرة حسنة ووجه بيضاوي الشكل. ولكنهما مختلفتان إختلافاً شديداً في الطباع. فجولييت كانت هادئة وقديرة بينما كانت شيرلي مندفعة وغير عملية.

وسألت جولييت والدتها بصبر: «ماذا أسمع؟» ولكن كان لزاماً عليها أن تتذكر أنه ليس باستطاعة أحد أن يوقف تدفق كلام أمها.

فشيرلي أرادت أن تخبر القصة وفق طريقتها الخاصة - وإذا قاطعها أحد فإنها تضيع.

قالت شيرلي بحزن: «أنا أحاول إخبارك! جولييت، أرجوكِ اصغي، لقد اتصلوا في الثالثة من هذا الصباح الذي بدا وكأنه منتصف الليل. كنت شبه نائمة عندما رفعت سماعة الهاتف. بالطبع كل شيء كان مقفلاً في ذلك الوقت ولم أستطع أن أحجز تذكرة سفر. فعدت إلى فراشي. ولكنني لم أستطع النوم. ثم نهضت مرة ثانية وحزمت حقيبتي وتأكدت من أن كل شيء على ما يرام. وحجزت على أول طائرة متاحة للسفر إلى إيطاليا...»

«إيطاليا؟ إنه جورجيو؟ هل ألم به مرض؟» سألت جولييت وملامح الجدية طغت على وجهها بعدما فهمت ماذا في الأمر.

جورجيو، زوج أمها، موجود في إيطاليا في مهمة شرائية لعدة أسابيع. وهذه المهمة يقوم بها مرتين في السنة من أجل مخازن يملكونها معاً. إنهم يبيعون أحذية مصنوعة باليد، أحضرت من بلدان متعددة وإيطاليا كانت من أهم مواردهم الأساسية. لقد تحدثت جولييت إليه صباح الأمس وكان في مزاج رائع، ولذلك اعتقدت بأن أي خطب لابد وأن يكون قد حصل فجأة.

«لقد اعتقل!» أجابت شيرلي بطريقة درامية. فصدرت عن جولييت شهقة تنم عن صدمتها وعدم تصديقها لما سمعت.

«اعتقل؟ جورجيو؟ ولكن لأي سبب؟» فهو آخر رجل تتوقع منه أن يخالف القانون لأنه بكل بساطة لم يكن من ذلك النوع: أحب الحياة الحسنة، وكل ما عاش لأجله هو الحياة العذبة: ملابس جميلة وبيت مريح وسيارة جيدة وطعام شهي. قليل من الشراب وسيغار بعد وجبة الطعام. وجولييت تراه واحداً من أسعد الرجال. فهو فوق الستين من العمر وما يزال وسيماً ذا شعر فضي، وعينين سوداوين؛

بشرة برونزية رائعة وأسلوب ساحر ومحبب. كانت تدرك بأن أمها تحبه لدرجة العبادة وهو بدوره كان يبادلها هذا الحب.

فأجابت شيرلي وهي تنوح: «آه، أنا لا أعرف يا جولي، لا أقدر أن أستنتج شيئاً. لقد تحدثت في البداية إلى رجل شرطة قال شيئاً عن اعتداء بحادث سير. كانت لكنته حادة، ولكنني عندما سمعت تلك الأخبار صدمت ولم أعد أنكر شيئاً عن اللغة الإيطالية - فلم أفهم نصف ما قاله. بعدها سحبوا لي بالتحدث لبرهة من الوقت إلى جورجيو. وكل ما قاله هو أنه بريء ولم يقم بذلك. كان حزيناً. لقد تحطم - أنتِ تعرفين ما هو جورجيو.»

«لا أعرف أنا؟» سألت جولييت وهي تبتسم بأسى لأن جورجيو كان واحداً من الرجال الذين يحتاجون إلى امرأة تلتزعاهم. أمه كانت من صقلية قاسية ومتسلطة. أنجبت احد عشر طفلاً معظمهم من البنات، أحبتهم بتملك، وحكمتهم بعصا من حديد. لهذا السبب ساس جورجيو الأمور ليصل إلى الخامسة والأربعين من العمر دون زواج. وأمه لن تسمح بهذا الأمر. ابنها الآخر، وهو الأكبر، تزوج من فتاة اختارتها بنفسها، اما جورجيو، طفلها الأصغر، فهو المفضل لديها ولذا لن تسمح بأن يفلت زمام الأمور من يدها. ومن جهته، كان جورجيو محباً ولا يسمح لنفسه بأن يعارضها أو يؤذي مشاعرها.

وبموتها تحرر جورجيو وتزوج من المرأة التي التقاها بعد ذلك. والمفاجيء في الموضوع أنه تزوج من امرأة أجنبية سائحة. وزواجهما كان مذهلاً وغير متوقع. وكان من المنتظر أن يشكل كارثة ولكن، بخلاف ذلك، أثمر نجاحاً باهراً. وبعد خمسة عشر عاماً ما يزالان سعيدين.

قالت أمها: «أنت تدركين أنه يجب عليّ أن أكون إلى جانبه في أسرع وقت ممكن!»

«بالطبع ـ مسكين جورجيو! يجب أن يكون في حالة هادئة. هل تريدين أن أذهب إليه أنا أيضاً؟ سوف أقوم ببعض الترتيبات لهذا اليوم، ولكن هذا لن يكون صعباً. أستطيع أن أحجز على طائرة عند الأصيل، لا بد من وجود طائرة حتماً...»

«لا، لا يا عزيزتي، أستطيع تدبر الأمر بنفسي. أفضل أن تبقي هنا لأنني قد أحتاج ـ بعض الأموال أو مساعدة قانونية ـ وعندها أتصل بك. فلا نستطيع أن نغادر ثلاثتنا وقد يحدث شيء في العمل يستدعي حضورنا.»

ابتسمت جولييت مستاءة وقالت: «آه، أعتقد أن الأمور لن تكون ثابتة لعدة أيام ولكنني سوف أقوم بكل ما تطلبين مني. أنت تعلمين ذلك. هل أستطيع أن أقوم بأي شيء الآن؟»

«شيء واحد فقط ـ هل تستطيعين أن تذهبي إلى الكوخ في عطلة نهاية الأسبوع للتأكد من أن كل شيء على ما يرام؟ ففي ذلك الوقت يجب أن يكون العمال قد أنهوا العمل في توسيع المطبخ ـ أعني عليك التأكد من أنهم أنهوه كما يجب. السيدة كوتمان التي تأتي لتنظيف الكوخ، سوف تراقب العمال ولكنها ستذهب إلى ليدس لأن ابنتها وضعت طفلاً. وهكذا فأنا لا أعرف في أية حال هو الكوخ وهذا الموضوع يقلقني. فإذا كنت تستطيعين...»

«بالطبع أستطيع! اليوم الخميس أليس كذلك؟» تساءلت جولييت وهي تحدق إلى الحائط محاولة أن تراجع خطتها لعطلة نهاية الأسبوع ثم أضافت: «لا شيء مهماً عندي لنهاية هذا الأسبوع.» لديها فقط موعد مع الرجل الذي كانت تراه في الوقت الحاضر ولكن من الممكن أن يُؤجل، لأن راحة أمها أهم. «انظري، سوف اقصد المكان ليلة الغد. تذكري، إذا أردت الإتصال بعد

الخامسة، سوف أكون في طريقي إلى الكوخ، فانتظري قليلاً واتصلي بي بعد التاسعة.»

«آه، يا عزيزتي، إنها مسافة طويلة لقيادة السيارة. هل أنت متأكدة من أنك لا تمانعين؟»

«متأكدة تماماً! في الحقيقة سوف آخذ يومي راحة من لندن.» قالت جولييت محاولة إرضاء أمها ثم أردفت: «لا تقلقي اهتمي أنت بجورجيو وبلغيه حبي، وتأكدي من توكيل أفضل المحاميين له. عندما تصلين مباشرة اتصلي بالأخوان لازوار ـ فهم قد عرفوه لعدة سنوات، إنهم أصدقاء صالحون ويحبون المساعدة. وابقي على اتصال يا أمي. هل ستفعلين؟»

«بالطبع يا عزيزتي، سوف اسرع وإلا لن أدرك الطائرة... الوداع، سوف أحدثك قريباً.» وصفت شيرلي مندلي سماعة الهاتف، وابتسمت جولييت باستياء وهي تغلق الخط. كان ينبغي لها أن تذهب مع أمها لأنها تخاف وتضطرب، مع أنها تتكلم اللغة الإيطالية العامية بطلاقة، وذلك بعد قضائها كل تلك السنين مع جورجيو، فمن المحتمل أن تنسى كل ذلك إذا واجهها ظرف مقلق. ترددت جولييت، ثم قررت أن تنتظر لترى كيف تكون حالة أمها عندما تتصل مرة ثانية. وإذا لم تقدر أمها على التحمل فسوف تتصل بجولييت هذه الليلة من دون شك، وعندئذ تأخذ جولييت الطائرة التالية إلى ميلانو وتكون إلى جانب أمها.

وبما أن لديها يوماً طويلاً من العمل وعليها زيارة ثلاثة مخازن في لندن، حاولت أن لا تفكر في والدتها ولا في جورجيو، في الوقت الحاضر. وخرجت إلى المرآب المجاور للمبنى الذي تسكن فيه لتأخذ سيارتها الصغيرة الحمراء. إنها آلة مفيدة: تستطيع جولييت أن تحمل كميات كبيرة من البضائع في الصندوق

الخلفي إذا اقتضت الحاجة. وهذه السيارة لا تأخذ مكاناً كبيراً إذا أرادت إيقافها في أحد شوارع لندن المزدحمة.

إنه لشيء مثالي أن تكون جولييت عملية في اختيارها للسيارة تماماً كما هو مثالي أن تطلق شيرلي إسماً رومنطيقياً على ابنتها الوحيدة. جولييت كرهت إسمها، لاتحب أن يسخر الأولاد منها في الصف وفي كل مكان ذهبت إليه، في المدرسة تستقبلها تحية من أغنيات بصوت عالٍ وصرخات: «روميو، روميو. أين روميو؟» و«جولييت من أنزلك عن الشرفة؟» ولحسن حظها فإن معظم الناس في الوقت الحاضر ينادونها جولي.

إلا والدها، وقطبت جبينها وهي تتذكر أنه كان يناديها باستمرار جولييت. وهو بطبيعته عنيد ولا يذعن أبداً في هذا الموضوع كما في أي شيء آخر. إن عقل جاك نيوكم قد صُب في قالب من الإسمنت منذ زمن بعيد قبل ولادتها. ولم يتغير منذ أن عرفته. ومن دون شك لن يتغير أبداً. وكثيراً ما تساءلت لِمَ تزوجت منه أمها.

كان السير خانقاً في ذلك الصباح. وكانت الساعة التاسعة عندما وصلت جولييت إلى محطتها الاولى وهي مخزن «بوند ستريت.» أوقفت سيارتها في الزقاق الخلفي ولكنها استدارت لتتفحص الإعلان الملصق على النافذة وهي واقفة على الرصيف ورأسها يميل إلى جهة واحدة. نعم، إنها تلفت النظر، ومن مظهرها تبدو أنها كلفت الشيء القليل، ولكنها علاوة كبيرة.

ابتهجت جولييت بألوان الربيع المكونة من اصفرار النرجس واخضرار الأوراق وزرقة السماء. فمجرد النظر إلى هذه الألوان يبهج القلب. وقد أحدثت زخرفة الواجهة تأثيراً مغرياً يتكون من غيوم من الحرير الوردي والقليل من أغصان زهر التفاح

الإصطناعي، بالإضافة إلى خلفية للأرض لونت بشكل باهر. ويبدو الحذاء الرقيق المصنوع باليد وكأنه يطفو فوق الغيوم وبين الزهر - حتى يشعر الناظر اليه بخفة الهواء وبالفرح لانتعاله.

الفتاة الجديدة هي هوبة! ويجب أن يحتفظوا بها. فكرت جولي بأن تطلب من المديرة منح هذه الفتاة علاوة صغيرة. وقد أخبرها جورجيو عندما بدأت بإدارة مخزنها الأول، أن توظيف عامل موهوب وفق المرتب غلطة يجب تفاديها. ولكن بمجرد التفكير بزوج أمها عضت جولييت على شفتها وتساءلت عما يمكن أن يكون قد حصل؟ فهو لم يكن سائقاً مهملاً، بل بخلاف ذلك كان خبيراً وماهراً.

«هل من خطب؟»

جعلها هذا الصوت تقفز وتستدير، ولكنها هدأت عندما رأت المرأة الشابة تقف إلى جانبها وقالت: «آه، مرحباً يا ساندي. آسفة، لقد شردت في تفكيري.»

«لقد أعتقدت بأنك تكرهين لوحة الحرض هذه!»

«لا! بحق السماء، أنا أحبها.» قالت جولييت وعندها صدرت عن ساندي كارتر همهمة تنم عن ارتياحها. وعاد اللمعان إلى عينيها البنيتين ثم قالت:

«آه، حسناً! أنا نفسي سررت بها. لقد صنعتها كارين، الفتاة الجديدة، إنها جيدة ألا تعتقدين هذا؟»

فهزت جولييت رأسها موافقة: «إنها جيدة جداً. في الحقيقة كنت في هذه اللحظات أقرر أن أمنحها زيادة. يجب أن نحتفظ بها. إنها فتاة واعدة أكثر من كل العمال الذين حصلنا عليهم منذ سنوات.»

«سوف أبذل جهدي لإرضائها.» وعدت ساندي وابتسمت جولييت لها.

«وجهدك شيء رائع!»

تقوم ساندي بإدارة المخزن منذ عدة سنوات، وهي حسنة في عملها. الموظفون والعملاء يحبونها، وهي جديرة في العمل. هذا الفرع سار بشكل منتظم منذ أن أشرفت ساندي على العمل فيه.

نظرت ساندي إلى جولييت مسرورة بالتعليق الذي سمعته، ومشيتا معاً كصديقتين من أمام المخزن إلى مكتب ساندي الصغير. ابتسمت جولييت إلى الفتاتين المشغولتين في تثبيت أربطة الأحذية، ولكنها لم تتريث للتحدث إليهما وشرحت قائلة: «لدي الكثير من الأعمال للقيام بها اليوم، يا ساندي. سوف أقوم بعمل والدتي بالإضافة إلى عملي لأنها اضطرت، إلى السفر إلى إيطاليا - فقد حصل أمر ما لجورجيو...»

بينما كانت جولييت تخبر ساندي عن اتصال والدتها ذلك الصباح، كانت ساندي تصغي وتحدق غير مصدقة، تماماً كما كانت ردة فعل جولييت. وعبرت ساندي عن عدم تصديقها ما سمعت فقالت: «جورجيو من بين كل الناس! لا يمكن أن يكون قد ثمل؟ أنا أعرف أنه يحب شرب قدح من الشراب، ولكنه لا يفرط في شربه. أليس كذلك؟»

ووافقت جولييت قائلة: «جورجيو ليس مفرطاً في هذا الأمر وقد يكون هذا هو السبب في اتفاقه مع والدتي. ولكن رجلاً هانئاً مثل جورجيو يستطيع أن يتآلف وتقلبات مزاجها.»

«كيف أن والدك...» بدأت ساندي بالحديث، ثم ترددت لأن جولييت نادراً ما كانت تتحدث عن والدها ثم أضافت ساندي: «أنا آسفة، هذا ليس من شأني!»

قالت جولييت ووجهها يعبر عن استيائها: «آه، هذا ليس سراً. أبي لم يفهم أمي أبداً وهي كانت تقوده إلى

الجنون. أنا أتصور أن زواجهما كان أشبه بكارثة منذ اليوم الأول.»

لم تكن جولييت لتخبر أحداً بهذا الأمر، ولكن ساندي كانت صديقتها الأشد قرباً منها: لقد عرفا بعضهما البعض عندما كانتا تعملان في مخزن «أكسفورد ستريت» قبل سبع سنوات. في ذلك الوقت، كانت جولييت خجولة وغير سعيدة، ولم تكن مستعدة لأن تبني علاقة صداقة مع أحد مالم يقم بمعظم العمل. ولكن ساندي مختلفة. فقد كانت مرحة وودودة. وكان الإنسجام شيئاً سهلاً عليها حتى تعين على جولييت أن تعرفها دون أن تدرك ذلك.

إلاهة الحب والجمال عند الرومان - فينوس صغيرة تزوجت من تاجر كثير السفر، وفي أغلب الأحيان يغيب لمدة نصف أسبوع، وهذا ما تكرهه جولييت بينما ساندي تظهر أن ذلك الأمر لا يزعجها كثيراً.

كانت دائماً سعيدة لرؤية زوجها عائداً، وعندما يكون غائباً لا تبدو عليها إمارات التعاسة، ربما لأن عملها يأخذ كامل وقتها، وأصدقاءها كثيرون. تعيش ساندي مع زوجها في مبنى حديث يتألف من مجموعة من الشقق التي يسكنها شبان وشابات ليس معهم أطفال. سرعان ما تعرفت ساندي على معظمهم، مما أتاح لها حياة إجتماعية ممتلئة، وبالإضافة إلى ذلك، فقد أبرزت ساندي نجاحاً باهراً في عملها. وتمنت جولييت أن تبقى معهم في العمل.

المشكلة كانت في سلسلة المخازن: فهم يملكون ستة مخازن في ضواحي لندن، مع أن فرعاً جديداً قد أفتتح حديثاً في مانشستر. ولتسيير العمل والإشراف على تقدمه، انتقل جورجيو وشيرلي إلى هناك. إذا أثبت العمل نجاحاً مرموقاً، فإنهم عازمون على فتح مخزن جديد في السنة المقبلة. ولكنهم لن

يستطيعوا دفع أموال كثيرة بنسبة ما تحتاجه سلسلة أكبر لمنح ساندي علاوة، ولكن إذا استمر توسعهم، يوماً ما، فلابد أن يفسح المجال لساندي لكي تنال ترقية بنقلها إلى مركز إداري أعلى. كانت جولييت تدرك أن هذا ما أرادته ساندي، ولكن كان نوعاً من الأحلام المستقبلية وليس من المحتمل أن يتحقق في سنوات قليلة قادمة لأنهم لن يجازفوا بالتوسع إلا عندما يصبح الأمر أسهل لاستلاف أموال بنسبة فائدة تناسبهم.

فيما كانت جولييت غارقة في التفكير سألتها ساندي: «أنتِ لاترين والدك؟ أليس كذلك؟» جفلت جولييت من المفاجأة.

ولكنها هزت رأسها وقالت بفظاظة: «لا.» ثم جمعت بسرعة أوراق حسابات الشهر السابق التي كانت موضوعة على المكتب وقالت وعيناها على صفوف الصور الصافية: «حسناً يا ساندي، يجب أن نتابع عملنا! أنا آسفة، عليَّ أن أقوم بعمل أمي بالإضافة إلى عملي. فقد طلبت مني أن أذهب إلى كورنوول في نهاية هذا الأسبوع. لقد أمرت بإنهاء بعض أعمال البناء في الكوخ، ولم يكن لديها المجال لمراقبة هذه الأعمال فوعدتها بأن أتفقد المكان غداً.»

سألت ساندي بدهشة وذهول: «تذهبين؟ ولكن سوف تستغرق الطريق ساعات! والطقس حتماً جليدي في تلك المنطقة.» جعلت ساندي منطقة كورنوول تبدو وكأنها منطقة القطب الشمالي، مما جعل جولييت تضحك.

«أنا لا أستطيع القول إنني أتمنى قطع تلك المسافة، خاصة يوم الجمعة، وبعد أسبوع كامل من العمل، ولكنني لا أريدها أن تقلق على المنزل بينما هي قلقة على وضع جورجيو.»

«لكن ألستِ ذاهبة إلى حفلة راقصة مع آدم؟»

فأجابت جولييت مقطبة الوجه: «أجل، وأنا لا آمل أن

أطلعه بعدم استطاعتي الذهاب معه.»

«ألا تستطيعين أن تقصدي كورنوول وتعودي في موعد الحفلة الراقصة؟»

«لا، عندي بعض التعليمات المهمة: لا أستطيع إلغاءها، وفي أية حال أريد أن أكون على مقربة من هيثرو، في حال اتصلت أمي وقالت انها بحاجة إليَّ في ميلانو. حتى ليلة الغد تكون قد تبينت حقيقة الموقف.»

هزت ساندي رأسها في تعاطف مع جولييت وقالت: «نعم بالطبع. آه، حسناً، آدم سوف يفهم أن العائلة تأتي في المرتبة الأولى.»

ابتسمت جولييت إبتسامة ساخرة وقالت: «لنأمل ذلك. ولكنها حفلته السنوية وكل رؤسائه سيحضرون. وآدم يود أن يعطي انطباعاً جيداً. حتى أنه حضر معي لشراء ثوب ليتأكد من أنني سأبدو رائعة ومختلفة، ولهذا لن يكون مسروراً عندما يعلم بأنني ذاهبة إلى كورنوول بدلاً من الحفلة. ولكنني لا أعرف كيف سأعود ليلة السبت. سأكون منهكة القوى بعد قيادة السيارة في تلك المنطقة. فأنا أشك في قدرتي على العودة مباشرة.»

فأجابت ساندي مؤيدة جولييت في رأيها: «لا، لن تقدري.» وعندما تكلمت جولييت إلى آدم يورك في ذلك المساء لم يكن متفهماً على الإطلاق. في الحقيقة، كان غاضباً، احمر وجهه وتجهم وأخذ الشرر يتطاير من عينيه:

«لا يمكن أن تكوني جادة! يجب أن تأتي، لأني لا أستطيع أن أذهب إلى الحفلة الراقصة وحيداً. سوف يعتقد الناس أنك تخليت عني، سوف أبدو مغفلاً!» لا شيء يزعج آدم أكثر من أن يبدو في مظهر المغفل. وكانت جولييت تعرف ذلك وهي تنظر إليه بأسف. فقد أدركت أن كرامته تعني له الشيء الكثير. إنه رجل من خلفية

فقيرة ارتقى سلم النجاح بسرعة كانت تصيبه بين الفينة والأخرى بدوار يدع رأسه عائماً يخشى السقوط وكان في حاجة إلى الشعور بالراحة مما يجعله في سيطرة تامة. فلقد استعمل الكرامة كدرع. وما جنبها إليه هو داخله الغامض المشكك، وفي الحقيقة فإن هذا لن يسر آدم لو هي أخبرته ذلك. قد يكون عديم الحيلة ورائعاً، عندما يكف عن التظاهر بأنه كبير ورجل أعمال خطير.

«أنا آسفة يا آدم. أعرف كم يعني هذا الأمر لك. ولكنها مسألة أولويات...»

فتجهم وقال غاضباً: «إنني أفهم. أنا الآن في المرتبة الثانية بعد منزل والدتك. الست كذلك؟»

«ليس هذا ما عنيت.»

«بلى، لقد عنيت. لقد طلبت منكِ والدتك أن تقودي السيارة مئات الأميال لتفقد بيتها، ولذلك صرفتِ النظر عني وعن موعدنا من دون إعادة النظر في الموضوع. حتى أن أعمالي لا تهمك في شيء أليس كذلك؟ لقد شرحت لكِ الأمر مراراً وتكراراً كم هي مهمة هذه المناسبة... المسؤول سيحضر! إنه دائماً يراقص أجمل فتاتين

- وقد يختارك أنتِ.»

تمتمت جولييت: «وقد لا يلاحظ وجودي إبداً!»

فتراجع إلى الخلف قائلاً: «زوجات ورفيقات الإداريين دائماً يُلاحَظْنَ! وكلما ارتقى المرء في المجتمع زادت الأهمية في أن تكون المرأة لائقة لتُقدَّم في هذا المجتمع.»

كانت جولييت تغلي من الغضب، وقد أصطبغ وجهها بلون وردي: «آه، شكراً. فإذاً هذه هي أنا أليس كذلك؟ امرأة تصلح للتقديم في المجتمع. أنا لست من املاكك يا آدم. ولا تستطيع أن تعرضني لكي يثمنني رئيسك مرة في السنة. هل نلت علامات فوق

العشرة؟ كيف تقدرون قيمة الأشياء؟ علامة للملابس؟ علامة للسيقان الجميلة؟ وعلى أي شيء آخر تقدرون قيمة المرأة؟ سوف تطلب مني أن أطهو وجبة طعام للجنة المدراء، لتبرهن أنني أستطيع أن أطهو بشكل جيد أيضاً.»

«آه، لا تكوني سخيفة!» قال بنبرة عالية وهو يلوي قبضته وكأنه يريد ضربها، مع أنه كان مهذباً وتصرفه بعيداً كل البعد عن مثل هذا. ثم أردف قائلاً: «أنت تعرفين ماذا عنيت. إنه أمر مهم بالنسبة لي أن تكوني معي في هذه الليلة فقط من السنة. وما أطلبه ليس بكثير. أليس كذلك؟ سيحضر الجميع - المدير المسؤول ورئيس القسم الذي أعمل فيه، كل الأشخاص! لقد أخبرتهم عنكِ وهم يتوقعون حضوركِ...»

وألتقت نظراتهما ورأت جولييت تعابيره وهو مقطب الوجه. كانت تدرك أن آدم يفخر بها. إن شركة عائلتها تكبر وأخذت شهرتها تزداد مؤخراً. ولذلك نتيجة لتوسعهم إلى خارج لندن. وجولييت صديقة مفيدة لرجل طموح مثل آدم. وإذا لم تظهر معه في الحفل فإن كبرياءه وأنانيته سوف تجرحان. إذاً، الأمر ليس كن أشتياقه إليها؛ بل كان يريد أن يعرضها. فترددت، لا تعرف ما تقول. فقد كانت مغتاظة وتشعر بالأسف لأجله.

«ألا يوجد إمرأة أخرى تصطحبها إلى الحفلة؟» كان هذا اقتراحها! فأخذ ينظر إليها وكأنها قد أصيبت بالجنون.

«امرأة أخرى؟ هل أنت حقاً تريدين أن أصطحب امرأة ثانية؟»

بقيت جولييت صامتة، بعد أن أدركت المعنى الذي تحمله كلماتها. وشعر آدم بالإهانة كما لو اقترحت خيانة فظيعة - خيانتها. خيم صمت مشحون فيما كان يحدق أحدهما بالآخر وحاولت جولييت أن تقول شيئاً لتصلح ما أحدثته أو

بالأحرى لتصلح ما أفسد كل منهما.

كان آدم يتناول مع جولييت عشاء خفيفاً مكوناً من «كويتش» ساخن مع سلطة ثم فاكهة، فقام دافعاً كرسيه إلى الخلف بقوة أوقعتها أرضاً. ومشى إلى الباب برجلين جامدتين كطائر اللقلق. فتبعته جولييت وراقبته وهو يحمل المعطف الطويل الثمين. ارتداه واستدار إليها وهو يضع قفازيه الجلديين البرونزيي اللون.

وقال: «لا يوجد إي شيء يقال. أليس كذلك؟ إما أن تأتي إلى الحفلة الراقصة برفقتي، وإما لا، وكل شيء بيننا ينتهي. دعيني أعرف ما هو قرارك مساء الغد.» ثم فتح الباب الأمامي وتوقف برهة وهو يكابد حتى تبدو على وجهه ملامح التهذيب بدلاً من التورد غضباً. وقالت: «شكراً لك على العشاء - لقد كان شهياً.»

ولم يكد يغلق الباب حتى شعرت بضحكة هستيرية تجتاح حنجرتها. إنه من طبيعة آدم أن يصبح رسمياً ولطيفاً بعد أن يدلي لها ببلاغه النهائي. ثم توقفت عن الضحك وتساءلت: لِمَ لَمْ تدرك حتى الآن أنها لم تكن جادة في ما يختص بآدم وعبرت بحركة من فمها عن استيائها وامتعاضها. وتساءلت من جديد: ألم تكن تشعر بهذا من قبل؟ هل فكرت من قبل أنها جادة معه ملزمة بالعلاقة التي تربطهما؟ لقد انساقت إلى هذه العلاقة تدريجياً ولم تكن عازمة على أن تتورط بشكل جدي - ولم تصدق أن آدم يعتقد أنها جادة، أو حتى أن آدم نفسه كان جاداً.

جلست على السجادة أمام نار مدفأتها الكهربائية الصغيرة محاولة أن تجمع أفكارها نحو مشاعر آدم. ماذا كانت تعني بكلمة... جاد؟ ما كانت تقول؟ كان يحبها؟ هذه الفكرة جعلتها تقطب جبينها ثم ضحكت. لا، ليس هذا صحيحاً وآدم لم يكن يحبها ولم تكتنفه مشاعر كهذه ومن الممكن أنه قد قرر ذلك من دون شك

بعد تفكير عميق لأنها تلك هي طريقته في الوصول إلى أي قرار مهم؛ كان تمثل جولييت الزوجة المناسبة لموظف صاعد؛ وربما كانت هذه الطريقة الصحيحة للنظر في مسألة الزواج - كشركة وبعد كل هذا - ما هو دور الحب في علاقة كهذه؟

لا يوجد أي إنسان عاقل يتزوج من أجل الحب، لأنه ليس الأساس الصحيح لاختيار شخص للعيش معه، لتربية أطفال معه، أليس كذلك؟ جولييت لا تثق بالحب. الحب مشوش وقابل للانفجار في أية لحظة. فهو يجعل المرء سهل الأذى، ويخدعه ولا يدوم. وأسوأ من كل ذلك أنه يجعل المرء يشعر بالجحيم. لقد أحبت مرة وجرحها ما زال يؤلمها أحياناً وكأنه آثار جراح في معركة قديمة. ولم تعتزم أبداً أن تسمح بدخول الحب إلى قلبها مرة ثانية، ولحسن الطالع، فليس لديها أدنى خطر في أن تحمل مثل هذه المشاعر لأي شخص آخر.

لقد شعرت بالأمان مع آدم. أحبته ولكن ليس كثيراً. ولم يشكل تهديداً لمشاعرها مع أنه كان رفيقاً حسناً. فلديهما الكثير من الأصدقاء والجميع يشعر أنهما ثنائي جيد. وأصدقاؤهما وعائلتاهما استحسنوا هذا الأمر مع أنها تجاهلت الحقيقة حتى اليوم. وكان يجب أن تتكهن الموضوع من الإبتسامات والنظرات والتلميحات من أمها وأمه.

كيف حصل ولم تدرك اتجاه هبوب الريح؟ لِمَ بقيت عمياء كل هذه المدة؟ هل فضلت أن لا تعرف؟ لقد كان حسناً وجود رجل ليحميها ويعجب أمها وجورجيو. رجل يعرف كل أصدقائها ولديه أعماله الخاصة به. حتى يفهم متطلبات عملها - وهي تعترف بأنها أعجبت به.

ازداد عبوسها وعضت على شفتيها. نعم لقد أعجبت به

– ولكن ليس لدرجة أن تفكر بقضاء بقية حياتها برفقته. كانت عيناها الزرقاوان مضطربتين ولكن حصول مثل هذا الأمر حسن لأنه يشكل تحذيراً لها والآن عليها أن تتخذ قراراً مهماً. وبما أنها كانت تعبة جداً هذه الليلة، نظرت إلى ساعتها وقررت أن تنام وتتخذ القرار في الغد.

لابد أنها تعبة أكثر مما اعتقدت، لأنها نامت واستيقظت لتجد أن الساعة تجاوزت الثامنة، وأنها قد تتأخر عن موعد العمل.

إنها بداية سيئة ليوم شاق؛ يجب أن تسرع و تؤجل أية فكرة حول آدم، وإذا كانت سوف تنهي العلاقة بينهما أم لا. ولكن عندما كانت تقود سيارتها للخروج من لندن، متجهة غرباً على طول خط السيارات، اعترفت لنفسها بأن القرار قد اتخذ من دون حاجتها إلى التفكير. فهي لم تتصل بآدم، والسكوت كان جواباً بحد ذاته. فسوف يعرف ما يعنيه هذا التصرف. لو كانت اتصلت، لكان حاول إقناعها أو لكان ثار مجدداً من الغضب. وقد كانت تعبة ولا تستطيع مواجهة ردة فعله في كلتا الحالتين. آدم لن يجد صعوبة في إيجاد رفيقة يصطحبها معه. مع أنه لم يكن وسيماً، إلا أنه كان جذاباً. إنه رجل طويل القامة، نحيف الجسم، وجهه نحيل، شعره ناعم بني اللون وعيناه زرقاوان. أحياناً يصعب عليها تذكر تقاسيم وجهه. صحيح أن آدم لم يكن بارزاً ليذكر بسهولة، إلا أنه أنيق وملفت للنظر. وجولييت تدرك أن فتيات كثيرات يعجبهن آدم، لذلك أعتقدت بأنه سوف يجد رفيقه بسرعة.

فكرت وهي متجهة بأنها ستفتقده. لقد مر على تعارفهما عدة أشهر وقد أصبحت معتادة على لقائه.

آه، حسناً. تنهدت، وحاولت أن تركز على الطريق. يجب أن لا يأسف المرء على ما لا يستطيع فعله. والحياة ليست سهلة. الطريق

ليست مزدحمة، والأخبار التي وصلتها من إيطاليا بعد ظهر ذلك اليوم كانت مطمئنة وخوف أمها قد زال؛ جورجيو تورط في حادث والإتهام وجه إليه. لكن المحامين وجدوا شهوداً أقسموا أن المسؤول عن الحادث هو السائق الآخر. وسيعود جورجيو وشيرلي إلى البيت في الأيام القليلة المقبلة.

وبعد فترة، بعد أن قطعت خط المقاطعة إلى ديفون، أسترقت نظرة إلى الساعة فأدركت أن الوقت غير متأخر كثيراً. جولييت لا تستمتع بقيادة السيارة لمسافات طويلة خلال الليل. إنه شهر آذار والطقس يتحول إلى الأسوأ في فترة ما بعد الظهر. لا غيوم في السماء، رياح ثلجية تهب من الشرق. كانت تقطع سبعين ميلاً في الساعة وبهذه السرعة تستطيع أن تصل إلى الكوخ قبل التاسعة. فعزمت على عدم التوقف لتناول الطعام لأن الكثير من الطعام موجود في الكوخ، إما معلب أو مجلد. وسوف يسرها أي شيء تجده.

لقد أقبل الليل ولكن يوجد ضوء غريب في السماء – ليس الوهج الأصفر الناتج عن انارة الطريق، بل شيء مختلف تماماً. أغمضت جولييت عينيها نصف إغماضة في دهشة حيرتها وهي تحدق – تساءلت عما كان ذلك! إنه شيء مخيف.

غاص قلبها عندما رأت أول النثرات البيضاء الصغيرة تضرب زجاج النافذة. آه، لا! ثلج، لا! فلم تتوقع ذلك عندما وافقت على المجيء إلى هذه المنطقة.

بينما كانت تقود السيارة باتجاه الغرب، تحول تساقط الثلج الرقيق إلى زمجرة ريح ثلجية، وفكرت أنها لن تنجح، ولكن الطريق حتى الآن ليست مستحيلة العبور. وبعد ساعة وصلت أخيراً إلى الكوخ الصغير المعزول على طرف أرض فيها مستنقعات بعيدة عن البحر على مدى السمع.

لقد بني الكوخ لراع قبل حوالى مئتي عام: إنه مسكن صغير مؤلف من غرفتين في الأسفل وغرفتين في الأعلى. الجدران من حجر الصوان، والسقف من لوح اردواز (لوح حجر) وبالطبع لقد أصبح اليوم على الطراز الحديث، أصبح أكثر اتساعاً. يوجد فيه حمام ومطبخ ريفي أنيق، وحتى تدفئة مركزية. وفتحت جولييت الباب الأمامي وهي تتنهد بارتياح. كانت جولييت متشنجة وترتجف، ويداها المغطيتان بالقفازين تبدوان مجمدتين على عجلة القيادة. وجدت مفتاح الباب الأمامي، أخرجته وفتحت باب الكوخ ثم عادت مسرعة لتأتي بحقيبتها قبل أن تدخل وتصفق الباب خلفها.

استغرقت برهة ضئيلة لتجعل من المكان بيتاً دافئاً: فأضاءت المصابيح وأشعلت جهاز التدفئة المركزية، ثم جهزت السرير وأدارت المحرك الكهربائي فيه. أفرغت حقيبتها ثم فتحت علبة من حساء البندورة ووضعتها على النار، وقطعت بعضاً من الخبز الطازج الذي جلبته معها، وحمصته، وجلست لتأكل طعام العشاء على الطاولة في المطبخ.

كانت تقرّب أول ملعقة من فمها عندما رن جرس الهاتف. فسكبت السائل على نفسها وقد صدرت عنها صيحة من جراء صدمتها.

وقفت وكانت تنظف ملابسها وهي تسرع لتلتقط سماعة الهاتف. قالت وهي قاطعة النفس متوقعة أن تسمع صوت أمها: «مرحباً!»

ثم سمعت صوت رجل أجش، بعد لحظة من الصمت «سيد تمندلي؟»

شعرت جولييت بخيبة أمل وقالت بحدة: «لا، ليست موجودة، إنها مع زوجها في إيطاليا. هل تريد أن تترك رسالة ما لها؟»

ثم خيم الصمت من جديد وقال بعد ذلك: «من يتكلم؟»

ومن دون سبب تفهمه أحدث ذلك الصوت رجفة تسري في

ظهرها وقشعريرة في جسدها. لم تستطع أن تميز الصوت مع أنها لم تجب ولكنها فكرت بأن هذا جنون.

سألها فقط عمن تكون! وهو سؤال طبيعي. فسألت نفسها لم لا تجيب؟

ثم أجابت ببطء: «أنا ابنتها.» ولكنها تلقت الصدمة الثانية عندما سمعت تكة في الهاتف فتبين لها أنه أقفل الخط دون أن يتفوه بكلمة. ووضعت السماعة مكانها وهي مباغتة وعابسة. وفكرت كم هو سيّء تصرفه هذا.

وعادت إلى طاولة الطعام. حسناً، قالت لنفسها، على الأقل مازال الحساء ساخناً. أنهت طعامها ولكنها لم تستطع أن تتوقف عن التفكير في الإتصال الهاتفي. من هو يا ترى؟ فليس لديهم جيران وأقرب بيت كان على بعد ميل، قرب البحر. ولكن إذا كان واحداً من الجيران لكان قال هذا ـ ولما كان أقفل الخط دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

قبل ذلك لم تكن تشعر بالقلق لأنها وحيدة في هذا الكوخ. وبعدما نظفت ورتبت المطبخ صعدت إلى الطابق العلوي لتنام وهي تشعر بالقلق الشديد، واقل حركة توتر أعصابها. فظلت جامدة صاغية ـ هل كانت الريح تحرك الأغصان أم صوت شخص يزحف حول المنزل؟ هل كان ذلك صوت تحطم غصن تحت أقدام أحد في الخارج، أم ضجيج في الأنابيب صادر عن عملية التدفئة المركزية؟

فكرت جولييت في نفسها: إنها هنا لتتفقد أعمال المبنى كما طلبت منها والدتها. وهكذا أخذت تقول لنفسها إنها رحلة للمراقبة لا للتأكد من عدم وجود شخص آخر في المنزل. لقد أعجبها البناء الخارجي المضاف الذي سيكون غرفة طعام تقود إلى المطبخ. كان الصنوبر يغطي الحائط والأرض بتدور ائعة، وكل شيء ترك نظيفاً وأنيقاً.

كل النوافذ والأبواب كانت مقفلة بأمان، ولا توجد أي إشارة تدل على وجود أحد في الخارج، كان الثلج يلمع تحت أنوار المنزل، صافياً وغير مداس، وهكذا استعرضت صورتها المنعكسة في المرآة عندما مرت أمامها. وأخيراً أطفأت المصابيح في الطابق السفلي، وذهبت إلى السرير قبل الساعة العاشرة. وتساءلت كيف تركت نفسها تقلق هكذا من أجل اتصال هاتفي، ومن أجل إساءة تصرف شخص غريب تماماً؟

استرخت عضلاتها المشدودة بعد أن استحمت في مياه دافئة عطرة. ثم ارتدت البيجاما الزرقاء الصوفية التي أحضرتها معها، لأنها كانت تعرف كم سيكون الكوخ بارداً حتى في شهر آذار/مارس بات سريرها دافئاً فأطفأت الحرام الكهربائي والضوء المجاور للسرير وهدأت وهي تتنهد. ولأنها كانت مرهقة، غفت خلال دقائق.

واستيقظت فجأة وهي ترتجف، فجلست في سريرها جاحظة العينين وجهها خالياً من أي تعبير وكأنها قد رأت كابوساً. وللحظة لم تدرك أين كانت، حدقت حولها وببطء تبينت ظلال الفراش، وتذكرت لمَ هي هناك.

كان الضوء المفزع الذي شاهدته وهي في طريقها إلى الكوخ يملأ الغرفة. وانعكاس القمر والنجوم على الثلج في الخارج، والضوء المزعج الساحر جعلها ترتجف.

وما كادت تستلقي مجدداً حتى سمعت صوتاً في الخارج، في المبنى. فتكسر قلبها بين أضلاعها! حدقت بثبات عبر الغرفة - كان يوجد شخص خارج غرفتها.

قبل أن يكون لديها الوقت للتفكير بدأ الباب يفتح وفي ضوء الثلج الأبيض الغريب، رأت شكلاً يظهر على الباب، لاح شكل طويل، إنه رسم رجل.

الفصل الثاني

ارادت جولييت أن تصرخ، لكنها لم تستطع. وكان حنجرتها خدرت وكان فمها مفتوحاً، لكن صوتاً لم يصدر عنها، مع أن الصرخات كانت تعلو في داخلها، واللحظات كانت تمتد مثل عصب يُعذب باستمرار. عندها حدقت فيه، ولكن الشكل الاسود على مدخل الغرفة لم يتحرك.

ثم تحرك فجأة، بخطى خفيفة واسعة باتجاه السرير، وكانت حركته المفاجئة وكأنها قد حررت صوتها. ولكنها لم تصرخ، بل أطلقت صيحة عالية من صدمتها وتقلصت عند رأس السرير وهي تراقبه بعينين واسعتين كعينين مرتعبتين لحيوان وقع في المصيدة وهو يراقب مفترسه، غير قادر على الهرب لشدة خوفه. كان مغلفاً بالسواد من رأسه حتى قدميه، يرتدي سترة جلدية تلمع مع الثلج الرطب، وبنطلوناً أسود وحذاء أسود، حتى رأسه كان أسوداً. لقد رأت لمعان شعره الفاحم السواد، ليتها تستطيع أن ترى وجهه إذ لن تخشاه، ولكن ضوء الثلج الشاحب لم ينر هيئته بل كان يلمع عبر وجهه في طريقة غريبة.

كان على بعد عدة أمتار منها عندما قررت أن تجمع أفكارها. ما كانت تفعل؟ جالسة تنتظره؟ يجب عليها أن تهرب.

زحفت عن سريرها وبدأت تركض باتجاه الباب، ولكنه كان أسرع منها، وانقض عليها كلاعبٍ خشن. وعندها صرخت جولييت وبقيت تصرخ فوقعت على الأرض ووقع معها على السجادة وتدحرجا عدة مرات.

وهمس بخشونة: «لن يسمعك أحد.» بالطبع كان على حق، فلن يسمعها أحد لعدم وجود بيوت على مدى السمع. هذا الكوخ كان معزولاً، وقد أختير عن سابق تصميم لأنه يقع على بعد ميل من أي مسكن. إنه مكان بعيد عن تدفق الحياة العصرية، مكان آمن وسالم. ولكن أفكارها كانت تعكس شيئاً من السخرية.

«سيعود زوجي قريباً من عمله وقد يصل خلال دقائق...» قالت هذا وهي تحاول أن تبدو مقنعة ولكنه ضحك.

«آه، أنا حقاً خائف،» همس في ذلك الصوت العميق الخشن المعروف، كانت تدرك منذ البداية أنه صوت مألوف.

إنه الرجل الذي اتصل في المساء. لابد وأنه قد اتصل ليتأكد من وجود أحد في الكوخ وعندما علم أنها بمفردها...

من هو؟ فكرت يائسة لقد شعرت بالقلق عندما عرفت من هو. شعرت بقلبها يسحق بين أضلاعها؛ إنها لا تستطيع أن تحتمل أي فكرة عما نوى القيام به. ثم فجأة تدحرجت بسرعة بنية أن تنهض وتركض ولكنه كان أسرع تفكير أمنها فامتدت يده وأمسكها من معصمها.

وقعت على جانبها، بمواجهته، حاولت أن تبعد يده، قاومته بقوة، ولكنه اقترب منها أكثر مجبرها على ملامسة جسده، صدره يلامس ظهرها وذراعه تمتد تحتها ليمسكها بتحكم أكثر.

كانت جولييت تتنفس بسرعة وتشهق بصمت والدموع تغلي في عينيها، وأثناء العراك فكت أزرار سترة البيجامة وبصدمة أخرى من الرعب شعرت بيده تزحف إلى أعلى. دفعها بلطف وأنزلقت يده إلى الداخل. إن ملاطفة خفيفة جعلتها تستقيم واقفة وهي تحاول الهرب. وتأوهت وقالت: «لا!»

لم يحاول إيقافها، هذه المرة، ولكنه تركها تتحرر منه ونقف على قدميها، ودائماً تتوقع أن يجرها من جديد كفارة سمحت لها

قطة تعذبها بأن تهرب لتنقض عليها مرة ثانية.

جلس وأخذ يراقبها، فركضت حتى الباب مرتجفة ومترددة ومرعوبة.

فكرت في أنه يجب أن تهرب منه؛ وكان عقلها يدور بخطط سريعة. لو حاولت فوراً أن تستطيع أن تصل إلى السيارة. ولكنها أدركت أن مفاتيح السيارة في حقيبة يدها في غرفة النوم، وفي هذا الطقس إذا حاولت أن تجري على التلال أو حتى على طول الطريق إلى أقرب ضيعة فإنها بتصرفها هذا ستكون كمن تحاول الإنتحار. لقد عزلهما الثلج وبدا هذا الكوخ كأنه جزيرة في وسط بحر متجمد.

وسمعت صوته من خلفها يقول وكأنه يقرأ أفكارها: «لا يوجد أي مكان لتركضي إليه يا جولييت.»

تجمدت على مدخل الباب ومشاعرها مشوشة. كانت تعتقد أنها قد جننت وأن مشاعر الألفة المعذبة الغريبة التي شعرت بها كانت كلها خيالاً، والآن تدرك أن المشاعر لم تكن موجودة أصلاً.

«أنت... أنت...» نظرت إلى الخلف وكان واقفاً على قدميه ولم يلحق بها بل كان واقفاً هنالك، رسم طويل أسود، في الغرفة التي أضاءها الثلج، يحدق فيها وتحدق فيه. ولكنها بدأت تتبين بعض ملامح وجهه تحت الغطاء الذي يغلف شعره الأسود الكثيف.

له أنف طويل مستقيم، وذقن ثابت، وفم قاس واسع وعيناه... هاتان العينان رماديتان باردتان ومقلقتان... أخذت نفساً عميقاً. إنه هو.

«لن تستطيعي الهرب هذه المرة،» وترددت هذه الكلمات مجدداً في رأسها.

«هذه المرة؟» كررت بصوت عالٍ ما قاله. وبدأت ترتجف.

ثم سمعته يضيف: «حتى لو أستطعت إدارة محرك السيارة فلن تذهبي بعيداً. فالثلج حتى الآن يعلو الحائط. اضطررت أن أترك سيارتي على بعد نصف ميل ومشيت بقية الطريق إلى هنا. اعتقدت في البداية أنني لن أنجح في ذلك. حتى خطوط الهاتف مقطوعة فقد تسببت تلك الرياح في كل أنواع الضرر. والثلج يزيد من هذه الأضرار.» إن في كل ما قاله شيئاً من الحقيقة ولكن كيف باستطاعته أن يتكلم بتلك الطريقة، فهو يبدو هادئاً مرتاحاً، بينما كانت أذناها تطنان بذكريات حاولت أن تدفنها في الأعماق منذ سنوات؟

ثم همست سائلة: «من أنت؟» ولكنها تعرف. فقد أدركت من هو عندما لفظ اسمها وربما قبل ذلك تبينت صوته عندما اتصل بالهاتف وشيء ما في نغمة صوته جعلها تشعر بقشعريرة تسري من أعلى رقبتها إلى كامل جسدها. لم تجمع الأمور بعد. عقلها الباطن لم يخبر عقلها الواعي بما يعرف ولكن في مكان ما في عقلها أدركت ذلك الآن.

«أنت تعرفين من أنا.» قال مستهزئاً وهو يقرأ أفكارها مجدداً، مما زاد في اضطرابها. لم ترد أن يقرأ ما يجول في داخلها ولا أن يتكهن بشكل صحيح كل أفكارها ومشاعرها وردات فعلها. إنها بحاجة لأن تضع قناعاً على وجهها وتخبىء نفسها عنه.

«أنا لا أعرف.» قالت وهي تكذب متمنية أن يكون كلامها صحيحاً، مع أنها تدرك أنه غير صحيح.

مد يده إلى الضوء المجاور للسرير ولكنها صرخت: «لا، لا تضىء النور!»

لم تشأ أن ترى وجهه، لم ترد أن تتأكد من ذلك لأن كل شيء في هذا الضوء الثلجي الغريب كان كالأحلام، غامضاً وغير حقيقي وإذا أضاء النور فسوف يتوقف هذا السحر ويردهما معاً إلى العالم الحقيقي.

«هل تخشين مواجهتي يا جوليت؟» سألها في سخرية لاذعة.

«لا!» أجابت وهي تقفز بتوتر، إلى الخلف.

«هل تفضلين أن نبقى في الظلام؟» سألها وكان صوته يحمل معنى مزدوجاً. فشعرت بالحرارة ترتفع إلى وجهه. «أفضل أن تخرج... حالاً!»

فضحك بلطف وقال: «ألا تريدين أن تري كم تغيرت؟ أنت تغيرت، عندما كنت في السابعة عشرة كنت هزيلة، جسدك كجسد صبي...» توقف لحظة ثم أردف بصوت ساخر: «لا أحد يستطيع أن يقول هذا عنك الآن لأن لديك جسداً مثيراً.»

«إخرس!»

«وصدر جميل...»

«إخرس!» صرخت به ووجهها يلتهب. أعادت كلماته إلى ذاكرتها لمسة يده وأنامله الباردة على جسدها. لقد كانت حانقة واهتزت من هذه الأفكار.

«أ...أ...أنت لا تملك الحق في لمسي في هذه الطريقة!» قالت متلعثمة: «لقد أخفتني... اعتقدت... لا أعرف، هل أعرف؟ إنه أنت لقد اعتقدت أنه شخص اقتحم المكان... كل دقيقة كنت أعتقد أنني سوف أقتل.»

«لم أقصد أن يحصل هذا.» بدأ يشرح وأطلقت جوليت ضحكة بغيظ.

«ألم تقصد؟»

ثم قال بنفاد صبر: «لا أقصد. كان يجب أن أراك ولما لم يجب أحد في شقتك في لندن ولا في شقة والدتك اتصلت إلى هنا. وعندما وجدتك قررت أن آتي إلى هنا في الحال.»

«ودخلت فجأة وهاجمتني!»

«أنا لم أهاجمك!»

«ماذا تسمي ما حدث إذاً؟ أنت دفعتني بقدمي...»

«كان يجب أن امنعك من الركض بعيداً لأنك كنت في حالة فزع مخيف!»

«أنت أوقعتني أرضاً، ثم...» ووضعت يديها على خديها المتوردين محاولة أن تنسى الذكريات وأردفت بتوتر: «أنت... تناولتني.»

«أنا من البشر وكنت قريبة جداً مني وعندما لمستك تغلب فضولي عليّ.» قال ذلك من دون أن تظهر عليه ملامح الندم.

«هل تعني أنك استمتعت بإرعابي؟»

فخيم صمت مخيف، ثم أطلق بعدها ضحكة قصيرة وقال: «نعم، ربما فعلت. لقد كنت غاضباً، و... أجل ربما فعلت وأنا لا أعتذر يا جوليت، ليس بعدما فعلته بي...»

هي التي كان يجب أن تحتفظ بالصمت، ثم عضت على شفتها، وللحظة لم يتفوه أحدهما بكلمة. ثم عاد ليتحدث ثانية بصوته الناعم الساخر.

«حتى شعرك مختلف، أذكر أنه كان طويلاً حتى خصرك. عندما كنت تمشين كان يتمايل خلفك كذنب السنجاب. وكنت دائماً أحب أن أجذبه. لقد قصصته أليس كذلك؟ أنا أشعر كم هو قصير... ومجعد... لم يكن هكذا في السابق. أتمنى أن لا تكوني قد غيرت لونه. أيضاً. لقد أحببته.»

لم تعد جوليت تستطيع تحمل المزيد فقالت وهي ترتجف: «لا أعرف لمَ أنت هنا، أو ماذا تعتقد أنك تفعل. أنا لا أريدك هنا - أخرج!» ولم تكد تنهي كلامها حتى قال بسرعة: «هل تعلمين أن والدي قد توفي؟»

قطعت الصدمة أنفاسها ومرت دقيقة على الأقل قبل أن تقول:

«لا...» هذه الكلمة نصفها إنكار ونصفها حزن، لأنها أحبت والده أكثر بكثير من حبها لوالدها.

فقال وكأنه لا يصدقها: «منذ فترة شهر، لقد نشر الخبر في صحيفة التايمز ألم تطلعي عليه؟»

«لا، نادراً ما أقرأ الصحف. ما عدا صحف التجارة لأنه ليس لدي وقت.» حتى أمها لم تكن قد قرأت الأخبار وإلا كانت أخبرتها. لأن أمها أيضاً أحبت الرجل العجوز فهي تعرف كم كانت جوليت قريبة منه. ثم قالت جوليت بهدوء: «أنا آسفة جداً لسماع خبر موته... سوف تفتقده.»

فضحك بتوتر وقال: «لن أفتقده أكثر مما افتقدته في السنوات الثماني الأخيرة. لأنه لم يوجه إليّ الكلام منذ أن رحلتِ.»

لقد لاذت بالصمت، وقبل أن تتمكن من التعبير عن أسفها، استدار فجأة وأضاء النور. ولكن اللمعان المفاجيء أغشى عينيها للحظة. ثم ركزت نظرها عليه ورأته ملياً: لأول مرة بدا أطول ونحيلاً ومشتاقاً حتى الخطورة، وبدا وجهه مألوفاً لديها، وقد دهشت كيف أنها لم تستطع معرفته حتى في الظلام: ملامحه المنقوشة وعيناه الباردتان وذلك الفم العريض الشهواني.

وكذلك كان هو يتفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها بوقاحة آلمتها. وأسرعت بتثبيت أزرار البيجاما بينما هو يبتسم ساخراً.

وابتسامته تلك جعلتها تشعر بالغضب من جديد فصرخت به: «لا تجعلني أشعر بالذنب لأجل والدك. هل نسيت ما فعلت بي تلك الليلة. وكيف يمكنني أن أبقى هناك بعد ذلك؟»

فأصبح وجهه قاسياً وأجاب: «أنت التي دفعتني للإعتقاد بأن ذلك كانت رغبتك، ألا تتذكرين؟»

فازداد احمرار وجهها وقالت: «كنت في السابعة عشرة

ولـــم أكـــن أعـــرف مـــاذا أفـــعـــل!»

كانت نظراته قاسية وكأنها سياط تضربها: «آه، أعتقد أنكِ كنتِ تعرفين. أردتِ الزواج مني والإنتماء إلى عائلتي. أردت أن تكوني السيدة التالية لآل شانتريز. لقد لاحقتني بنظراتك لعدة أشهر - تبعتني حيثما ذهبت؛ كلما تلفت كنت أجدك ملتصقة بي كالمحارة. يا إلهي، لقد طاردتني من دون رحمة.»

أرادت أن تنفجر باكية، وفي الوقت نفسه كانت غاضبة بما يكفي لقتله لأن كل ما قاله كان صحيحاً، ولو أنها بمعظمها أكاذيب. لقد تبعته في كل مكان وتعلقت به كالمحارة ولكن لا لأنها أرادت أن تصبح سيدة في عائلته، فهذا لا يمت إلى الموضوع بصلة لأن طموحها لم يكن من هذا النوع. بل لم تكن متسلقة السلم الإجتماعي ولا طالبة غنى بالزواج. لقد كانت نصف طفلة ونصف امرأة، غارقة تماماً في الحب، ولم تستطع أن تخفي هذا الحب. كل ما أرادته هو أن تبقى بالقرب منه، وأن تتمكن من رؤيته، تراقبه، وتسمع صوته. كانت مسحورة، مأخوذة وحتى ممسوسة. لم تفكر بأي مستقبل معه، ولم تدرك إلى أين تقودها مطاردتها البريئة له.

ثم تمتمت قائلة وهي تحدق إليه: «لم أرد شانتريز! ذلك الجزء من كلامك ليس صحيحاً. لن أسمح لك باتهامي. أنت الذي أساء الفهم... كنت فتاة مراهقة تافهة، تلقت صدمتها الأولى - كل شيء كان مزيفاً، لم يكن حقيقياً.»

لمعت عيناه بشرر مميت وشعرت جولييت بالكراهية في صوته وهو يقول: «لم يكن حقيقياً! صدمتها الأولى! ألأجل هذا أفسدت حياتي كلها؟»

فشحب لونها، ووجدت صعوبة في التقاط أنفاسها وقالت: «أنا لم...»

«وصية والدي الأخيرة وجدت منذ عدة أيام فقط. كان قد أقفل عليها الدرج في مكتبه ولم يكن يعرف مكان وجودها أحد، حتى محاميه لا يملك نسخة عنها - أعتقد أن الوصية الأخيرة هي التي تقول بأن كل شيء ترك لي، ولكن الأسبوع الماضي كان المنفذون يفتشون في أوراقه فعثروا على وصيته الأخيرة.» فتوقف وهو يحدق فيها بمرارة ثم أضاف: «لم يترك شانتريز لي.»

فتحولت جولييت إلى لون شاحب من الرعب. «لم يفعل؟ ولكن... من يرث؟»

كان سايمون ابنه الوحيد، ولكنها تعرف أن لوالده أخاً يعيش في مكان ما في اسكوتلندا، ولديه عدة أبناء. هل يكون روبرت جيرارد قد ترك أملاكه إلى أولاد أخيه؟ كم يبدو ذلك ظلماً وبعيداً عن العدل. هذا لا يبدو من تصرفاته، ولن تصدق أنه قادر على مثل هذا العمل. فليس عجيباً أن يغضب سايمون إلى هذا الحد ولديه كل الحق ليكره هذا الأمر.

كان يحدق إليها وبشرته معتمة من الغضب وكان يشد على أسنانه ثم قال فجأة بصوت بارد: «كل الأملاك من أموال وعقارات، كل شيء كتب لأطفالنا.»

كانت الصدمة قاسية فشعرت وكأن دماءها تتدفق من جسدها، فتمايلت واهتزت وكأنها في قلب ريح عاتية، وللحظة شعرت بالاغماء. فخطى خطوتين ليصل إليها فامسكها وهي تهوي ووضعها على السرير. ولكنها جاهدت لتبعد يديه عنها ودفعته بعيداً عنها وهي ترتجف، لأن لمستهما كانت تفقدها أعصابها. وجلست على حافة السرير تنظر إليه مصدومة.

«أنت لا تعني ذلك.»

«بلى.»

«لا يعقل أن يفعل هذا!»

«لقد فعل.»

«لا يمكن أن يكون هذا قانونياً!»

«قانوني مئة بالمئة. كان يعرف ماذا يفعل. لقد كتب وصايا
غيرها، فقط هذه المرة لم يطلع محاميه ولكنه اتبع نفس الطريق
التي كتب بها الوصايا السابقة ولكن الكلمات سليمة. لقد ترك كل م
يملك في الحقيقة لأي طفل...»

فقاطعته قائلة: «آه، أنت تعني أطفالك.» وأخذت تفكر محاولة أن
تتكهن ما جاء ليخبرها به. «أنا أفهم لِمَ كان يجب أن تجدني. تريد أن
تتزوج ثانية، وتنجب أطفالاً، لهذا أنت بحاجة إلى الطلاق.» شعرت
جولييت بوخزة في صدرها عندما تفوهت بهذه الكلمة، ربما من
الألم لأن زواجهما القصير المدة والغريب سبب لها الكثير من الآلا
والشقاء، وحتى نهايته، كانت غريبة كبدايته. «لا أعتقد أنك احتجت
الحصول على موافقتي، خاصة بعد كل هذه السنين.»

«لا طلاق!» أجاب بحدة وهو يقلص من نظراته، خاصة بعد أن
أصبح أكثر غضباً وهو يستمع إليها، ثم أردف: «لم تدعيني أنهي
كلامي. إخرسي واسمعي فقط. الأطفال يجب أن يكونوا أطفالنا
أنا وأنت.»

«ماذا؟» سألت وهي تلهث.

«لقد سمعت ما قلت. كان والدي واضحاً، ذريتنا، بالتحديد هو
ما أراد. وإذا أجرينا الطلاق أو لم ننجب أطفالاً، فبعد مرور سنتين
من موت والدي تنتقل الأملاك إلى ابن عمي الكبير طوني.»

همست قائلة: «سايمون، آه، أنا آسفة، كيف أمكنه أن يفعل هذا
بك؟ فليس من شيمه أن يكون غير لطيف.»

فأجاب غاضباً: «أنتِ هربت، فوقع اللوم عليّ ولم يسامحني

أنا ابنه الوحيد ولكن أمري لم يكن يهمه. كنتِ دائماً أنتِ المدللة. لقد
شغف بك منذ أن وُلدتِ.

لن تستطيع جولييت أن تشك في ذلك لأنه صحيح، فقد كان بينها
وبين روبرت جيرارد محبة شديدة. جيرارد أحب النساء وأحب
رفقتهن أكثر من رفقة أبناء جنسه، مع أنه كان كامل الرجولة، رحب
الصدر ونشيطاً. إنه رجل ريف حقيقي، دائماً في الخارج يعمل في
أرضه ويقضي أوقات فراغه في ركوب الخيل والصيد، يصطاد
الأرانب والحمام التي تغير على حقوله.

كان حسناً مع المزارعين في أرضه وكان رجلاً طيب القلب،
كريماً، مشجعاً، على الرغم من طبع حاد سيئ. وابتسمت شبه
ابتسامة لهذه الذكرى. فهو قد ينفجر غاضباً ويصيح، ثم يحاول
قدر المستطاع أن يصلح من أمر ضحيته. وكل من عرفه من الناس
أحبه. لم ينس أبداً أن عائلته تزرع تلك الأرض منذ أيام
النورمانديين، ولا أن بيته يشرف على سور قلعة تهدمت خلال
حروب الوردتين. والبيت الحالي بني سنة ١٧٠٠، بعد حريق
دمر مبنى تودور، ولكن روبرت جيرارد كان قد علّم جولييت أن
تحذر من المساكن الأخرى الموجودة هناك، والتي ما تزال توسخ
الأرض، وحتى جورجيو نفسه، كان فخوراً في تاريخ عائلته.

زوجته هي التي اهتمت بجولييت الصغيرة أولاً؛ بالفعل هي
السيدة جيرارد التي اختارت لها اسمها، الذي وافقت عليه أمها
بحماس. تاقت السيدة جيرارد لإنجاب طفل آخر، فتاة، ولكن بعد
ولادة طفلها الأول سايمون، تأزمت حالها. مما اضطرها لإجراء
عملية مستعجلة جعلت من المستحيل عليها إنجاب الأطفال
ثانية. والد جولييت كان حارس الطرائد في شانتريز وزوجته
عملت أحياناً عند السيدة جيرارد في المنزل، وكانت تأخذ الطفلة

معها. كان سايمون في التاسعة عندما ولدت جولييت وكان قد أرسل إلى مدرسة داخلية. كانت أمه وحيدة ولكن وجود طفلة في أرجاء المنزل جعل الأمر أسهل عليها في تحمل غياب ابنها. كانت امرأة نحيفة أنيقة جميلة الوجه. ولكنها كانت تعاني من مرض قتلها بعد حوالي عشر سنوات. كان سايمون في ذلك الوقت في الجامعة وهكذا بقي جيرارد وحيداً في البيت الجميل القديم يجلس تحت شجرة بلوط ويتأمل جريان النهر البطيء. تلك كانت حاله عندما بدأ حبه لجولييت ينمو. لقد تعلق بها في البداية لأن زوجته أحبتها ثم أحبها لشخصها.

أخبرته جولييت وهي محتدة: «أنا أيضاً أحببته. لقد كان بالنسبة لي والداً أكثر من والدي الحقيقي، دافئاً وكريماً ومفكراً. حسرة لأنك لست مثله!»

فقال ساخراً: «آه، نعم! إنه حسن التفكير وكرم منه أن يبعدني من وصيته!»

«نعم، ما كان يجب أن يفعل ذلك.» قالت ذلك وهي تنظر إلى الأسفل وتراقبه من بين أهدابها باضطراب وحيرة. لديها أسباب عديدة لتكره سايمون جيرارد - لم تكن تتصور أنها سوف تشعر بالشفقة عليه في يوم من الأيام - ولكن من الواضح أنها صدمة شديدة له أن يكتشف أن والده قد غير وصيته. ولم يكن هنالك أدنى شك في أن شانتريز لن تكون لسايمون؛ وإلا ما ذهب من الجامعة حيث نال درجة في العلوم، إلى كلية الزراعة ليكمل دروس تخصصية في الزراعة وإدارة المزرعة. لقد ضيع سنوات وهو يتعلم كيف يدير شانتريز والآن والده قد حرمه منها. هذا لم يكن عدلاً.» فقطبت جبينها وهي ترى وجهه القاسي العابس. «ولكن ألا تستطيع أن تطعن في الوصية؟ أن تعترض؟»

«على أية أسس؟ إن أبي كان مجنوناً عندما كتب الوصية؟ هل حقاً تعتقدين انني سوف أقوم بذلك العمل؟ لقد أخبرتك أن الوصية سليمة مئة بالمئة.»

«ألا توجد أي زلة؟»

«ولا واحدة. إذا لم ننجب أطفالاً سوف تؤول الأملاك إلى ابن عمي.» وأردف وهو ينظر إليها بعينين تلمعان من فولاذ. «وهذا سوف يشكل كارثة لأن طوني حتماً سوف يبيعها، فهو ليس مزارعاً ولا يريد أن يكون... إنه يحب الحياة في لندن. يقضي أوقات ممتعة بتبذير الأموال. وعندما يستطيع تصفية المزرعة سوف يقوم بانفاق كل فلس من ثمنها.»

صدقته جولييت لأن طوني كان دائماً مبذراً غير منظم. ربته أم سخيفة ليكون فاسداً وأنانياً. كان روبرت جيرارد يعرف أي نوع من الرجال هو طوني - لماذا بحق السماء ترك شانتريز له وليس لإبنه سايمون؟»

قالت بصوت عال وهي حائرة: «هذا ليس منطقياً، لِمَ فعل هذا؟ كان دائماً يتكلم وكأن شيئاً لا يسعده، إلا أن تدير شانتريز بنفسك.»

تمتم سايمون وهو ينحني فوق رأسها: «لقد تغير والدي منذ أن رحلتِ. أصبح مريراً، ولامني على كل شيء حصل. كان وحيداً ولكنه رفض أن أعيش في البيت - لم يكن مرحباً بي في شانتريز بعد ذلك.»

صدمت جولييت وقالت: «أنت رحلت أيضاً؟ ربما لأجل هذا...»

«أنا لم أرحل. لقد طردت. سكنت مع ماكينتر في «روز كوتج» لعدة أشهر ثم انتقلت إلى أحد أكواخ المزرعة التي أصبحت شاغرة بعد وفاة بن سميث العجوز.»

«هل مات؟ أنا آسفة.» قالت وفي عقلها صورة الرجل العجوز بوجهه البني الذي تحول إلى اللون البرونزي نتيجة تعرضه

للشمس وكتفيه المنحنيتين، حيث كان يمشي في الحقول، وكلبه ذو اللونين الأبيض والأسود يقفز على قائمتيه. تلك كانت صورة من طفولتها. هؤلاء الناس، بن العجوز والسيد جيرارد وكل من عرفت عندما كانت فتاة صغيرة، لقد حاولت أن تغلق الباب وتنسى الجميع. لكن سايمون، فتح الباب واجبرها على أن تتذكر الجميع.

«كان في التسعين من عمره،» قال سايمون بصوت لطيف زاخر بالأسف. لقد عرف بن طيلة حياته. تجولت معه حول البلدة وهي تعلم طرقها، وفجأة تذكرت إحدى الليالي، عندما ذهب الاثنان مع بن ليختبئوا بين الشجيرات الصغيرة في المرج وينتظروا عائلة الغرير لاصطيادها. إنها تجربة سحرية، كثيراً ما استطاعت أن تشم رائحة الأرض الرطبة والعشب المحطم الذي يتكئون عليه.

قطع صوت سايمون ذكرياتها عندما قال: «أجل لقد كان له دور مهم وقد استمتع بحياته أكثر مما نتصور. حتى بعد تقاعده كان دائم الانشغال. كان يتسلل إلى الأرض.» بالطبع تظاهرت بعدم الانتباه. بدا لها أصغر سناً، وهو يبتسم ابتسامة عريضة أكثر ابتهاجاً. وهو غير مستفز، وجل، حتى... جعلت جوليت تتوقف عن التفكير.

قال سايمون: «المزعج في الأمر أن كل الاشخاص الذين يشبهون بن في العالم ليس لهم مكان في الزراعة الحديثة، لأن الآلات أصبحت تعمل عملهم.»

تنهد سايمون بعد أن تمتمت جوليت قائلة: «أكثر من ذلك هذا المسكين.»

«نعم. لقد كان فعلاً هكذا.»

«عندما تركت «شانتريز»، هل كان لزاماً عليك أن تترك العمل أيضاً؟»

هز رأسه قائلاً: «كلا لقد تابعت العمل في المزرعة. وفي الحقيقة

لقد بدأت إدارة المزرعة في السنوات القليلة الماضية لأن صحة والدي كانت تزداد سوءاً، وهو تقريباً ترك لي إدارة المزرعة.»

نظرت جوليت إليه بحيرة وقالت: «إذاً، بدأ يكلمك مرة ثانية.»

أجاب سايمون بجفاف والمرارة تبدو في وجهه: «كان الاتصال يتم بيننا بالمراسلة. أرسل له ملاحظات ورسائل ومذكرات طويلة وهو يجيب بلطف. كان ذلك سخيفاً.» عضت على شفتها: «لا يشير ذلك إلى أنه كان مريضاً؟ أعني مريضاً عقلياً. ليس هذا تصرفه

- وربما مرضه جعله مضطرباً وغير شخصيته. ألا تستطيع أن تجعل من هذا الأمر عاهة انسانية في اعتراضك على الوصية؟»

«لن الوث إسم والدي في المحاكم!» قال سايمون في غضب شديد وابتعدت خطوة عنه بتوتر. كان دائماً شخصاً مسيطراً حتى عندما كان طفلاً، ولكن منذ أن رأته أخيراً أصبح رجلاً مرعباً ومزعجاً. ولن تنازعه أو تعارضه.

فبدأت تتمتم: «أنا لم اقترح هذا...»

«ذلك كان ما أقترحته... إن الطعن في الوصية على أساس أن والدي لم يكن يعلم ما يفعل ولكني لن أفعل هذا! أفضل أن أرى طوني حراً في شانتريز على أن أشوّه سمعة والدي بهذا الشكل.» كان غضبه مخيفاً. ولكنها تأثرت عاطفياً بهذا التصرف عما يحمله من معاني الاحترام لوالده الذي طالما حاول اخفاءه والذي كانت جوليت متأكدة منه.

وبعد برهة تابع سايمون بهدوء: «إلى حد ما أعتقد أنه كان مريضاً عقلياً. في النهاية لم يخرج أبداً من البيت. لم يرَ أحداً

- وكان يطيل التفكير في الماضي كل الوقت. هذا ما علمته من الدكتور مانرز. تركني على علم بوضعه الصحي. وكان قلقاً على حالته العقلية - آه، لم يعتقد أنه سوف يجن ولكنه عرف أن أبي

كان يعاني من حزن قاس وكان باستمرار يحاول أن يقنعه برؤيتي ولكن والدي لم يصغ.» نظر سايمون إليها نظرة جانبية وهو مكفهر ثم أردف: قائلاً: «كانت هنالك صور لكِ ولأمي في كل مكان حوله ولكن ولا واحدة لي بالطبع.»

دهشت جولييت وتساءلت: هل كان يشعر بالغيرة منها؟ هل كان دائماً يشعر بالغيرة من المشاعر بينها وبين والداه؟ لقد أرسل إلى المدرسة ونقلت هي بعض الشيء إلى مكانه في العائلة - هل كان يرى الأمور هكذا؟

قطب سايمون جبينه وهو يقول: «لقد تظاهر بعدم وجودي على الإطلاق. ولم يسمح للدكتور مانرز بالتحدث إلي عنه. حتى عندما كان يكتب إليّ التقارير عن المزرعة كان موضوعياً وكأنني كنت غريباً، فقط كموظف، لم يكتب أبداً «عزيزي سايمون». بل كان يكتب على رأس كل شيء «إلى مدير المزرعة».»

قالت بشكل طبيعي واضعة يدها على ذراعه: «آه، سايمون، أنا آسفة جداً...»

تطلع وهو ينظر إلى أصابعها الشاحبة الرفيعة تلمس سترته السوداء فتوردت وانتزعت يدها وسألت بسرعة: «ما كان مرضه الجسدي؟»

نظر إليها سايمون نظرة غريبة وهو يسدل أهدابه السوداء نحو بشرته البنية: «في البداية لم يكن الأطباء متأكدين. - أحدهم استنتج نظرية مجنونة بأن والدي كان يحاول أن يجلب لنفسه المرض الذي تسبب بوفاة والدي. أظن أنهم اعتقدوا أنه «سيكوسوماتي،» ولكن تبين أنه مرض غامض في الكبد. أعتقد أنه كان سيموت بهذا المرض. ولكن في الحقيقة، ما أصابه، نوبة

قلبية مفاجئة». توقف قليلاً وهو يطيل التفكير لعدة ثوان ثم أردف: «ولم أقل له كلمة الوداع.»

«ربما لم يكن يعني أن تؤخذ هذه الوصية بعين الاعتبار، لربما أراد تغييرها.» اقترحت وهي تحاول أن تجد طريقة لتريحه.

فنظر إليها سايمون بقسوة وقال: «لن يهم ماذا كان يعني، فالإجراءات القانونية هي كل المسألة وهي واضحة أليس كذلك؟»

همست جولييت بحزن وهي تقابل عينيه الرماديتين الغاضبتين: «أنا آسفة جداً سايمون، أعرف كم يؤلمك أن تخسر شانتريز.»

«أنا لا اعتزم أن أخسرها، فعليك أن تنجبي طفلي حتى يرث الأملاك.» تلفظ بهذه الكلمات من بين أسنانه وهو يقابل نظرتها المحدقة بإصرار.

وللحظة، بقيت منبهرة لا تستطيع أن تفهم - حدقت إليه بنظرات خالية من التعبير محاولة أن تدرك قصده، فلم تفهم وأخذ عقلها يدور باضطراب بعدما أيقنت قصده. احمر وجهها ثم شحبت وارتجفت بسرعة لأن مجرد الفكرة يشعرها بالمرض ويخيفها؛ فكرة السماح له بلمسها مرة ثانية، يفرض نفسه عليها كما فعل مرة في السابق في ليلة زفافهما.

«لا!» همست هذه الكلمة الوحيدة التي تنطوي على كل ما أرادت فهمه - الصدمة، الرعب، وارتداد الألم.

ولم تخف رد فعلها هذا عن سايمون من خلال صوتها، قرأها في وجهها الملىء بالجراح، ولكنه راقبها بشيء من عدم الشعور. إنه رجل صلب، أصبح قاسياً وتعود احتمال المشاق بعد سنوات من الفراق المرير بينه وبين والده. فهو لم يعد الرجل الذي عرفته في كل حياتها، ولكنها هي أيضاً لم تعد المراهقة الحالمة التي عرفها. لقد

أصبحت امرأة بشكل واقعي بين عشية وضحاها، والسنوات لم تغيرها جوهرياً منذ ذلك الوقت. ثم عاش كل منهما نوعاً من الجحيم منذ لقائهما الأخير، وقد تألمت من الندم، وعندما نظرت إليه، لأنها تعرف أن الخطب الذي حصل بين سايمون ووالده كان نتيجة غلطتها. مع أنها لم تقصد أبداً أن تبعدهما عن بعضهما البعض.

فأجابت مدافعة: «أنت لم تكن جاداً؟» فهي لم تستطع التصديق بأنه يعني ما يقول. لا أحد يمكنه أن يكون متحجر القلب ووحشياً هل يمكن؟

زم شفتيه ثم فتح فمه ليتفوه بكلمة واحدة، «نعم.»

«لا.»

أنكرت جولييت والفزع يضرب في داخلها.

فأجاب ببرود: «أنا لا أسألك أن تقومي بهذا بلا شيء، سوف تحصلين على نصيبك من الأملاك عندما يولد الطفل وكل شيء مقرر. لا، أعتقد أنني عاقل. كل الموقف هو غلطك ـ والأمر يعود إليك في تصحيحه بالطريقة المناسبة.»

قالت بحزن شديد: «لا أصدق أن هذا يحصل، لا أستطيع أن أسمع بالمزيد.» تعثرت وهي تخطو باتجاه الباب ولكن سايمون أمسك بذراعها ولمسته جعلتها تصرخ: «لا، لا تلمسني!»

ولكنه لم يتركها بل انحنى في اتجاهها وقال برفق: «هذه المرة سيكون الأمر مختلفاً ـ فأنتِ لستِ مراهقة، فأنت امرأة. ومن دون شك كان في حياتك رجال آخرون منذ أن هربت.»

شعرت بنفسها تتورد مرة ثانية. وأسدلت أهدابها لتخفي التعبير في عينيها الزرقاوين. «ليس لذلك أي علاقة بالموضوع. لن أستطيع إقامة علاقة معك ببرود، لن أستطيع.»

خيم صمت غريب ثم نظرت إليه من بين أهدابها بحذر

لتجده يبتسم بخبث: «بشوق إذاً.»

وكان في نظرته بريق يعذبها، وجال بعينيه على قسمات جسدها اللين ولخجلها شعرت بالحرارة تغلي بداخلها وبنبض يخفق في حنجرتها. ربما هي تكرهه ولكنه ما زال يؤثر عليها.

رفضت مجدداً. وكان صوتها متقطعاً، وتشعر وكأنها سوف يغمى عليها في أية لحظة وهي تقول: «لا، أرجوك دعني بمفردي، ألا تستطيع؟ أنا آسفة فما تطلبه مستحيل، لن أستطيع أن أقوم بذلك!»

تأمل وجهها وهو مكفهر، ثم هز كتفيه وقال: «حسناً إنه منتصف الليل وكلانا متعبان بعد قيادة السيارة من لندن، فإذاً، سوف نؤجل الموضوع الآن، ونتحدث في الصباح.»

تركها واتجه إلى الباب، كانت جولييت تراقبه في شك.

«ماذا تعني ـ نتحدث في الصباح؟ أنت تعرف أنه لا يمكنك أن تبقى هنا، لن أسمح لك بذلك.»

«إذاً أطردني خارجاً!» قال بغرور معتاد، لأنه يعرف أنها لن تستطيع أن تفعل ذلك. خرج من الغرفة وسمعته يمشي إلى غرفة النوم الرئيسية وناداها قائلاً: «سريحة جداً. سوف يكون هذا حسناً.»

وقفت مترددة للحظة حائرة ماذا تفعل ثم اختارت الأمان. فأقفلت باب غرفة النوم بصوت مسموع قدر الامكان حتى يتمكن من سماعه.

«تصبحين على خير جولييت،» كان الجواب الذي تلقته بصوت مرح ثم سمعت أصواتاً خفيفة صادرة عن تحركه في الغرفة وداخل الحمام ثم صرير أبنابض السرير ثم صوت زر إطفاء الضوء.

استلقت جولييت على سريرها محدقة في السقف المظلم لمدة ساعة من الوقت، وعقلها في اضطراب تام، قبل أن يتغلب عليها النوم مما جعل أحلامها مشوشة.

الفصل الثالث

استيقظت جوليت فجأة وللوهلة الأولى لم تستطع أن تتذكر ما حدث في الليلة الماضية، فبقيت مستلقية تنظر إلى السقف نظرة خالية من التعبير، وأخذت تلاحظ حركة الضوء الجليدية الرشيقة عبر السقف، وتسمع عويل الريح في الخارج عبر التلال، مندهشة لأنها كانت تشعر بالتعب والوهن لدرجة الكآبة، ورأسها يؤلمها ولا ترغب في النهوض، فتساءلت: هل أصيبت بزكام؟ أم هل أن تساقط الثلج قد أزعجها؟

ثم سمعت صوتاً خفيفاً في الكوخ وعاد كل شيء إلى ذاكرتها في لمحة بصر. فجلست متقطعة الأنفاس، محدقة في باب غرفتها.

كان هنا في الكوخ في الجهة الثانية من الباب يدور ويصدر صفيراً رقيقاً. إنه سايمون. نطقت شفتاها اسمه بصمت، سايمون زوجها.

لقد أبعدت صورة زواجها القصير عن ذاكرتها سنين عديدة لتعلم اليوم أن حقيقة هذا الزواج غير معقولة تماماً كما وجدتها يوم وقفت إلى جانب سايمون في مكتب تسجيل العقود، عندما تمت المراسم المدنية التي اعلنتهما زوجاً وزوجة. كانت تنظر إليه من بين أهدابها في انبهار وعدم تصديق. لقد حاولت بعزم أن تكبت هذه الذكريات، ولكن على الأرجح كل شيء عن ذلك اليوم قد سكن عقلها الباطن؛ وهي الآن تستطيع أن تتذكر أدق التفاصيل عنه.

كانت ترتدي أجمل ثيابها مع أنها لم تكن ملائمة. كانت ترتدي

ثوباً أزرق بسيطاً كثوب طالبة مدرسة ترتديه في عطلة نهاية الأسبوع، لا شيء كان مميزاً أو رائع الجمال. فوالدها لم يعتقد بوجوب إنفاق كمية من المال على أشياء هي في نظره غير ضرورية. وهكذا فإن أية ملابس جميلة لابنته الوحيدة مدرجة تحت قائمة «اللاضروري».

كان والدها موجوداً بين الحضور ليتأكد من أن الزواج يتم فعلاً. كان عدائياً متجهم الوجه يرتدي بدلته الوحيدة المصنوعة من التويد السميك، وهو يملكها منذ عدة سنوات. ارتداها في كل المناسبات الرسمية حتى في المآتم ولكنه كان يضيف طوق ذراع أسود حول كم من أكمامها.

كانت دائماً تتوقع أن يحمل بندقيته فوق ذراعه ولكن جاك نيوكم كان مراعياً للأعراف في هذا الشأن. فترك بندقيته في البيت، مع أن خطره بدا كافياً في عينيه الكئيبتين كلما نظر إلى سايمون وإليها.

لقد وجدهما معاً بعد مهرجان الحصاد الراقص يستلقيان وهما يحضنان بعضهما بعضاً على العشب النامي الطويل السوق، الطيب الرائحة وتحت شجر التفاح المثقلة بالثمر في البستان خلف شانتريز، وكان يحمل معه مسدساً في ذلك الوقت. صوبه باتجاه سايمون، فصرخت جوليت معتقدة أنه عازم على إطلاق النار فعلاً.

«لا، يا أبي!»

نظر إليها باشمئزاز وعلق بصمت على بلوزتها المفكوكة الأزرار وكذلك على تنورتها التي ارتفعت كاشفة عن ساقيها الطويلتين وكان في وجهه احتقار، ووجه إهانة إليها ودعاها بشيء رذيل جعلها تجفل. واصطبغ لونها بالإحمرار لشعورها بالعار، مما دفع سايمون إلى أن يقف على قدميه وهو مكفهر

الوجه غاضباً ويقول: «لا تكلمها بهذه الطريقة.»

«ما هي؟ إذاً،» سأل جاك نيوكم بمرارة.

اعترض سايمون بغضب: «لم يحدث شيء،» وأطلق والدها ضحكة ساخرة.

وقال: «لا تزعج نفسك وتكذب، أعرف بالذات ما رأيت قبل أن تشعرا بقدومي.»

فازداد تورد سايمون وأخذ يقول: «جاك، أنظر...» ولكن الرجل الأكبر سناً قاطعه بحدة.

قال وفي نظراته لوم: «السيد نيوكم، بعد الليلة! لم أعتقد أنك تفعل هذا بي يا سيد سايمون، فأنت لست ابن أبيك. أما بالنسبة لها، حسناً. أنا لا أستطيع القول بانني فوجئت لأنها ابنة أمها أولاً وأخيراً. وكنت أتوقع أن تقوم بمثل هذا العمل عاجلاً أم آجلاً، ولكنني تمنيت أن تتزوج أولاً. لن أخجل أمام أهل القرية مرة ثانية، يا سيد سايمون. لقد سمعت ثرثرة وتلت عار الفضائح عندما هربت زوجتي مع خليلها الأجنبي - لن أكون عرضة للسخرية مرة ثانية.»

كان مسدسه ما يزال مصوباً نحو سايمون، اصبعه معقوفاً على الزناد وكأنه يريد أن يضغط عليه. كانت جولييت مرعوبة فبدأت بالصراخ مجدداً حتى حضر روبرت جيرارد من البيت، مسرعاً على العشب الخشن في ممر البستان وكان يتنفس بصوت مسموع.

«بحق السماء، ما كل هذه الضجة؟ ماذا يجري؟» سأل وهو يحدق مندهشاً إلى هذه اللوحة التي يراها تحت الشجرة: حارس الطرائد البدين والفتاة المرتجفة وأخيراً ابنه.

بدأ سايمون وجاك الحديث معاً. فقاطعهما روبرت جيرارد

بنفاد صبر: «لا أستطيع الإستماع إليكما معاً. جاك، أنت اخبرني وبحق السماء أخفض ذلك المسدس - هل هو محشو؟» لكنه قرأ الجواب في وجهه العابس وتابع يسأل: «ما هو خطبك؟ فأنت أفضل من أن تصوب مسدساً محشواً إلى أي شخص.»

لقد عرف الرجلان بعضهما بعضاً طيلة أيام حياتهما. فقد عمل والدها في شانتريز منذ أن ترك المدرسة. لقد كان حارس طرائد ممتازاً، فهو يعرف كل شيء عن عمله. يطبيعته يحب هذا النوع من الأعمال. كان يستيقظ قبل الفجر ويخرج إلى الغابات والحقول، كل يوم - وثم بعد ساعات قليلة من النوم في الليل، يخرج مجدداً محترساً من الذين يتعقبون أثر طيور التدرج والحجل وحتى الأرانب. وعلى ما يبدو فإن نوع الحياة النشيطة يناسبه جداً. لقد كان قاسياً وقوياً مع أنه كان في الخمسين من العمر إلا أنه يستطيع أن يمشي أميالاً دون أن يتعب.

حتى الوحدة الضرورية في الغابات تناسبه لأنه يكون سعيداً جداً حتى في وحدته. وبالفعل فهو غالباً ما يبقى صامتاً إذا كان برفقة أحد باستثناء روبرت جيرارد. فقد كان الرجلان يقابل بعضهما بعضاً في معظم الأيام وجاك نيوكم عادة يكون سعيداً ومرتاحاً مع رب عمله. ولكن ليس في تلك الليلة.

تمتم والدها دون أن يخفض مسدسه: «لقد أمسكتهما بالجرم المشهود. هل تعلم بما كان يجري؟ لقد شككت مؤخراً بالأمر، لابد وأنك لاحظت أنت أيضاً ذلك - لم لم تطلب منه أن يدعها وشأنها؟»

«عم تتكلم؟» سأل روبرت مشككاً وأغلقت جولييت عينيها بينما كانت الدموع تجري فوق وجهها.

عبّر والدها عن رأيه بمرارة، وانهال روبرت جيرارد يسأل ابنه بتوتر فشار سايمون وصرخ بوجه والده. وتشابك الثلاثة وأخذوا

يصرخون بوجوه بعضهم البعض. وكانت صيحاتهم تعلو هنا وهناك وحول جولييت التي كانت واقفة مرتعبة ومرتجفة.

لم تسمع والدها من قبل يتكلم بهذه الطريقة إلى روبرت جيرارد لأنه كان دائماً يحترم رب عمله. وبامكانها القول إن روبرت جيرارد كان قريباً منه كصديق له كما هي الحال مع العالم أجمع.

ولهذا السبب سمح لجولييت بقضاء معظم أوقاتها في شانتريز، وخاصة بعد رحيل والدتها.

كانت جولييت في الحادية عشرة عندما هربت والدتها مع جورجيو، بعد عطلة قضتها مع عمتها في صقلية. كانت العمة دورا تحلم باستمرار بزيارة صقلية ولكنها كانت خائفة من الذهاب بمفردها، لكثرة ما سمعت عن قطاع الطرق والخطف، ولذلك دعت شيرلي نيوكم لتذهب معها. وكان من المقرر أن تكون الزيارة لليلة واحدة وكانت تلك أول عطلة حقيقية لشيرلي منذ زواجها. فلم يكن جاك نيوكم يؤمن بقضاء العطل وخاصة خارج البلد، فهو لم يسمح لزوجته بالذهاب. ولكن كانت لديها مرة واحدة الشجاعة لتصر على الذهاب. وتلك العطلة فرقت بينهما.

التقت أمها بجورجيو وأحبته بجنون ولم تعد من عطلتها في ذلك الوقت، شعرت جولييت أن أمها غدرت بها وابتعدت عنها، لكن الآن وبعد أن أصبحت راشدة أدركت طبيعة الموقف وفهمت لم اختارت أمها الرجل الذي أحبت بدلاً من ابنتها. عندما تحدثتا عن ذلك في ما بعد قالت أمها بصراحة: «بعد احدى عشرة سنة مضجرة وخالية من الحماس مع والدك، عشت مع جورجيو وعندها شعرت وكأنني عدت للحياة من جديد. لقد كنت صغيرة يا عزيزتي. لم أحتمل العودة إلى جاك. لقد تعذبت لأنني تركتك، وكنت أعرف أن هذا الأمر يؤلمك، ولكنني الححت على أن تكوني معنا، وبقيت

أتأمل في استرجاعك بعد حصولي على الطلاق. لم أعتقد أنه سوف يسمح لي بالإحتفاظ بك. وفوق ذلك، فهو لا يبقى في البيت، ولم يظهر أي اهتمام بك. كان المحامي الذي وكلته، واثقاً من حصولي على حق الحضانة. ولم نحسب أن السيدة جيرارد تهتم بك.»

وقالت جولييت باستياء: «أعتقد أن والدي أحتفظ بي ليغيظك.»

«أنا لا أشك في ذلك! لقد كان صعباً جداً!»

لقد قررت المحكمة أن تبقى جولييت حيث هي بمنح الحضانة للسيد جاك نيوكم، ولكن لوالدتها الحق في رؤيتها مرة في الأسبوع إذا أرادت.

«عندما سكنت أنا وجورجيو في لندن اقترحت أن أزوريقون مرة كل أسبوعين، على أن تزورينا أنت أسابيع متعاقبة ولكن والدك لم يرضى. ولم يكن يسمح لك بالخروج معنا عندما كنا نأتي لزيارتك. لقد جعلنا نسكن في الكوخ هناك، وهو موجود كل الوقت، يحدق بنا مثل - عظاءة كبيرة مفزعة، إن الحياة بعيداً عن المسكين جورجيو مرعبة.»

ضحكت جولييت وقالت: «آه، أنا أذكر تلك الزيارات!» فلقد كانت صعبة ومربكة لها أيضاً.

تنهدت والدتها وقالت: «أما بالنسبة لزيارتك لنا، فكان يرفض مجرد الإستماع لهذا الموضوع. وقال إنه ليس مستعداً لأن يهدر وقته ويأخذك إلى لندن ولن يسمح لك بالسفر بمفردك. لقد شعرت بالذنب. لم نستطع أن نوفر المال ولا الوقت لنقوم بزيارات أسبوعية يا عزيزتي.» ثم نظرت إلى جولييت واجمة كئيبة وأردفت: «هل تكرهينني؟»

«بالطبع لا،» أجابت جولييت وكانت متأكدة من أن أمها تريد سماع هذه الكلمات، وبعد برهة كان ذلك صحيحاً لأن والدها جعلها تخافه ووقفت إلى جانب أمها في نزاعهما. «أنا لا ألومك لأنك أردت الإبتعاد عن والدي.» كانت أمها دائماً تراسلها في عيد ميلادها وفي عيد الميلاد. وحتى تكون عادلة فهي تعترف بأن والدها لم يحاول يوماً إخفاء هذه الرسائل ولا بطاقات المعايدة، ولم يحاول أن يعيد الهدايا التي كانت ترسلها لها أمها. ومن الصحيح أيضاً، أنه نادراً ما كان يتفوه بكلمة ضد والدتها ولكنه لم يأت على ذكرها أبداً.

بدا وكأنه قد محا زوجته السابقة من ذاكرته، بدءاً من اليوم الذي عمد فيه إلى إفراغ الكوخ من كل ما تركته شيرلي خلفها ثم أضرم النار فيها في الحديقة.

راقبت جولييت كل ذلك من نافذة غرفتها شاحبة ومرتعبة لرؤية كل شيء يُدمر. تستطيع حتى الآن أن تتذكر الدخان المتصاعد، والسماء الرمادية التي بدت من خلال الأغصان العارية، ورائحة أوراق الخريف، ووجه والدها الغاضب وهو يدور حول النار. حتى في تلك المرحلة من عمرها شعرت جولييت بطبيعة والدها العنيدة الصلبة، تبرز من خلال تصرفاته وهذا ما آلمها كثيراً.

لقد بدا في الشكل نفسه عندما وجدها بين أحضان سايمون، كان بارداً، عابساً لا يسامح ولا ينسى. ولم يكن لإنكارهما ولا لمحاولتهما شرح ما حصل، أي تأثير عليه.

كان روبرت جيرارد غاضباً أيضاً ولكن باتجاه مختلف. فوضع ذراعه حول جولييت وقال بخشونة: «هذا يكفي يا جاك. ألا تستطيع أن ترى أنك ترعب الطفلة؟ خذها إلى منزلها الآن. سوف نؤجل بحث هذه المسألة حتى الصباح.»

«لن تدخل بيتي مرة ثانية، لا أريدها،» قال جاك بانزعاج.

عندها صدرت عن جولييت صرخة مروعة وأحكم روبرت جيرارد يده عليها وقربها منه أكثر ووضع ذقنه فوق شعرها المتمايل.

«جاك، بحق السماء!» اعترض جيرارد، لكن والدها استدار مبتعداً وكأنه قد قال كلمته الأخيرة.

ثم قال سايمون فجأة: «أنا أنوي الزواج منها!» وبعدها حدق الرجلان الكبيران فيه في لحظة صمت وانتظار.

حدق سايمون إليهما وأضاف وهو شاحب مقطب الوجه: «ولكن يجب أن تزف من منزل والدها، لا من منزلنا، وإلا تزداد الثرثرة حول الموضوع وهذا ما تحاول تجنبه، أليس كذلك؟»

أمعن والدها النظر بسايمون ثم نظر إلى جيرارد متسائلاً.

كان روبرت جيرارد شاحباً كما هو حال ابنه وحدق في سماء ليلة الخريف الصافية مقطباً جبينه وهو يفكر في الأمر، ثم نظر إلى جاك نيوكم وهز رأسه موافقاً.

وهكذا انتهى الموضوع في تلك الليلة وعادت جولييت مع والدها إلى البيت وكان صمته يدل على أنه لم يغفر لها، بل سوف تنتظر يوم زفافها وبعدها تنتقل إلى شانتريز. قرر سايمون ووالده أن شهر العسل ضروري لإعطاء مظهر طبيعي لهذا الزفاف المشبوه المستحيل.

وهكذا انتقل العروسان من مكتب تسجيل العقود إلى فندق في توتون لقضاء عدة أيام، ولكن في اليوم التالي مباشرة استيقظت جولييت باكراً ومن دون أن توقظ سايمون انسلت خارجة من الفندق ومن حياته تاركة ملاحظة صغيرة.

«كل ما حدث كان غلطة، لا أستطيع أن أعيد تجربة الليلة

الماضية مرة ثانية. ولا أريد أن أكون متزوجة. أرجوك طلقني أو إفسخ عقد الزواج أو أي شيء تريد، ولكن لا تلحق بي لأنني لن أتحمل رؤيتك ثانية أبداً. سوف أكون على مايرام- أنا ذاهبة إلى والدتي.»

لديها ما يكفي من المال لثمن بطاقة إلى لندن. فجلست صامتة طيلة الطريق، تشعر كالهارب الذي يخشى أن يُمسك به في أية لحظة ليعود إلى مكانه. وإنها لراحة كبيرة لها أن تصل إلى هدفها. لقد استقبلها جورجيو وشيرلي بأذرع مفتوحة وبدهشة كبيرة. لم يعلما بأمر الزواج وهي لم تكن قادرة على إطلاعهما بما حدث.

سألتها والدتها: «هل تركت المدرسة؟»

فهزت جولييت رأسها وقالت: «أريد أن أجد عملاً.»

«لقد حصلت على واحد،» قال جورجيو بمرح وأضاف: «عمل ومنزل... معنا يا جولييت.»

تجمعت الدموع في مقلتيها وهي تقول: «هل أنت متأكد من أنني لن أسبب أي إزعاج لكما؟»

رقت عينا جورجيو بالمشاعر، فقد كان ودوداً، رقيق القلب ثم قال: «إزعاج؟ آه، لا، لقد أردناك دوماً معنا- هذا هو بيتك ونحن سعيدان لأنك بيننا.»

قالت أمها بطريقتها العملية ولكنها كانت تبدو مشرقة: «لدينا المزيد من الغرف، تعالي يا عزيزتي لتري.»

فأخذت جولييت إلى غرفتها الجديدة المطلية بلون فاتح والتي كانت بعيدة بعد سنين عن غرفتها في الكوخ حيث ترعرت وعندما أصبحا وحيدين سألتها شيرلي بعنف: «ما خطبك يا عزيزتي؟ يسعدنا كثيراً أن تكوني معنا، ولكن ما الذي دفعك بالضبط إلى المجيء؟ مشاجرة مع والدك؟»

لقد تاقت لأن تثق بوالدتها، ولكنها كانت تخشى أن تغضب منها إذا علمت بما حصل. ماذا لو أمها لامتها وأعتبرتها مذنبة؟ لقد تذكرت الإشمئزاز في وجه والدها عندما جابهها هي وسايمون - لن تتحمل أبداً إذا كانت نظرة والدتها مماثلة.

لذلك كذبت وهزت برأسها: «أنا نعم، هو... أنا...»

وتحركت عواطف شيرلي عندما تلعثمت جولييت ووضعت ذراعها حول ابنتها وعانقتها: «طفلتي المسكينة! ماذا فعل؟ هل ضربك؟»

«آه، لا، لا يضربني أبداً...» فشحب وجهها وهي تتذكر وجه والدها ثم أضافت: «لقد كلمني... وجه إليّ نظرة وكأنني...» ثم توقفت عن الكلام وهي تعض على شفتها.

فعبست والدتها وقالت: «أعرف تماماً ماذا تعنين. والدك رجل من الطراز القديم. اعتقد أنه لا يريدك أن تكبري. أتساءل كيف يستطيع أن يتأقلم مع فتاة مراهقة! حسناً لا تقلقي، سوف أرعاك وأهتم بك، وهو لن يثور عليك وأنت معي.»

«ماذا لو تبعني إلى هنا؟»

«إذا فعل، فسوف يتعامل معي. لقد بقيت معه لفترة طويلة، والآن جاء دوري لأرعاك. لما كنت تركتك معه لو لم أعتقد أنه يحبك. لقد حاربت حتى الموت من أجل الحصول عليك. لا تقلقي، سوف ننهي الموضوع بشكل حسن، وأنت لن تريه إذا لم ترغبي في ذلك.»

«لا أرغب في رؤية أحد منهم بعد اليوم.»

بدأت تعمل في المخزن الذي تديره شيرلي بينما كان جورجيو منهمكاً في مخزن آخر كان قد افتتحه في «نايتس بريدج» التي لا تبعد عن هارودس. ولعدة أشهر بقي ما حصل ملازماً جولييت، ففي أية لحظة كانت تتوقع حضور سايمون أو والدها أو روبرت

جيرارد، ولكنهم لم يحضروا. وبدأت تدريجياً تبعد أحداث ما حصل إلى خلف ذاكرتها. فلقد احتلت حياتها الجديدة كل أفكارها. كانت صغيرة وتعيش في لندن أحد أعظم المدن سحراً في العالم. فرفضت أن لا تكون سعيدة.

ثمانية أعوام قد مرت دون أن يزعج أيامها المليئة أي شيء. ولكن الآن، وعلى نحو غير متوقع ظهر سايمون من جديد.

لقد بهرتها الأخبار التي جاء بها سايمون. موت روبرت جيرارد كان محزناً بالنسبة إليها. ولكن الصدمة الأقوى كانت الأخبار عن وصيته. لم يكن عدلاً منه أن يترك شانتريز بعيدة عن سايمون، ولكن حتى سايمون لا تصدق أبداً أنه توقع أن تأخذ طلبه على محمل الجد. ولكن هل فعل؟

طرقة حادة على باب غرفة النوم جعلتها تقفز وأعصابها تتوتر.

«استيقظي، يا جولي. لقد اعددت القهوة وسوف أعد بعض طعام الفطور.»

قالت بسرعة بعد أن سمعت صوته العميق: «سأكون جاهزة بعد خمس دقائق.»

فضحك وأجاب: «سوف أصدق ذلك عندما أراك.»

بعد أن تحداها، أسرعت تغتسل وترتدي ثيابها ونزلت إلى الطابق السفلي بعد سبع دقائق، في الوقت الذي كان فيه سايمون يضع صحن لحم البقر المشوي والفطر على الطاولة.

ثم جلس وهو يرفع حاجبه الأسود وقال: «مدهش! لقد فعلتها.»

تجاهلت ذلك، وأخذت كوباً من القهوة السوداء كان قد سكبها لها وسألت: «من أين أحضرت لحم البقر والفطر؟»

قال وهو يناولها صحن الطعام: «لقد توقفت في الليلة الماضية عند مخزن وقلت، في حال لم تحضري معك ما يكفي من الطعام الطازج، أكون قد أحضرت المزيد.»

«شكراً لك، إن رائحة الطعام شهية» قالت وهي تحس جوعاً شديداً.»

فأكلا بصمت لعدة دقائق ثم عندما تناول كل منهما شريحة من الخبز المحمص ووضعا فوقها القليل من المربى، قال سايمون: «الثلج يغمر المرء إلى الركبتين هذا الصباح - هل لاحظت ذلك؟»

لم تكن قد لاحظت، لذلك جفلت ونظرت عبر النافذة. كل ما استطاعت رؤيته هو أن الحديقة أصبحت صحراء بيضاء، متموجة لا آثار عليها إلا آثار أقدام عدة عصافير مبعثرة هنا وهناك. لقد تراكم الثلج حتى أعلى حائط الحديقة. مما يعني أن الطريق مقطوعة.

أسدلت أهدابها بتوتر وراقبت سايمون. لم يعد يبدو شريراً كما بدا الليلة الماضية في سترته الجلدية السوداء وحذائه الأسود العالي الساق. لقد حلق ذقنه واستحم ومشط شعره وارتدى بنطال جينز مع قميص قطني أبيض وفوقه كنزة بيضاء. وبدا مرتاحاً وغير مكترث، ولكن جولييت لم تثق به أكثر من ثقتها بسمك قرش يسترد دفئه بحرارة الشمس. نظر سايمون إليها عبر المائدة وكان في عينيه الرماديتين تعبير جعلها تضطرب.

«لن يكون باستطاعتنا أن نغادر، ولهذا لدينا متسع من الوقت،» رددت جولييت تدريجياً آخر كلمة قالها وهي حائرة.

«الوقت؟»

«الوقت لـ ... نتكلم،» تمتم وهو يتأملها بكسل من رأسها حتى أخمص قدميها ثم أضاف: «وأمور أخرى.»

احمر وجهها مجدداً. لم يكن الحديث ما يكدرها ولكن «الأمور الأخرى» هي التي تزعجها، ولكنها لم تقل ذلك. يجب عليها أن تراقب ما تقول له لأنه كان في حالة خطرة ومؤذية. قد يكون مرتاحاً ومبتسماً في الظاهر ولكنها تعلم أن الغضب والعداء يغليان تحت مظهر مشرق كاذب وقد يطلق لهما العنان في أي وقت.

«هل تريدين المزيد من القهوة؟»

أخذت بعض القهوة وهي شاردة الذهن وتمتمت قائلة: «شكراً.» لا تستطيع البقاء معه هنا ولكن كيف تستطيع أن تهرب؟

«كيف حال والدتك؟» سألها بأدب.

«حسنة جداً.» أجابت وهي تنظر إلى النافذة بقلق. وكانت كتل رقيقة من الثلج تتساقط بسرعة منذ فترة. ثم تابع سايمون نظراتها المذعورة وابتسم.

«آه، يا عزيزتي إنها تتثلج من جديد وقد نبقى هنا لأيام عديدة.»

فكرت بصوت عال: «سوف تحضر آليات لجرف الثلج ولفتح الطريق.»

قال سايمون مصححاً كلامها: «الطريق الرئيسية، ولن يفتحوا هذه الطريق ـ أعتقد أن القليل القليل من الناس يسلكون هذه الطريق في الشتاء.»

نظرت جولييت إليه بحدة وهي عابسة: «كيف علمت بأمر هذا المكان؟ بأي طريقة؟ كيف وجدته؟»

فهز كتفيه غير مبالٍ ثم قال: «لقد أجريت عدة مكالمات هاتفية أصيل البارحة، وذلك بعد أن ذهبت إلى لندن وتبينت أنك تركت العمل وأنك لست في شقتك. اتصلت بوالدتك فلم يجب أحد هناك أيضاً ـ ثم اتصلت بكل مخازنكم وبعدها تكلمت إلى إمرأة قالت إنك في كورنوول.»

انتاب جولييت شك وتساءلت: «هل كانت تلك هي المرأة في مخزن «بوند ستريت» بالصدفة.» فهز رأسه إيجاباً، وفكرت جولييت بصوت عالٍ «انتظر حتى أرى ساندي مرة ثانية! إنها تعلم أن من مبادىء الشركة عدم إعطاء تفاصيل شخصية عن أي من أعضاء الهيئة إلى غريب!»

لمعت عيناه من الدهشة وقال: «ربما نسيت.»

نظرت جولييت إليه دون أن تجيب على دعاباته وسألت: «أنت لم تخبرها... أي شيء... هل أخبرتها؟»

«إننا تزوجنا، مثلاً؟» سأل ساخراً وهو يراقب وجهها وهو يزداد توردا.

مجرد الفكرة بأن ساندي تعلم سرها الدفين منذ زمن، جعلها تريد أن تصرخ، وكان سايمون يعلم بذلك فتركها في شك للحظة أطول وهو يبتسم ابتسامة عريضة جعلتها ترغب في ضربه ثم هز رأسه.

«لا، لم أفعل. كل ما قلته هو انني أحتاجك لموضوع مهم جداً وهو موت أحد في العائلة، ولسبب ما اعتقدت أنني في أيطاليا، فلذلك أخبرتني بأنك في كورنوول. لقد تمتمت بشيء ما عن والدتك، ولذلك لم أكن أعلم إذا كنت هناك معها أم لا، وهي لم تعرف العنوان ولا رقم الهاتف. ولكن الحصول عليهما لم يأخذ مني وقتاً طويلاً.»

«أنا واثقة من ذلك!» قالت بمرارة، وبدا أنه أكثر استمتاعاً وكأنها تثني عليه وحتماً ذلك لم يكن قصدها.

«حسناً، «مندلي» ليس إسماً معروفاً في إنكلترا. ثم قصدت مكتبة مراجع وفتشت عن دليل الهاتف لمنطقة كورنوول، ثم أخذت الرقم لأتأكد من أنك فعلاً هنا. وأنت أجبت، وهكذا انطلقت

بسيارتي. وبما أن الخارطة معي فلم يكن صعباً الوصول إلى أقرب قرية. وتوقفت في المرآب للتزود بالوقود والطعام، وأخبروني كيف أجد الكوخ. بالطبع اعتقدوا أنني مجنون لأقود السيارة في طقس كهذا.»

ردت جولييت بسرعة وحسم: «وإنك لكذلك!» فنظر إليها ضاحكاً.

«وماذا عنكِ أيضاً؟ لمَ بحق السماء أنتِ هنا في هذا الوقت من السنة؟»

فشرحت له عن أعمال البناء التي يجب أن تنجز، ولما أرادت أمها أن تعلم أن الكوخ ما زال في وضع جيد، ولكنه وجه إليها نظرة ساخرة.

«إذاً، بينما هي تقضي إجازتها في إيطاليا المشمسة، عليك أنتِ أن تقودي السيارة كل هذه المسافة إلى هنا وخاصة في العاصفة الثلجية العنيفة.»

«إنها ليست في إجازة!»

«إذاً لمَ هي في إيطاليا؟»

ترددت جولييت ثم قالت: «أشغال.» وهي لن تخبره عن مشكلة جورجيو لأنه سوف يستنتج أن الرجل المسكين قد جلب كل هذه المشكلات لنفسه.

رفع حاجبيه الأسودين إلى أعلى بطريقة ساخرة: «إنه من غير المعقول التفكير بأنها أصبحت سيدة أعمال ناجحة. أنا أذكرها سيدة صغيرة دائماً في الخلف، وقد دهشت عندما علمت أنها هربت مع ذلك الإيطالي. كان والدي دائماً يعتقد أنها سوف تعود - قال إنها هفوة في خريف العمر.»

كانت عيناها تلمعان من الغضب وهي تقول: «جورجيو كان أجمل شيء في حياة أمي، ولا ألومها لأنها تمسكت به بعد أن

عاشت سنين «في الخلف» كما وصفتها. لماذا باعتقادك كانت هادئة؟ فالحياة مع والدي كانت تقتلها وكانت أمي تقول دائماً إن حياتها مع والدي كالعيش في جزيرة مهجورة وحيدة مع شخص لا يلاحظ أنها موجودة هناك. وطبيعة شخصيتها تتسم بالنشاط والحيوية بينما كان والدي منطوياً على نفسه بطريقة تخنقها.»

مال إلى الخلف ودس يده في شعره، ثم قال وهو عابس الوجه: «نعم، والدك رجل يصعب العيش معه، أنا أصدقك.» ثم نظر إليها متحدياً، وقال: «ألا تريدين سماع أخباره؟»

فالتقت نظراتهما وقالت وهي رافعة رأسها: «هل أرسل لي أية رسالة؟»

فهز رأسه نفياً وهو ما زال يراقبها.

بدا وجهها فاتراً وقالت: «حسناً، لا أريد أن أسمع شيئاً عنه. يوم تركت شانتريز قررت أن أنسى أنه موجود.»

كانت نظرات سايمون حادة كالمبضع وهو ينظر إليها وكأنه يبحث عن بعض نقاط ضعف ولكنه هز كتفيه غير مبالٍ: «اعتقد أنه خليق بالحياة التي يعيشها بالفعل. فهو يكرهني ولا يخفي ذلك. إنه يتلقى الأوامر مني بصمت، وإذا مررنا بجانب بعضنا فهو يهز رأسه ويبدي بوضوح أنه يلومني على كل شيء.»

«هذا ما يجمعنا» قالت ذلك وهي تنظر إلى الأسفل.

«ماذا؟»

جعلها صوته تقفز ولكنها رددت ما قالت بعناد وبصوت أعلى.

صاح سايمون بصوت مرتفع: «هل تلومينني؟» ثم ضحك بخشونة وبطريقة متصنعة وأردف قائلاً: «وكامرأة كيف يكون ذلك؟ أنتِ لم ترمِ بنفسكِ عليَّ يوماً بعد يوم، فلم تو ضحي ما أردتِ...»

«لم أدرك ما كنت أفعل - لقد كنت صغيرة جداً.» قالت مدافعة

عن نفسها. لقد كانت مجنونة به، إنه سحر الحب الأول المتهور الذي يصعب ضبطه. فتملكت قلبها وعقلها رغبة لم تشعر بها من قبل. ولو أنه نفر منها لما كانت أظهرت عواطفها. لقد كانت خجولة جداً ولا تثق بنفسها. كان سايمون يستطيع تجنب ما حصل. كان يستطيع أن يوقف اندفاعها بلطف ولكنه لم يفعل بل بخلاف ذلك جعلها تشعر أنه يكن لها نفس المشاعر.

فقالت تتهمه: «تلك الليلة، كان بإمكانك أن تبعدني عنك لكنك لم تفعل. ما كان يجب أن تُعانقني أبداً تلك الليلة.»

«هل عانقتك؟» ردد بقسوة، فاحمر وجهها.

«حسناً، قد أكون بدأت أولاً، لكنك لم تكن مضطراً للتجاوب فأنت لم تكن مراهقاً بل كنت رجلاً راشداً.»

«وكنت الشخص الذي يجب أن يدفع الثمن، لقد جعلوني اتزوج منك، هل تذكرين؟ لقد كان الثمن الذي دفعته غالياً بالنسبة لعناق.»

ضحكت بمرارة: «آه، أذكر، وحتى تستعيد حقك جعلتني أرد الثمن، أدفع ليلة زفافنا، أليس كذلك؟»

تجهم وجهه وضم قبضته. وللحظة اضطربت وخافت أن يفقد سيطرته على أعصابه. فقد فَقَدَ سيطرته على أعصابه ليلة زفافهما.

«لقد كنت غاضباً أكثر من أي وقت في حياتي.»

«لم تكن مضطراً لأن تكون بهذه الوحشية!» اتهمته وبدت عيناه تلمعان غضباً.

«جولييت، اعانتني السماء، إن لم تتوقفي عن قول مثل هذه الأشياء، سوف...»

«ماذا؟ تضربني؟» قاطعته ثم أخذت تتنفس بصوت مسموع وهو يحدق فيها.

«لم أقم يوماً بضرب امرأة، ولكن بالنسبة إليك قد يكون

هناك إستثناء! وإذا كنت أكثر لطفاً معكِ تلك الليلة فذلك لأنني كنت غاضباً لاضطراري إلى الزواج منكِ!»

فعضت على شفتها، وتوردت فانتبه إلى رد فعلها فتنهد غاضباً.

ثم قال: «أنا آسف يا جولييت. ولكنك بالطبع تستطيعين الآن أن تدركي لمَ شعرت بتلك الطريقة؟ فأنت لم تعودي فتاة مدرسة. لو لم تشعري والدكِ بأنني مذنب، لقد اتهمني باغتصابك ودعاك بأسماء رذيلة... يا إلهي، ماذا كان بإمكاني أن أفعل غير اقتراحي الزواج منك. ثم شعرت أنني كنت غبياً وكأنني وقعت في مصيدة. حاولت عبثاً الوصول إلى حل، فلم استطع، فقد صمم والدي ووالدك على الحل. وحتى لو استطعت أن اقنع والدي بأنكِ مازلتِ عذراء وانني لم أمسكِ فوالدك كان سيصر على الزواج. حسناً، ولقد اعتقدت أيضاً أن كبرياءه تمنعه من التراجع ولذلك توجب عليَّ أن أتابع حتى النهاية.»

«لا تتكلم في هذا الموضوع بعد الآن!» صرخت به وهي ترتجف. فقد كان سايمون على حق: إنها تستطيع أن تفهم كيف شعر - ربما قد شعرت بنفس الطريقة؟ والدها دبر شيئاً في تلك الليلة. والبراءة في وجهها جعلتها تشعر بالخجل، لقد تحول حبها لسايمون إلى مرارة وكانت ترتجف لمواجهة نظرة والدها المتهمة. لقد حاولت أن تقنع نفسها بأنها سعيدة لزواجها منه، ولأن حلمها قد أصبح حقيقة، ولكن حتى قبل أن يعاملها بتلك القسوة في ليلة زفافهما كانت تخشى المستقبل.

أجاب سايمون بسرعة وبصوت حاد: «يجب أن نتكلم في الموضوع عاجلاً أم آجلاً! فما حصل تلك الليلة جعل والدي يغير وصيته، ويفسد عليَّ حياتي!»

وأجابت جولييت بسرعة وبحسم: «ماذا تعتقد ما فعل هذا الموضوع في حياتي؟»

التزم الصمت، ثم نهض فجأة وأخذ يرفع الطعام عن المائدة. فشعرتَ بالراحة وأخذت تساعده في نقل الصحون إلى المطبخ وتنظيفها. وعندما انتهى كل شيء، أخذ سايمون يتجول في أرجاء غرفة الجلوس يتأمل الصور والزينة، وبدا أنه يفكر في شيء ما. راقبته جولييت وهي جالسة مثل قطة صغيرة متوترة، تلتف حول نفسها في كرسي عميق، وقدماها تحتها. جلست متسائلة عم يجول في خاطره وكيف تستطيع أن تقنعه بوجوب رحيله. وبنظرة منها إلى النافذة تبينت أن الثلج ما زال يتساقط مع الريح التي تستطيع أن تسمع عويلها حول المنزل. ومع هذا، ليس هناك أي مجال للهرب خلال ساعات، ولكنها كانت متوترة لأنها موجودة معه بمفردها في تلك المنطقة.

«يبدو أنكِ تعيشين حياة ناجحة منذ أن رأيتكِ آخر مرة.» علّق أخيراً وهو يرمي بنفسه على الأريكة إلى جانب كرسيها. وكان يحدق إليها ويداه خلف رأسه وأردف قائلاً: «هروبك للعيش مع والدتك وفراقكِ بداية جديدة. كان يجب أن أرحل أنا أيضاً، ولكنني شعرت بأنني لا استطيع أن أنسحب واترك والدي. لقد توجب عليّ أن اواجه المحنة بجرأة. ولكن صدقيني هذا لم يكن سهلاً، خاصة وأن والدي يعاملني وكأنني منبوذ. لقد حضر جنازة والدي، ولكنه لم يكلمني. وبعد مراسم الدفن ذهب في طريقه.»

«لست أعلم كيف استطاعت أمي أن تتحمل كل تلك المدة،» قالت جولييت وهي شاردة الذهن، تلاحظ كيف أن نور الشمس يلمع فوق هذا الشعر الأسود الكثيف. ورأت وللمرة الأولى شعرة أو اثنتين بلون فضي في رأسه وفكرت أن الوقت يجري به. سوف يبلغ الأربعين بعد بضع سنين وبدا لها هذا مستحيلاً.

«لا بد وأنها قد أحبته،» أجاب سايمون.

«فقط لأنه كان مختلفاً عن كل الأشخاص الذين عرفتهم. لقد أخبرتني يوماً ـ أنها تزوجت منه لأنه صعب حتى الأعماق، صامت وغامض، إنه رجل لغز. لقد اعتقدت أنها تستطيع أن تخترق جدار الصمت هذا. قد تفهمه ـ ولكنها لم تستطع. وما لم تدركه هو أنه ليس بحاجة لها، ولا في حاجة لأحد. أتعجب مما كان يمكن أن يحصل لها لو أنها لم تلتق جورجيو. لأنه رجل محب، لقد استطاع أن يسعدها. فهي الآن مختلفة، ولن يتمكن من معرفتها. لقد بنيا معاً عملاً ناجحاً، فهما شريكان حقيقيان يتخذان القرارات معاً، يريان بعضهما بعضاً كل يوم، ويعملان معاً بسعادة. كان الأمر مختلفاً تماماً عن السنوات التي قضتها مع والدي.»

«لقد قرأت يوماً مقالاً عنهما، وذلك عند بداية فتح مخزن في مانشستر، وقد كان لهما صورة. لقد تعرفت إلى والدتكِ مع أنها تغيرت كثيراً: بدت رائعة. استطيع أن أفهم ما تعنيه لأنها بدت فعلاً سعيدة. حتى ذلك الوقت لم تكن لدي أدنى فكرة عن مدى نجاحهما. لقد ذكرتِ أنت أيضاً ـ «ابنتهما، جولييت، التي تعمل لحساب الشركة في لندن». لقد دُعيتِ المرأة السمراء الأنيقة.» نظر إليها نظرة خاطفة تقييمية ثم أضاف: «أنيقة؟ ليس تماماً، ليس هذا الصباح.»

ولأن الطقس كان جليدياً فقد ارتدت من الملابس الموجودة معها الأكثر دفئاً؛ وكانت قد تركتها في الكوخ منذ الخريف الماضي، بعد زيارتها الأخيرة عندما قدّمت المساعدة في طلاء المخزن القديم خلف الكوخ. ولم تزعج نفسها في إعادة حزم تلك الملابس في ما بعد، بل اكتفت بغسلها ووضعها في الخزانة حيث وجدتها في ذلك الصباح، وكانت تفوح رائحة خفيفة من كيس صغير أرجواني معطر كانت قد حفظته مع الملابس: بنطال جينز قديم، قميص رجالي أصفر مخطط وهو من إيطاليا، كانت قد

استعارته من جورجيو خلال فترة أحبت فيها أن ترتدي قمصاناً رجالية، سترات ومعاطف مع كنزة صفراء سميكة من الصوف. ولكن لديها هدف آخر من وراء اختيار هذه الملابس وهو لأنها الأقل جاذبية من بين المجموعة التي معها، فلقد كانت ترتديها كسلاح ضد سايمون.

«تبدين واقعية، عملية وجاهزة لأي طارىء،» قال ذلك وهي لم تعتقد أنه يقدم لها إطراء. وربما حذر من كونها ارتدت هذه الملابس لتصده. توقف برهة يراقبها ثم سأل: «هل أنتِ كذلك؟»

فحدقت فيه حائرة.

وسألت: «أنا ماذا؟»

«جاهزة لأي طارىء،» قال ذلك وهو يراقبها مبتسماً عندما علت وجهها حمرة من الخجل، ثم قال فجأة: «أنتِ تعلمين، أنا أتعرف عليك بصعوبة، لو التقيت بك في الطريق لما عرفتكِ حتماً.»

«أنت أبداً لم تفعل،» قالت ورأسها إلى أسفل. وبدا فمها قاسياً ثم أضافت: «أكثر مما عرفت والدتي.»

«حسناً، ها نحن إذاً، بمفردنا ـ في هذا الوقت سوف نتعرف إلى بعضنا أكثر،» قال ذلك ونهض، مما أرعبها. فاندفعت مذعورة ونهضت هي أيضاً ووقعت على كرسيها.

«لا تلمسني!» لقد كانت تحاول أن تدفع بتهديده بعيداً عن عقلها، محاولة إقناع نفسها أنه لم يعنِ ما قال. ولكن الخوف سيطر على عقلها فجأة وأخذت ترتجف بقوة وأردفت قائلة وهي تحدق إليه: «لن أستطيع أن أتحمل لمستك!»

«يجب عليك أن تتحمليها،» قال سايمون بصوت منخفض وخشن، وكان صوته يحمل إصراراً مزعجاً، حذرها من أنه كان يعني تماماً كل ما قال.

الفصل الرابع

«أنا ذاهبة لأمشي قليلاً،» قالت جولييت بيأس وهي متجهة إلى الباب وكانت تأمل أن لا يوقفها.

لم يوقفها لكنه تقدم خلفها في خطى متباعدة غير سريعة قائلاً: «فكرة حسنة. يبدو أن تساقط الثلج قد توقف والسماء تبدو زرقاء مثل عينيك.»

لقد أدهشها هذا التشبيه فاختلست نظرة إلى الخلف، لكنها لم تجازف وتنظر إليه بل انتزعت معطفها المصنوع من جلد الغنم من خزانة الملابس الموجودة في الرواق، وزررته، ثم وجدت حذاء بالياً قديماً ووضعت قفازين صوفيين واعتمرت غطاء مماثلاً للرأس والوجه، كانت قد أحضرته معها من اسكوتلندا في رحلة لها مع أمها وجورجيو منذ عدة سنوات، وقد تركته في كورنوول لأنه الأكثر ملاءمة للمشي عبر التلال في الأيام الباردة.

نظرت إلى سايمون ملاحظة أنه قد ارتدى سترته الجلدية والحذاء الأسود العالي الساق الذي يبدو كحذاء سائقي الدراجات النارية وكذلك وضع قفازين جلديين فقالت له: «يوجد بعض الأوشحة الدافئة إذا أحببت أن تستعمل أحدها.»

قال سايمون وهو يحني رأسه: «شكراً، ضعيه لي من فضلك.»

ترددت جولييت، ثم وضعته بسرعة حول عنقه وهي تحاول أن تلمسه، ولكن سرعتها جعلت أصابعها تلامس جده. فسيطرة على نفسها حتى لا تطلق صرخة بسبب الصدمة التي سببتها لمسته وكأن الكهرباء انتشرت في جسدها، فنظر إليها وعلى وجهه ابتسامة ساخرة.

«شكراً.»

واستدارت بسرعة وفتحت الباب، فنظرا إلى الخارج ولكن نور الشمس الساطع المنعكس على الثلج الذي بدا كالمرآة أزعج عيونهما. كانت الرياح متوقفة، ولكن البرد كان شديداً. حتى أن هذا الطقس القارس لم يكن موجوداً في أي مكان. بدت الأرض رائعة، عظيمة، مساحات منبسطة من الثلج الذي لم تدنسه قدم، أبيض يبهر البصر تحت تلك السماء الزرقاء. إنها جميلة تخطف الأنفاس، ولكنها جد خالية فلا يوجد بيت أو شخص على امتداد النظر. حدقت جولييت إلى ذلك الفراغ، وعضت على شفتها.

«هل غيرت رأيك؟ الطقس بارد!» قال سايمون بجفاف، فنظرت إليه بامتعاض وهي تغلق الباب خلفها.

«حتماً لا.» قالت ذلك وبدأت تمشي بخفة ثم لحق بها ومشى إلى جانبها وتابع خطواتها لأن قدميه كانتا أطول بكثير من قدميها. ورأت ظله الأسود يتحرك بجانب ظلها على الثلج الذي بدا كالزجاج، بدا رائعاً، رشيقاً، ومع ذلك كان مزعجاً لها في تلك المنطقة الخاوية، لأنه سكن عقلها وسيطر على كامل تفكيرها، أو لأنه اصطادها. فكرت جولييت وهي ترتجف في داخلها.

«هل أنت حقاً ترغب في عبور الهضاب؟ تذكر أنه ليس عملاً سهلاً المشي خلال نبات الخلنج.» قالت وكانت تتعمد أن تبدو وكأنها ترعاه.

فابتسم لها بتألق، مدركاً تحديها: «آه، اتوقع أن استطيع التأقلم.»

«حسناً، ولكن لا تقل إنني لم احذرك.» قالت بمرح. ثم حولا طريقهما إلى أرض واسعة، وبعدها خف تقدمهما لأنهما صادفا نبات خلنج مغموراً بالثلج، ثم قدما إلى منزلق من العشب حوله الثلج إلى شريحة متلجة. شعرت جولييت أن قدميها قد سحبتا من

تحتها، وانزلقت إلى أسفل وهي تصرخ بعد أن فشلت ذراعاها في إعادة توازنها. ووقعت على الأرض، محدثة صوتاً خلفها، ثم سمعت سايمون يضحك.

وتساءلت جولييت، هل يعتقد أن ذلك مضحك؟ لقد شعرت أنها غبية خاصة لأنها حذرته من الهضاب، وهذا الأمر جعلها عدوانية. توردت وشعرت بعظامها تؤلمها من أثر سقوطها، فغرفت في يديها الكثير من الثلج وأخذت تكوره في شكل كرة واستدارت لترميها في اتجاهه.

أصابته بضربة مباشرة على رأسه فتلون شعره الأسود بالثلج الأبيض وجلس فاغراً فمه من الدهشة، لأنها لم تكن يوماً رامية جيدة. كان يجب أن تنهض وتهرب لأن جلوسها في مكانها كان هدفاً جيداً. فتحرك سايمون بأسرع مما تتحرك أفعى مجلجلة.

انحنى ثم استقام، وبعد لحظة أصابتها كرة من الثلج وتناثرت حولها. فاختطفت كرة ثانية من الثلج، ووقفت على قدميها، وأطلقت ما معها من ذخيرة قبل أن تبدأ بالهرب. ثم سمعت حركة سايمون وهو يبدأ بمطاردتها، فأسرعت خطاها وأصبح تنفسها صعباً ومتقطعاً في حنجرتها. كان الأمر مجرد لعبة - لكنها لم تشعر أنها فعلاً كذلك.

أمسك بها بعد لحظة، والتفت ذراعاه حولها فصارعته بقوة، والرعب بادٍ على وجهها، وصرخت به: «دعني أذهب!» وكانت تقوس جسدها لتبتعد عنه قدر استطاعتها بينما احتواها في ذراعين قويتين.

كان لديها عدد من الأصدقاء خلال السنوات الثماني الماضية ولكن أحداً منهم لم يجعلها ضعيفة إلى هذا الحد لينال منها عناقاً واحداً.

سايمون هو الذي توقف كما كان هو الذي بدأ.

«في المرة المقبلة، عندما تحاولين أن ترميني بشيء، تذكري العواقب كيف ستكون، ثم أعيدي التفكير في الأمر.» قال سايمون بلطف وبشيء من السخرية، فاتسعت عيناها وتورد وجهها وهي تلتقي نظراته المحدقة بمرح.

«شكراً على هذه الفكرة المفيدة! لن انسى أبداً، فأنا حتماً لا أريد أن يحصل هذا الأمر مرة ثانية!» قالت بغضب.

كانت عيناه توجهان إليها توبيخاً ساخراً عندما قال: «هل أنت متأكدة؟»

انسحبت وتجنبت النظر إلى عينيه القاسيتين وبدأت تمشي بسرعة في اتجاه الكوخ، وشعرت بعد لحظة أن سايمون كان يتبعها وأقدام الحذاءين تسحق الثلج. أمامها الخط المزدوج من آثار الأقدام، قدميها وقدمي سايمون، تبين الطريق التي سلكاها في البداية. فشعرت بإحساس غريب، بارتعاش وكأنه وهمي على طول عمودها الفقري بينما كانت تحدق إلى الخط وكأنه فال سيء، وحاولت أن تتجنب العبور فوق تلك الخطوات.

«لم لا تمشين فوق آثار خطواتنا؟» سألها سايمون من الخلف، ولكنها تظاهرت بعدم سماعه وتابعت سيرها إلى جهة واحدة من الخط.

بعد لحظة توقف سايمون ولكنها لم تنظر إلى الخلف بل أخذت تبطيء من سيرها حتى ناداها: «انظري صقراً قادماً فوق شجر الصنوبر.... ما نوعه، هل ترينه؟ باشق؟»

توقفت جولييت، وظللت عينيها بإحدى يديها وهي تحدق إلى السماء الزرقاء. كان شكلاً أسود يتزحلق في الرياح وجناحين

منبسطين، ولكنه عال جداً ولم تستطع أن تتعرف إليه بالتحديد.

«أعتقد أنني لاحظت لوناً أبيض على أعلى ذيل الطائر.» قال سايمون.

«هذا يكون باشقاً.» قالت مؤيدة وراقبت حتى ترى العلامة البيضاء، ولكن في تلك اللحظة انقض الصقر وهبط إلى الأسفل وغاب عن نظرهما حتى عاد محلقاً إلى أعلى ثانية وهو يحمل شيئاً بين براثنه. فأصدرت جولييت تنهيدة قصيرة وقالت: «لقد قتل.»

لحق سايمون بها وهو يحول بصره عنها ويحدق بقسوة ويقول: «يجب عليه أن يقتل ليعيش.»

«أنا أعرف.» صرخت بغضب وأضافت: «كنت دائماً تردد ذلك على مسامعي عندما كنت صغيرة وقد كرهت هذا الأمر في ذلك الوقت، وأنا أكرهه الآن.»

كان وجهه صلباً يغلفه قناع من القسوة، وقال: «تكرهينه أم لا، إنها الحياة تسير بهذه الطريقة وليس باستطاعتك أن تفعلي شيئاً يا جولييت.»

«لست مضطرة لأن أحبها.» قالت وهي مشوشة الفكر وعقلها ملىء بصورة عن شيء صغير وناعم يصارع بيأس براثن الطائر القاسي الذي يحمله بعيداً.

أمسك سايمون بذقنها ورفع رأسها وراح ينظر إليها بقسوة بينما حاولت إخفاء ما كانت تفكر به. ثم قال ببرودة: «إن الطبيعة هي متوحشة في الأسنان والبراثن، ولا تستطيعين تغييرها، ومحاربتها لن تجلب إلا المصائب.»

فنظرت إلى عينيه بعناد وغضب لأن حديثهما لم يكن عن الصقر وفريسته فقط، وهما يدركان ذلك. فقالت: «هذا قاسٍ.»

لكنه هز كتفيه غير مبالٍ.

ثم قال: «الصقور طيور جميلة ونادرة الوجود، ولكن الطبيعة لم ترد أن يقتات هذا النوع من الطيور على النبات. فأنتِ لا تستطيعين أن تغيري أحكام طبيعتها، يا جولييت. يجب أن تكون عديمة الرحمة وإلا تموت.»

كان عليه أن يكون عديم الرحمة وإلا خسر شانتريز. هذا ما كان يحاول إخبارها إياه، وكانت عيناه العديمتا الرحمة وفمه القاسي تحذرها من محاولة الهرب من القدر الذي رسمه لها.

«لا!» صرخت معترضة، وأبعدت وجهها عن يديه واستدارت لتسرع. تركها سايمون تذهب ولم يحاول اللحاق بها. كانت منقطعة الانفاس، تتعثر فوق الثلج، وقدماها ترتجفان وسمعت خطواته البطيئة في عقبها، دائماً تتعقبها، خطى ثابتة أكيدة كالموت، تجعل قلبها يخفق بين أضلاعها وكأنه هاجس أو تحذير مسبق.

ووصلت أخيراً إلى الكوخ، ففتحت الباب الأمامي، ونفضت الثلج عن حذائها في الخارج ثم دخلت إلى الكوخ. وتركت حذاءها على الممسحة الموجودة على الباب وقلعت معطفها وعلقته، ثم قفازيها الدافئين، قبل أن تسرع إلى المطبخ وتضع إبريق القهوة.

سمعت سايمون ينفض الثلج عن حذائه، ثم صوت إغلاق الباب الأمامي بعدما دخل إلى الكوخ. ذلك الصوت بدا وكأنه يتردد في عقلها لأنه أغلق عليهما معاً وأبعد عنهما العالم بأجمعه.

عندما وضعت القهوة فوق النار، أسرعت إلى الطابق العلوي، إلى غرفة الحمام وهي تقول: «القهوة فوق النار!»

«هل أستطيع المساعدة؟» سأل سايمون من الرواق.

«تستطيع تحضير الفنجانين.» أجابت دون أن تنظر إلى أسفل.

وبعد لحظات، بينما كانت تغسل يديها، حدقت إلى صورتها المنعكسة في المرآة. كانت بشرتها متوهجة بلون وردي دافيء وذلك بسبب الهواء البارد والتمرين، وكانت عيناها تلمعان، وكأنها مصابة بحمى. فنظرت إلى نفسها نظرة إنذار وقلق. كان هنا منذ عدة ساعات، وها هو قد أحدث تغيراً جذرياً في حياتها. فهي لم تبد بهذه الصورة من قبل وسألت نفسها بغضب: مثل ماذا؟ وراحت تجفف يديها بمنشفة ملونة بألوان شاطيء البحر. مثل ماذا بحق السماء؟ مثل ماذا تبدو؟ مما كانت خائفة؟ سايمون لن... حسناً هو لن... كان صعباً عليها أن تضع أسوأ مخاوفها في كلمات. لقد ترددت حتى في التفكير في الموضوع، ولكن يجب عليها أن تفعل. سايمون لن يستعمل القوة معها.

نظرت وعيناها في المرآة ثانية، وحدقت إلى نفسها. لا، ذلك الموضوع لم يكن قابلاً للتفكير فيه. سايمون لن يفعل. أي شيء آخر قد يكون قادراً عليه ولكن ذلك كان مستحيلاً. فهي كانت متأكدة من أنه ليس من النوع الذي يغتصب امرأة.

بيد أن ذلك لم يجعلها تشعر بحال أفضل، أو بتوتر أخف، لأن ذلك لم يكن ما كانت تخشاه، هل هو؟ ما كان يزعجها حقاً هو أن سايمون لن يحتاج إلى استعمال القوة معها. فالقوة ليست ضمن خطته. لقد استطاعت أن تدرك كيف ينوي سايمون أن يصل إلى هدفه، وهي الآن متجمدة من الخوف، إنه ينوي إغراءها. وسوف ينجح في ذلك.

انظري إلى نفسك! قالت جولييت لصورتها المنعكسة في المرآة وكانت عيناها الزرقاوان تلومانها. حسناً، فقط أنظري إلى نفسك! عناق واحد وجعلك تشعرين بدوار تبدين من جرائه مصابة بحمى.

ماذا تفعلين عندما يحاول اغراءك؟ لأنه سوف يفعل ولن يخطىء في ذلك. أنتِ لا تستطيعين الهرب، فماذا ستفعلين؟ كيف ستبقينه بعيداً عنك؟ كان هناك الكثير من الأسئلة، ولكن من دون أية إجابة.

استدارت وهي تطلق تنهيدة يائسة، ونزلت إلى الطابق السفلي وهي مشمئزة. لو لم يكن الكوخ بعيداً بهذا القدر. والآن بما أن الثلج قد توقف، لا بد وأن الجرافات تعمل في الخارج على فتح الطرق الرئيسية. ولكن بعد النزهة القصيرة التي قامت بها. أدركت كم أن الثلج عميق ولا يوجد أي أمل في وصول سيارتها إلى الطريق الرئيسي. كانت سجينة هنا مع سايمون في هذه اللحظات ويجب أن تفكر في طريقة ما للتعامل معه. ولكن ليس لديها أي إشارة لذلك.

وفور وصولها إلى الرواق، بدأ الهاتف في الرنين، مما جعلها تقفز.

«هل أجيب أنا؟» نادى سايمون من المطبخ، ولكنها شعرت وكأن شيئاً ينذرها.

فصاحت بصوت عالٍ: «لا، أنا سأجيب.» وأسرعت لترفع سماعة الهاتف في غرفة الجلوس. حتماً أمها التي تتصل لتطلعها على آخر أخبار جورجيو. وبالطبع لم تشأ أن تسمع أمها صوت سايمون وبدأت تحسب إثنين مع إثنين ومئة وثلاثة.

ظهر سايمون على الباب وأخذ يراقبها فضاقت عيناه الزرقاوان وحذرتاها، فأدارت ظهرها حتى تخفي التعبير الظاهر على وجهها.

«ألو!» قالت متوقعة أن تسمع صوت أمها.

«إذاً، لقد ذهبت،» قال صوت رجل بجفاف، وللحظة لم تستطع أن تتعرف إليه لأن أموراً أكثر قد حصلت منذ أن ذهبت إلى لندن.

ثم أضاف الصوت الغاضب: «لم أصدق أنك سوف تذهبين فعلاً.» وعندها تعرفت على الصوت فأخذت نفساً عميقاً.

وقالت: «آه... آدم...»

شعرت بأن سايمون اقترب منها وكان اهتمامه مركزاً عليها.

سأل آدم بلهجة وكأنه يهددها مع أن صوته كان يحمل شيئاً من الرجاء: «هل تعودين الليلة؟»

«أنا آسفة،» قالت وهي تتمنى أن يبتعد سايمون قليلاً فلا يراقبها أو يسترق السمع إلى ما تقول. فقد كان من الصعب عليها أن تتكلم إلى آدم بحضور مستمع.

قال آدم: «جولي!، أنتِ تعرفين أهمية هذا الأمر بالنسبة لي! لا تكوني عنيدة - تستطيعين الوصول إذا انطلقت الآن.»

«ألا تثلج في لندن؟ لقد تساقط الثلج طوال الليل هنا - والطرق مقطوعة كلياً. وليس من الممكن أن أعود، حتى لو بدأت رحلتي الآن.»

لقد قال آدم شيئاً قاسياً وبصوت عالٍ مما جعلها تشعر أن سايمون قد التقط هذه الكلمات فنظرت إليه نظرة حادة من خلف كتفها ووجدت أنه قريب جداً منها متعمداً الإستماع إليها. فحدقت إليه بغضب، عابسة وابعدته بيد حاسمة لأنه لا يملك الحق في التنصت إلى مكالماتها الخاصة.

لكنه لم يبتعد بل اتكأ بكسل إلى الحائط بجانبها وكانت تعابيره لطيفة.

استدارت وتحدثت برقة في الهاتف: «آدم، أنا حقاً آسفة جداً، سوف أعود إذا استطعت.» ثم تابعت قائلة لأن سايمون واقف إلى جانبها: «أتمنى لو أنني لم آت، أتمنى لو أنني في لندن معك، هادئة وآمنة.»

كانت تعني ما تقول وكان صوتها أبح مفعماً بالصدق، مع أن

هناك عدة أسباب مختلفة أكثر عن المعنى الذي يتضمنه كلامها، ولكن هذا ليس مهماً، لأن آدم كان غاضباً لدرجة تمنعه من ملاحظة الفارق الدقيق في صوتها.

«الوقت متأخر للندم الآن، أليس كذلك؟ ماذا يجب أن أفعل؟ لا أستطيع أن أذهب بمفردي - يجب أن تذهب معي صديقة.»

«نعم، أعرف، أنا آسفة يا آدم.» شعرت وكأن عيني سايمون تحدثان حفرة عميقة في مؤخرة رأسها، فاستشاطت غضباً وتساءلت لم لا يكون لديه اللياقة الكافية ويبتعد؟

«آسفة؟ تبتعدين عني عندما أكون في أمس الحاجة إليك، حتى من دون سبب مهم، ثم تقولين آسفة؟» كان آدم يصرخ بصوت عالٍ، حتى كاد يصيبها بالصمم فابعدت السماعة قليلاً عن أذنها.

وبعد لحظة انتزع سايمون السماعة من يدها فصدرت عنها شهقة من جراء صدمتها ثم نظرت إلى وجه سايمون المتوتر.

«هذا يكفي،» صاح سايمون بالشخص في الجهة الثانية من الهاتف، بينما حاولت جولييت يائسة أن تسترد السماعة من يده ولكنه أوقفها بيد واحدة. وأضاف قائلاً: «لن أسمح لأي رجل أن يصرخ بوجه زوجتي عبر الهاتف، فانصرف.»

سمعت صوت آدم المحتار يقاوم الصوت الخشن المصقول، ثم أقفل سايمون الخط وقطع الاتصال. «أنت...» تلعثمت جولييت وكانت غاضبة لا تعرف ما تقول: «أنت...»

فحدق سايمون إليها وجسده الطويل النحيل بدا هادئاً بينما كان وجهه عابساً وقال: «حسناً، من هو؟» وخرجت الكلمات منه بشق النفس لأنه تلفظ بها من بين شفتيه.

«ليس لديك الحق في أن تفعل هذا!» قالت جولييت وهي تهتز من الغضب.

«وهل لديه الحق في أن يصرخ في وجهك عبر الهاتف؟» صاح سايمون وعيناه قاسيتان.

«لو أردت أن أقطع الخط، لفعلت،» قالت ذلك ورجعت إلى الخلف وهي تحدق إليه.

«لماذا لم تفعلي إذن؟ هل هو حبيبك؟»

تورد أكثر وأكثر ولكنها واجهت نظراته المحتقرة بنظرات مماثلة: «لو كان كذلك، فهذا شأني الخاص وليس شأنك!»

فتصاعد الغضب في عينيه الرماديتين وأمسكها من ذراعيها وهزها وهو يسأل: «هل هو؟ أخبريني، اللعنة عليك!»

«لن أخبرك شيئاً!»

«سوف تفعلين!» كان صوته زاخراً بالتهديد ولكنها تحدته فرفعت ذقنها وكانت عيناها الزرقاوان عنيدتين.

«لن يجبرني شيء على ذلك!»

«لا؟» قال بحزم ولكن شيئاً ما في وجهه القاسي جعل رجفة من الرعب تسري في داخلها.

بدأ يقربها منه وكانت قوته أقوى بكثير من قوتها، ولكن بدأ جرس الهاتف في الرنين مجدداً فتمتم وهو يشتم، ثم حرك يداً واحدة لينتزع السماعة وسأل منزعجاً: «نعم؟»

«أعطني هذه السماعة،» قالت جولييت وهي تحاول أن تأخذها، لكن سايمون أبعدها عنها وأبعد رأسه حتى لا تستطيع أن تصل إليها.

وسمعت آدم يسأل بصوت مرتفع: «من هذا؟»

«أنا زوجها. لا تتصل مرة ثانية لأنني سوف أقفل الخط،» قال سايمون وهو يضع السماعة مرة ثانية وقطع الخط بينما كان آدم يصرخ غاضباً.

أرادت جولييت أن تضرب سايمون - لقد كانت غاضبة جداً وكانت ترتجف وتدمدم بصوت أجش: «كيف تجروء؟ من تعتقد نفسك؟ إنك...» تجمدت الكلمات في عقلها لا تستطيع أن تكوّن جملة كاملة، كانت غاضبة. وتتلفظ بكلمات غير منسجمة، تحدق فيه وهي جاحظة العينين. «مستبد، متعجرف... الأكثر... تطفلاً وقح، تنتهك القانون... فرضت طريقك على حياتي وبدأت توجه المواعظلي! أنا لست موافقة على ذلك.»

«إخرسي!» صرخ سايمون فجأة وجذبها باتجاهه، فكان جسدها يتلوى دون جدوى بين قبضته المحكمة.

عندما عانقها من قبل في الخارج على الهضاب المكسوة بالثلج، كان لطيفاً، ولكن هذه المرة كان قاسياً، غاضباً، غير مبالٍ إذا كان يؤذيها، قاومته محاولة أن تبعد رأسها بعيداً عنه.

وفي مقاومتها، فقدت توازنها وبدأت بالسقوط، فتركت نفسها تسقط آملة في الهرب، ولكنه سقط معها، فقد كان ممسكاً بها، مع أنه توقف عن عناقها، فوقعا على الأريكة ثم إنزلقا إلى الأرض وكان صراعهما ما زال مستمراً.

وجدت جولييت نفسها معددة، فاستلقت هادئة وشحب لونها فجأة وابتعدت عيناها الزرقاوان وهي تحدق إليه مذعورة.

كان محدقاً إليها ينظر إلى أسفل، مستلقياً بهدوء تماماً مثلها وكذلك بدا يتنفس بصعوبة، وفي هذا الصمت المشحون سمعت دقات قلبه العميقة، ولم تكن تدرك ما كانت تفعل فوضعت يدها ترتجف فوق صدره لتشعر بدقات قلبه تحت باطن كفها وكان سايمون يراقبها.

«لن تستطيعي ذلك، هل تستطيعين؟»

«لن استطيع ماذا؟» لقد تأثرت بالإحساس بذلك القلب النابض

يخفق بدقات تنتقل إلى جسدها عبر باطن كفها، كان سايمون يضج بالحياة والحيوية. ولا تستطيع أن تتصور أن ذلك القلب سوف يتوقف يوماً عن الخفقان! وفكرت وهي شبه مبتسمة، أن أي رجل له قلب يخفق بتلك الصورة لا بد وأن يعيش إلى الأبد.

أمسك بيدها ووضعها مرة ثانية على صدره، وابقاها في موضعها وحدق إلى عينيها. «في ذلك الصيف، لم أكن أنا من قام بالمطاردة - بل كنتِ أنتِ.»

حولت بصرها عنه، ثم عضت على شفتها. كان ذلك صحيحاً ولا تستطيع الإنكار، ولا زالت تشعر بالذنب على عواقب هذا الأمر منذ ذلك الوقت. سايمون بالتأكيد لم يطاردها، في البداية كان مستمتعاً، مستسلماً ويفكر بها كطفلة. وسمح لها بأن ترافقه، عندما كان يذهب في نزهات مشياً على الأقدام، أو يلعب، كرة المضرب أو يسبح ولكن لم يبد في تصرفاته أي اهتمام حميم. لقد تصرف معها مثل أخ كبير ولكن ليس هذا كل ما تريده. فشعرت بأن كبرياءها قد طُعنت.

كانت في السابعة - عشرة وفي نظرها كانت امرأة، وكانت أمواج من أحاسيس الراشدين الحميمة تتضارب بين مد وجذر في عروقها مما جعلها مضطربة وغير واثقة من نفسها. لقد قامت بأفعال وردات أفعال دون أن تدرك ما كانت تفعل. وكأن كل شيء غريزياً، وإلزامياً.

آه، أجل، لقد تغزلت به، حاولت إثارته وكانت مشجعة له ولكنها كانت تعبث بهذا الأمر مثل هرة صغيرة تلاعب كرة من صوف وهي تحاول أن تقتل أو تكون ضحية لها. خطأها الحقيقي وغلطتها كانا يكمنان في اختيار شخص ليس من بني جيلها لتدخل معه عالم التجربة - لو اختارت شاباً في السابعة عشرة، لكان صيفاً

مثيراً رومانسياً ولكان انتهى بلطف حتى يستطيع المرء أن ينظر إلى ذلك الماضي بسرور طيلة حياته، ولما كان أفسد حياة شخصين اثنين.

ولكنها لم تكن تحب رفقة الأولاد. وربما هي أحبت سايمون كثيراً - من يدري؟

إذاً هي جعلته ينظر إليها في طريقة مختلفة تماماً. لقد جعلته يراها امرأة الهيام، علمها الحيلة وعلمها مهارات النساء، واشترت بعض الملابس الجديدة التي غيرت مظهرها كلياً، وجعلتها تبدو وكأنها قد كبرت فجأة.

ونظرت إلى سايمون من بين أهدابها نظرة تنم عن دعوة غضب، وبعد برهة لم يعد ينظر إليها محدقاً ومندهشاً بل نظر إليها نظرة بعثت فيها رجفة في جسدها كله.

«إعترفي بهذا،» قال سايمون بلهجة ساخرة فتنهدت جولييت وقالت: «ماذا تريد أن أقول - إنني آسفة؟ أنا فعلاً آسفة ولكن هذا لا يغير شيئاً من الموضوع. أليس كذلك؟ حسناً لقد فُتنتُ بك، وغازلتك. وكل ذلك انتهى بشكل سيء ولكنني لم أكن أدرك ما كنت أفعل، لا شيء من ذلك كان عن قصد وكل شيء كان منذ زمن بعيد. كان يجب أن تطلقني منذ سنوات وتتزوج مرة ثانية وعندها ما كان والدك قد ترك تلك الوصية الغبية.»

«لكنه فعل ونحن لم نطلق، ما زلنا متزوجين، وأنتِ سوف تهبينني طفلاً ليرث شانتريز.» كان صوتاً فظاً وصل إليها كأنه سهم.

ارتجفت، واتسعت عيناها وتمتمت معترضة: «لا، لن أفعل.»

فحدق إلى فمها، ونظراته قاسية وقصيرة: «سوف تفعلين»

قال لها مؤكداً. واقترب وجهه منها مقرباً ذراعيها من جسدها.

«لا،» همست جولييت، وهي تحدق إليه مرتجفة. لقد أدهشتها لمساته القاسية حيث لاحظت الرغبة، كان يمسك بها بقوة ويسيطر عليها بثبات. لامس عنقها تقريباً وبدأت دقات قلبها تهزها.

ثم رن جرس الهاتف مجدداً وراح سايمون يشتم وأصبح وجهه مكفهراً من الغضب وقال: «ليس هو مجدداً! ألا يعرف متى يستسلم؟»

ضحكت ضحكة هستيرية وقالت: «لا، آدم لا يجيد الاستسلام فهو يحب أن يربح.»

فحدق إليها بحدة وعبس ثم قال: «حسناً، لن يربح هذه المرة فمن الأفضل أن يعتاد على هذه الفكرة.»

ولكن الرنين استمر وبدا كأن الصوت سوف يعلو أكثر. فقالت جولييت: «يجب أن نجيب.» فنهض سايمون وأخذ السماعة بيده.

«حسناً، إسمع، أنت...»

ثم سكت وأصغى وبعد برهة لوى فمه واستدار ليعطي السماعة إلى جولييت.

كان لديها حس داخلي بمَ يجري فقطبت جبينها وهي تتقدم لتأخذ السماعة.

«إنها أمكِ،» أخبرها سايمون بهذا ولم يكن ضرورياً لأنها عرفت هذا عندما لاحظت التغيير في تعابير وجهه.

«مرحباً، يا أمي،» قالت بصوت أجش وأبعدت السماعة عن أذنها تقريباً عندما بدأت شيرلي مندلي بطرح الأسئلة وهي متأثرة ولم تفسح مجالاً لجولييت بالرد على هذه الأسئلة.

«من كان هذا؟ ما يجري؟ عزيزتي، هل هناك خطب ما؟ لمَ يوجد رجل في الكوخ؟ هذا ليس آدم، لأنني كنت تعرفت على صوته

لو كان هو، ولكن هذا الصوت مختلف. بغيض، أستطيع أن أقول إنه بدا مهدداً من الطريقة التي صاح بها بوجهي الآن... من هو؟ ولِمَ أجاب على الهاتف بتلك الطريقة؟ جولي، هل أنتِ بخير؟ هل تريدين أن أتصل بالشرطة، أو...»

«أمي! أمي!» قالت جولييت بصوت عالٍ وأخيراً توقفت شيرلي وأخذت نفساً. وتابعت جولييت: «أمي إنه سايمون...»

«سايمون؟» سألت شيرلي بطريقة خالية من التعبير ثم بدهشة: «سايمون؟ هل تعنين سايمون جيرارد؟ ابن روبرت؟»

«نعم...»

«ماذا يفعل هناك؟ لم أسمع عن عائلته شيئاً منذ سنوات ولم أكن أعلم أنك ما زلت على اتصال بهم، فأنتِ لم تذكري عنه شيئاً لي. أنا لم أحبه كثيراً. لقد كان صبياً متعجرفاً - لا أعتقد أنه تغير.»

«ليس كثيراً،» اعترفت جولييت بامتعاض، ووجهت إلى سايمون نظرة جانبية خاطفة. ثم أضافت: «أمي، لقد أحضر بعض الأخبار السيئة...»

«والدك؟» تغير صوت شيرلي، وأصبح حاداً.

«لا، والده هو، لقد توفي منذ أسابيع قليلة.»

«آه، أنا آسفة، لقد كان روبرت رجلاً رائعاً،» قالت والدتها بحزن.

«أجل،» وافقت جولييت ثم غيرت الموضوع فقالت: «لم اتصلت يا أمي؟ هل حصل شيء؟ كيف حال جورجيو؟»

«آه، إنه بحالة حسنة، لا يوجد أي خطب هنا، ولكنني اتصلت بلندن قبل قليل وسمعت عن أحوال الطقس في كورنوول، فقلقت عليكِ. هل حقاً الثلوج غزيرة هناك؟ هل ستتمكنين من العودة إلى لندن اليوم؟ والآن يا عزيزتي، لا أريد أن تقتلي نفسكِ وأنتِ تحاولين

قيادة السيارة على الطرق الجليدية، من أجل العودة إلى العمل.»

«لن أستطيع حتى لو أردت ذلك فالطرق مقطوعة تماماً في هذا المحيط هذه الساعة. ونحن نأمل أن تعمل الجرافات على إزالة الثلوج عن الطرق الرئيسية ولكن لن استطيع العودة إلى لندن الآن إلا إذا تحسن الطقس بين ليلة وضحاها. سوف اتصل بالمكتب في الصباح وأطلب من هيلين أن تسير الأمور.»

«لن تستطيع السكرتيرة أن تدير الأعمال، فمن الأفضل أن أعود أنا إلى لندن.»

«انتظري حتى صباح الغد، وتأكدي من وجودي يا أمي، إذا استطعت العودة إلى لندن، بطريقة ما بدون أن اقتل نفسي، أعدك بأنني سوف أفعل فابقي أنت هناك مع جورجيو. كيف حاله الآن؟»

تنهدت شيرلي وقالت: «إنه أهدأ الآن، شكراً للسماء، عزيزي المسكين. ولكن يا جولي، ألا تعتقدين أنه يجب أن أعود، فقط في حال...؟»

«كلا، أعتقد أن مكانك مع جورجيو، وفي أية حال، لا شيء ضرورياً سوف يحدث لعدة أيام. تستطيع هيلين أن تتصرف، واعتقد أنني أقدر على العودة بطريقة ما. أستطيع دائماً أن آخذ القطار.» ثم فكرت باستياء، لو أستطيع أن أصل إلى أقرب محطة سكة حديدية، على بعد سبعة أميال.

ثم سألت شيرلي فجأة: «ولكن يا عزيزتي، لمَ قطع سايمون كل هذه المسافة إلى الكوخ ليخبرك بأن والده توفي؟ لمَ كان غاضباً إلى هذا الحد عندما أجاب على الهاتف؟ حقاً، لقد قتلني خوفاً - اعتقدت للحظة أنني أخذت الرقم خطأ».

«آه، حسناً،» قالت جولييت وهي تفكر يائسة في عذر من دون أن تشرح كم كان آدم غاضباً لأنها تعرف أن امها سوف تشعر

بالذنب إذا علمت أنه كره حضور جوليت إلى كورنوول لتفقد الكوخ. ثم قالت: «حسناً، أنت تدركين، لقد تلقيت اتصالين مضحكين... أنت تعرفين هذا النوع من الإزعاج.»

«آه، كم هو مخيف هذا! أف... أنا آسفة، يا عزيزتي. ولكن لحسن الحظ أن سايمون ذهب هذا الصباح واستطاع أن يجيب على الهاتف بدلاً منك! لأنه عندما يعرف بوجود رجل يجب أن يقف عند حده! هل اتصلت بالشرطة؟ آه، يجب أن تفعلي يا جولي. قد يكون خطراً.»

«حسناً، يا أمي.»

«ولكنك لم تشرحي حتى الآن لم قطع سايمون كل تلك المسافة.» ولكن شيرلي تذكرت فقالت: «هل أنت مذكورة في الوصية؟ لن تصبحي غنية، أليس كذلك؟»

«أخشى أنني لن أصبح على كل حال، لا شيء مثيراً في الموضوع ولكنني مذكورة في الوصية ولهذا السبب حضر سايمون إلى هنا. شيء واحد أراد روبرت أن أفعله... سوف أخبرك لاحقاً بهذا الأمر - فهذا الاتصال قد يكلفك كثيراً. ابقي على اتصال يا أمي وبلغي حبي إلى جورجيو.»

«إلى اللقاء، يا عزيزتي،» قالت شيرلي ذلك، واقفلت جوليت الخط.

واستدارت لتواجه سايمون الذي كان ينظر إليها بسخرية وقال: «إذاً، لم تكن لديك الجرأة لإطلاعها على الحقيقة. هل هي تعرف أننا متزوجان؟»

رفعت رأسها بتحدٍ وقالت: «لا، والأفضل أن لا تعرف أبداً. لا أريد أن يعرف أحد هذا الأمر. كل ما أريده هو الطلاق...»

«بعد أن تحملي بطفلي،» وعدها سايمون وكان وجهه قاسياً.

الفصل الخامس

وقفت جوليت في مكانها وهي تنظر إلى سايمون بصمت، متسائلة كيف تجعله يفهم أنها لا تستطيع. كان ذلك مستحيلاً. أي فكرة بسيطة عن ذلك الموضوع تجعل دمها يتحول بارداً، وراقبها - من دون أي تعبير على وجهه، كانت نظراته باردة ومحذرة.

ثم تغير وجهه وصاح: «القهوة! لقد أطفأت النار وسكبت فنجانين.»

لقد نسيت القهوة هي أيضاً. فركض الإثنان إلى المطبخ ولكن القهوة كانت باردة جداً ولم يبق المزيد منها في الابريق لتحضير فنجانين جديدين.

«سوف أحضر المزيد،» قالت جوليت، لكن سايمون هز رأسه وهو ينظر إلى ساعة المطبخ: «سوف أصنع قهوة فورية - أنا سعيد بهذا، خاصة وأن الوقت شارف على الغداء.» ثم ملأ الابريق ووجد مرطباناً من القهوة السريعة الذوبان في خزانة الكؤوس.

«وقت الغداء؟» نظرت إلى الساعة أيضاً مندهشة لتجد أنه فعلاً وقت الغداء. لقد كانت تقريباً الساعة الواحدة وحالما أدركت ذلك، أحست بالجوع. فكرت بصوت عالٍ: «ماذا لدينا؟» وفتحت خزانة الأطباق والبراد. لم يكن هناك خيارات كثيرة وكان عليها أن ترجع إلى الخزانة وتحضر منها علبة أو اثنتين ثم سألت: «ما رأيك بالأرز أو السباغيتي مع صلصة البندورة؟» هز كتفيه غير مبالٍ، وقال: «هذا جيد بالنسبة إلي. بقي بعض الفطر، وأحضرت معي بصلاً.»

«إذن لدينا عمل،» قالت ذلك، وبدأت بتحضير الوجبة بينما أخذ سايمون يحضر القهوة وجلس إلى الطاولة وهو يراقبها بشكر واضح كيف تعمل. وسألت بلطف: «هل تستطيع فرم البصل. أم أنها تجعلك تبكي؟»

«لا شيء يجعلني أبكي،» قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقد دهشت لأن كلامه صحيح ومما تعرف عنه. بدا أنه لا يتأثر بهذا ولكن ماذا يعرف المرء عن غيره؟ قد يغضب، ولكن هل يكون مؤنياً؟

ناولته السكين وبصلة كبيرة، وذهبت تبحث عن مقلاة لتحضر بها الصلصلة بينما تغلي الماء للسباغيتي.

عندما نظرت حولها وهي تحمل المقلاة كان سايمون قد بدأ فرم البصل بحركات سريعة.

«هل قمت بهذا العمل من قبل؟» قالت جولييت ذلك فهز سايمون رأسه دون أن ينظر إليها لأن اهتمامه كان منصباً على عمله.

«لقد طهوت لنفسي، مع أنه كان لدي من يقوم بعملية التنظيف. كنت دائماً أطهو الطعام السهل التحضير - أفضل الأشياء التي أستطيع أن اشويها أو تركها لأطهيها في الفرن عندما أكون في الخارج. مثل شرائح من لحم البقر أو سمك، واستعمل الكاسارول (طبق يخبز فيه الطعام ويقدم) وأحمص البطاطا في الفرن أيضاً وأحضر السلطة.»

«يا للسماء اطاهي السنة،» قالت ساخرة وهي تضحك.

«حسناً، لقد أكلت الكثير من هذا النوع في وقت واحد، ولكن ضجرت، فعندما تطهو المرأة للرجل تبتكر أصنافاً جيدة.»

عندما انتهى: كان على اللوحة الخشبية كومة من البصل المفروم الناعم واستدار ليسأل: «ماذا عن الفطر؟»

«سوف أغسله وثم أقطعه بالنصف،» ثم تساءلت كم امرأة

توافرت لتطهو له طوال الأعوام الثمانية الماضية؟ كان رجلاً مثيراً ولا مجال لإنكار ذلك: ولا بد من وجود الكثير من النساء ممن كن قد يحنين حوله. وشعرت بوخزة صغيرة تحت أضلاعها من الصورة التي كونتها في مخيلتها. وقالت لنفسها بحدة إن هذا ليس من شأنها! فهي لم تعد مراهقة ملتاعة بالحب بعد الآن، إنها الآن امرأة عاقلة حساسة وحياة سايمون جيرارد العاطفية من اختصاصه وحده.

كانت المياه تغلي - فأضافت السباغيتي إليها وحولت كل اهتمامها في تحضير الصلصة. حضر سايمون المائدة، ثم بدأ بفتح الخزائن والتدقيق في محتوياتها في الوقت الذي كانت جولييت تعمل فيه.

«انظري ما وجدت!» قال بتعجب، وهو يجلب زجاجة شراب أحمر عليها قليل من الغبار. وأضاف: «لا شيء مثيراً، حقاً ضربة خفيفة ولكن قد تضفي بعض الحيوية إلى الطعام.»

«جيد، هلا فتحتها؟»

ركزت جولييت إهتمامها على الصلصة، التي تقوم بتحضيرها، امتلأ المطبخ بنكهة البندورة والبصل، ثم سكبت السباغيتي في الصحنين الفارغين، وأضافت الصلصة فوقها.

«لقد استمتعت بذلك، أنت طاهية جيدة،» قال ذلك بعدما تناول آخر ملعقة من وجبته.

«باستطاعة أي شخص أن يحضر السباغيتي.»

«يجب أن تعلميني إذاً، على ما يبدو انها سهلة التحضير.» ونهض يزيل الصحون عن الطاولة ولكنه وضع يده على كتفها عندما كانت تهم بالنهوض وقال: «لا، أنا سوف أحضر القهوة أنت اجلسي فقط وعبري عن إعجابك بإسلوبي.»

فاسترخت، وهي تراقبه مبتسمة كيف يعمل. لقد كان درساً موضوعه توفير الجهود، مما أعطاها فكرة عنه. بدأ بالقهوة أولاً، وعندما بدأ السائل يتقطر من الإبريق عمد إلى وضع الصحون وسكاكين المائدة في الجلاية، ثم حضر صينية للقهوة، ثم غسل القِدْر بيده ووضعه ليجف على لوحة التجفيف. تحرك بسرعة وبرفق، وشعرت جولييت برجفة تسري في عمودها الفقري، لأن الرجل كان منظماً إلى أبعد حد. إنه يقدّر الأشياء قبل أن يقوم بها، يخطط لكل شيء قبل أن يقوم بالعمل مثل عملية عسكرية، وذلك العقل المنطقي البارد كان يخيفها.

«هل نشرب القهوة في غرفة الجلوس؟ فسوف يكون هذا مريحاً أكثر،» اقترح سايمون، وقبل أن تجيب كان قد حمل الصينية إلى خارج المطبخ، وهكذا لم يبق لديها شيء سوى اللحاق به.

وضع الصينية على طاولة القهوة المنخفضة وأومأ لها بالجلوس على الأريكة، ولكن جولييت لم تثق به فلذلك اختارت الجلوس على الكرسي.

فابتسم لها ساخراً، ومعلقاً على حذرها منه دون أن ينطق بكلمة، ثم جلس على الأريكة وقال: «هلا سكبت القهوة من فضلك؟»

ترددت، وهي تمض على شفتها لأنها لكي تفعل هذا ينبغي لها أن تقف من جديد وتعبر إليه، ولكن من الصعب عليها أن ترفض لذلك أطاعت وسكبت القهوة في الفنجانين، ووضعت له السكر والحليب، وقدمت له فنجانه قبل أن تأخذ فنجانها.

ولكن عندما استقامت أمسك بيدها وقال: «اجلسي هنا.»

فنظرت إليه ساخرة وقالت وهي تهز رأسها: «سوف أشعر بأمان أكثر هناك.»

فضحك وسأل: «وهل ازعجك إلى هذا الحد؟»

بسبب التلميح الرقيق وراء هذه الكلمات احمرت خجلاً لأن كلامه كان صحيحاً - إنه بالفعل يزعجها، وبشكل متزايد، وآخر شيء تريده هو أن يدرك ذلك.

«أنت لا تزعجني على الأطلاق.»

«إذن، لمَ أنت خائفة من الجلوس بقربي؟»

«لم أنس بعد الطريقة التي عاملتني بها منذ ساعة، أنت تعرف!»

«لقد كان لدي ما يثيرني، فلا تنسي ذلك،» وبخها بسخرية ولكنه تركها تذهب، فأسرعت لتجلس على كرسيها.

رشف سايمون بعض القهوة وهو يراقبها بعينين ساكنتين، وشربت بعضاً من قهوتها وهي تشعر بتوتر. وتساءلت عم يدور في عقله الآن؟ لمَ ينظر إليها بتلك الطريقة؟

«إذن، أخبريني عن آدم هذا،» قال سايمون فجأة. فأوقعت فنجانها، واندلقت القهوة على يدها وأطلقت صرخة تعجب ووضعت الكوب على الأرض ومسحت بشرتها حيث اصطبغت بلون أحمر.

«ماذا فعلتِ بنفسك؟» سأل سايمون بنفاد صبر. «هل حرقت يدك؟»

«لا، إنها جيدة الآن، أنت جعلتني أقفز، فقد صرخت فجأة بتلك الطريقة.»

«أنا لم أصرخ فجأة، كل ما فعلت هو أنني سألت سؤالاً بسيطاً، وإذا كنت سوف أحكم على تعبيرك الذي يحمل الذنب والطريقة التي قفزت بها، أعتقد انني حصلت على الجواب. هو حبيبك، أليس كذلك؟»

كانت تخاف أن تجيب على ذلك السؤال. لأنه لو صدّق أن آدم هو حبيبها فقد يدفعه هذا إلى الإبتعاد عنها. وبالتأكيد سوف يفكر

ثانية إذا علم أنها تهتم بشخص آخر وفي أية حال، هي بحاجة إلى بعض الحماية منه وبالطبع لا تستطيع أن تعتمد على نفسها، لقد مضى على وجودهما بمفردهما هنا حوالى إحدى عشرة ساعة، وقد علمت أن مقاومتها له كانت ضعيفة جداً. لا بد وأنها سوف تفقد عقلها - لديها أسباب جيدة لتكرهه وتحتقره. أليس كذلك؟ لقد جعلها تعيسة، وذكرى ليلة زفافهما ما زالت تسبب لها الألم كلما تذكرتها. حتى الآن، في هذه اللحظة، إذا سمحت بفكرة عابرة عن هذا الموضوع فإنها تجفل داخلياً.

«أنا أرفض أن أناقش حياتي الخاصة معك» قالت وأخفضت نظرها بينما بدا العناد في كل قسمات وجهها.

«إذن، أنت تعترفين بأنه حياتك الخاصة؟ منذ متى هذا الأمر؟»

«أنا أعرفه منذ سنة تقريباً.»

«هل يعمل لسلسلة مخازن الأحذية التي بدأت بها أمك وزوجها؟ *هل هو يطمح إلى الزواج والإنتماء إلى العائلة* حتى يسيطر في يوم ما على المخزن؟» كان صوته ساخراً وكرهت جولييت هذا الكلام عن آدم.

«لا، إنه منفذ في شركة أخرى، شركة أكبر، وأي طموحات لدى آدم تتمحور حول عمله. إنه لا يهتم لبيع أو صناعة الأحذية. إنه موظف شركة، ويجب أن يعمل في شركات عالمية كبرى، يظهر هنا وهناك ويقوم بلقاءات عمل مهمة...» ثم توقفت، بعد أن أدركت أن تلك الصورة عن آدم لم تكن كثيرة الإطراء. والتقت نظرات سايمون بنظراتها وكان وجهه يلمع بسخرية مسلية.

«يبدو رائعاً.»

فتوردت من الإنفعال: «إنه جميل المظهر!»

«جميل المظهر، لكنه ممل،» قال وهو مستغرق في التفكير.

ولكن قبل أن تتمكن من القول إن آدم ليس مملاً، أضاف سايمون قائلاً: «لحساب أية شركة قلت إنه يعمل؟»

«لم أقل.» ولكنها أخبرته باقتضاب ولاحظت أنه لم يتأثر. سايمون لم يكن رجل أعمال، عالمه بالكامل كان متمحوراً حول شانتريز، حول الزراعة وعلم الحراجة، حول حياة الريف حيث نما. اهتماماته كانت اهتمامات رجل قروي أحب الكلاب والخيل، امتطى الخيل كل يوم، واصطاد السمك في النهر الوديع الذي يمر عبر أرضه. ورمى الأرانب التي تسرق الحبوب من حقله.

رجل مثل آدم لديه مواقف مختلفة تماماً - إنهما قطبان منفصلان، ترعرع آدم في بيت فقير، حيث يكافح من أجل كل شيء. ولو التقى سايمون يوماً، لكان دون شك اعتقد أنه قد ولد وفي فمه ملعقة فضية. كره آدم الرجال من هذا النوع؛ التقاهم كل يوم، لأنه مضطر للتسابق معهم في الشركة. وغالباً ما كان يخسر بسبب دراساتهم والمدارس التي ذهبوا إليها أو بسبب معارفهم. وكثيراً ما كانت تسمع آدم يتذمر من شبكة عمل الولد القديم، ومن التحيز باتجاه الرجال من منابت غنية.

«ليس بيننا شيء مشترك،» فكر سايمون بصوت عال فضحكت جولييت.

«لا.»

فأضاف سايمون: «إلا أنت، ولكن ليس لدي أية نية في أن اتماسك معه، فهو يخرج من حياتك.»

«لا أصدق أنك قلت ذلك!» تقطعت أنفاسها وهي تقول ذلك بطريقة تعبر عن شكوكها.

«لقد فعلت، وأنا أعني ذلك.» ثم قال مؤكداً ببرود: «لن تريه مرة ثانية.»

«ليس لديك الحق على الإطلاق في أن تصدر لي الأوامر، أو تقول لي من استطيع أن أرى أو لا أرى. وسوف أفعل ما يحلو لي!» قالت بغضب ووجهها يلتهب.

«لا سوف تفعلين ما يحلو لي أنا،» وأخذت عيناه الرماديتان تتحركان ببطء متعمد عليها من شعرها البني نزولاً حتى قدميها، من دون أن تجتاز أي جزء مما جعل قلبها يقفز. فشعرت وكأنه قد لمسها فارتجفت، ثم قفزت لتسرع بالهرب قدر استطاعتها من نظراته المعذبة.

توقعت أن يوقفها ولكن لم يكن هناك أي صوت لوقع أقدام خلفها، عندما ركضت خلال الرواق متجهة إلى الطابق العلوي وإلى أمان غرفتها خف خفقان قلبها قليلاً. ولكن ما كادت تصل إلى أعلى درجة حتى سمعته خلفها، ونظرت إلى أسفل فرأته صاعداً إليها. وهذا بعث موجة من الذعر في داخلها، وبدأت تندفع عبر منبسط الدرج، لتخطو خطوة سريعة ولكنها تعثرت جانب الحائط. وبالوقت الذي استعادت فيه توازنها، شعرت أن قدميها قد رفعتا عن الأرض وحاولت التمسك به وصرخت من الرعب.

«ماذا تفعل؟ أنزلني!»

حملها إلى غرفة النوم الرئيسية، مع أنها قاومت بغضب وبلا جدوى قوة ذراعيه، وظلت تلطم وتضرب حتى وضعها على السرير المزدوج المغطى بلحاف من حرير. حاولت أن تزحف إلى الجهة الثانية، ولكنه أمسك بها وهو يضحك ويده تطبق على معصمها. فكرت، أنه كان مثل قطة قاسية، تلعب مع فأرة، تسمح لها أن تعتقد أنه باستطاعتها الهرب فقط لتعود وتسمك بها من جديد. كان إلى جانبها وقد ثبت ذراعه فوقها وتحركت ساقه لتثبتها بإحكام، وعندها غمر الخوف قلبها.

«أنا أكرهك!» صرخت به، لكنه ضحك مجدداً.

وقال برقة: «هل أنت فعلاً تكرهينني؟ فهذا يجعل من الأمر أكثر إثارة.» وغاص قلبها مصدوماً. قرّب وجهه منها لكنها أدارت رأسها لتتجنب عناقه «لديك عنق جميل،» همس وهو يعانقها، وشعرت بصدمة ثانية عندما التصق بها، لقد راقبته باكراً كيف يقوم بتوفير الجهود وكانت حذرة والآن هي تختبر التجربة المفزعة نفسها.

«توقف عن هذا!» قالت وهي تحاول أن تبعد رأسه عنها.

وتمتم سايمون قائلاً: «جولييت... أنا أريدك... إلى أبعد الحدود...»

سايمون لم يكن يحبها، لقد عانقها لأنها رمت بنفسها عليه وأخذته العاطفة بعيداً، ليجد نفسه مرغماً على زواج لم يكن يريده. لقد لامها واعتبرها مسؤولة عن ذلك. وكان غاضباً بحدة، مع أنها لم تشك بذلك حتى ليلة زفافهما عندما كانا بمفردهما في غرفة النوم، وتفجر غضبه بشكل أرعبها.

لن تستطيع أبداً أن تنسى صدمة اكتشافها بأن خلف هذا القناع البارد الذي وضعه على وجهه حتى ليلة زفافهما، رجلاً يكره بمرارة اضطراره للزواج منها. بالطبع، كان يجب أن تعرف: إن فتاة مدرسة عمياء، سخيفة لابد وأن تحلم بأن رجلاً مثل سايمون يطلب الزواج منها - سامحة لنفسها بأن تعتقد أنهما سعيدان معاً! حسناً، لقد كبرت الآن، اكتسبت الثقافة الرفيعة وتعرفت أكثر إلى الحياة.

إن سايمون يملك الأسباب الجيدة حتى يريد أن تفقد عقلها لأجله، وقد يكون مخادعاً. كم من عواطفه كانت صحيحة؟ كم كانت هذه التمثيلية تحذيرية؟ والرغبة المتنكرة، عزم عليها لجعلها

تشاركه مخدعه ثم يتأكد من أنها تحمل طفله؟

فتجمدت، واتسعت حدقتاها وهي تحدق إلى السقف وكأنها ترى صوراً، فيلماً من تلك الليلة الطويلة التي مضت، من احتقارها ويأسها. تلك الليلة، جعلت من نفسها غبية - حسناً، سايمون لن يفعل ذلك ثانية.

وضعت كلتا يديها على كتفيه ودفعته بعيداً، وفي الوقت نفسه تدحرجت عن السرير ووقفت على قدميها.

وهروبها المفاجيء أدهش سايمون. وفي الوقت الذي أدرك فيه ما حصل كانت جولييت تركض خارجة من الغرفة. ووصلت إلى غرفتها قبل أن يتمكن من الإمساك بها على الرغم من أنها سمعته يركض خلفها غاضباً. فأقفلت الباب وانكأت عليه تتنفس بصعوبة والدموع تملأ عينيها.

«جولييت!»

كان صوته أجش، مما جعلها تقفز بعيداً أشبه خائفة من أن يصل إليها، أو يلمسها، حتى خلف باب موصد. ثم وقفت وحدقت في قفل الباب وهي تمسح عينيها بيدها. لقد كانت آمنة هنا، آمنة لدرجة أنه لا يستطيع أن يقترب منها. في الواقع، تستطيع أن تفكر بأنها ستكون بأمان بعيدة عن تلك الأيدي المغرية التي جعلت عقلها يتوقف عن العمل. ألم تبك عليه بما يكفي منذ ثماني سنوات؟

«جولييت!»

«لا تصرخ بي!» تمتمت جولييت بذلك وهي تتجه نحو سريرها وتغوص فيه.

خيم الصمت، ثم تغير صوته، كانت تقريباً تسمعه يفكر، عقله يتغير، لا بد وأنه يضع خطة جديدة مع هذا الوضع المتغير.

«لمَ هربت فجأة، يا جولييت؟ هل أخفتك؟ لم أكن أقصد ذلك

- لقد جننت بعض الشيء». كان صوته أجش، مالوفاً بضحكة. «غلطتك مرة ثانية.»

آه، بالطبع، قد يكون ذلك صحيحاً، فكرت جولييت وهي تزم فمها.

«في كل مرة ألمسك، تتملكين عقلي،» قال ذلك وعضت جولييت على شفتها السفلى.

رفضت أن تأخذ بأكاذيبه، ولكنها لا تستطيع ذلك، مع أنها تعرف أنه كان يكذب. لقد كان يمثل الآن عندما تنفس بتلك الطريقة وعندما عانقها بمثل تلك العاطفة، ولكنه خدعها، ولو لم تكن حذرة، لكان خدعها مرة ثانية، لأنها كانت مطيعة له وهو يعرف ذلك.

«أنا آسف إذا كنت قد أخفتك،» قال ذلك بصوت لطيف وكان من الممكن أن يخدعها ذلك الصوت لو لم تتذكر كيف غشها في الماضي. ثم أضاف: «كنت أعتقد أنك أكثر خبرة مما أنت عليه.» ثم توقف برهة أخرى وعاد يضيف: «ولكنك لست كذلك، ألست كذلك؟ أعني، عندك تجارب بهذا الموضوع؟ لا بد من وجود رجال في حياتك. إنك فاتنة جداً لتقضي السنوات الثماني الماضية في مدينة مثل لندن دون لقاء أي رجل. ولكن في حال فعلت، فهم لم يذهبوا معك إلى حد بعيد. أليس كذلك؟»

بدا راضياً عن نفسه بشكل اغاظها، حتى أنه كان معتداً بنفسه، فصرت على أسنانها. أرادت أن تكذب، أن تخبره بأنه مخطيء وأنه لديها سلسلة من المحبين، ولكن ذلك قد يجعله أشد تصميماً على الذهاب معها إلى المخدع. ولكن هل يكون لعدم الخبرة ورقة لعب أكثر حكمة؟ ما تكون ردة فعله لو أخبرته أنه لم يكن لديها أي عشيق منذ ليلة الزفاف تلك؟ ثم تحركت بصعوبة ونظرت إلى صورتها المنعكسة في مرآة

المزيّنة. فكان وجهها شاحباً والإضطراب يسيطر على عينيها.

والمشكلة كانت أنه برغم معرفتها بكل شيء عنه كانت تنجذب إليه بشكل لا يتوقف، وهذا الشعور يجتاحها كلما رأته أو سمعت صوته. يجب عليها أن تقتل ذلك الشعور. ولكن كيف؟

قال سايمون بصوت أكثر خشونة: «أدم هذا، مثلاً، اخبريني الحقيقة عنه - هل هو حبيبك؟»

فعضت على شفتها وتساءلت هل يجب أن تقول نعم؟ لا، الأفضل أن لا تقول شيئاً. لأن الصمت كان دفاعها الوحيد. ليعتقد ما يحب.

انتظر سايمون ثم صاح: «إذا كان أم لم يكن، فأنت لن تريه مرة ثانية، يا جولييت.»

ولكن بعد هذا، لا تستطيع أن تبقى صامتة. إن غضبها جعلها تقفز إلى الخلف وهي تقول: «لقد اخبرتك مرة - إنني امرأة راشدة ولست طفلة، وأنا لست من أملاكك. ولن تصدر لي الأوامر وتقول لي من اكلم ومن لا اكلم.»

تحول صوته وأصبح ملاطفاً: «على الأقل أنت تتحدثين إلي الآن - جولييت، إفتحي الباب، لا نستطيع أن نصرخ لبعضنا البعض من خلال الباب! إذا كنت راشدة لهذه الدرجة، فابدئي بالتصرف مثل الراشدين!»

«وأفسح لك المجال لتصل إليّ مرة ثانية،» أجابت بسرعة وباحتقار. «لست أشعر بأمان في الحياة كلها معك إلا إذا كان الباب مغلقاً بيننا!»

التقطت جولييت اهتزازات انفعاله، حتى من خلف الباب لا يمكن أن تتأكد، ولكنها اعتقدت أنه كان يصرّ على أسنانه. وبعد لحظة قال بإحكام: «فقط شرط أن تفهمي أنك لن تستطيعي رؤية

صديقك مرة ثانية. أنا جاد في هذا الموضوع يجب أن تفهمي لماذا. لن أخاطر في خسارة شانتريز بسبب بعض التساؤلات حول طفلنا. يجب أن لا يوجد أي رجل في الصورة إلا بعد الولادة.»

«أنا حتى لا استمع إلى هذا!» تمتمت بغضب.

ولكن سايمون تابع كلامه بهدوء وكأنها لم تقل شيئاً: «وللتأكد من ذلك سوف تعودين معي إلى شانتريز عندما يذوب الثلج في الخارج.»

«لن أقوم بشيء من هذا النوع!»

«يجب أن تعيشي معي حتى ولادة الطفل،» قال بصبر، وكأن ذلك كان واضحاً.

«لا!» لقد بدأت تشعر باليأس الآن؛ لقد كان عنيداً ويرفض أخذ كلامها على محمل الجد.

تمتم في ذلك الصوت اللطيف المخادع: «يجب أن لا تخافي، يا جولييت، لن أجبرك على شيء. لدينا المتسع من الوقت لنعتاد على بعضنا البعض.»

لم يكن لطيفاً في ليلة زفافهما. لم يكون مختلفاً هذا الوقت؟

قال بحدة: «جولييت! هل تستمعين إلي؟ جولييت، لا نستطيع التحدث بهذه الطريقة. أريد أن أرى وجهك. إفتحي الباب. أعدك بأنني لن ألمسك.»

فتمتمت قائلة: «إذهب بعيداً! لا بد أنك مجنون لتقترح هذا، قد تكون بارد الدماء، ولكن أنا لا. لن أكون معك، ولا أستطيع أن ادعك تمسني - وبالتأكيد لن أحمل طفلك. ولن أعود معك أيضاً. لأجل شيء واحد، وهو أنني أحب عملي، ولن اتخلى عنه ولسبب ثان، وهو أنني لا أريد أن أرى شانتريز مرة ثانية، فاذهب بعيداً، دعني وشأني.»

كانت غاضبة جداً وبدا صوتها متهدجاً، فأخذت كتاباً عن الطاولة المجاورة للسرير ورمته على الباب. تلك الحركة الغاضبة ساعدتها! وبعد ذلك هدأت، وراحت تتنفس بتقطع.

«أنت في حالة عصبية.»

فصرخت به: «لا تبرر! أنا غاضبة، هكذا أنا الآن! ولدي السبب الوجيه لهذا!»

«استلقي وخذي قسطاً من الراحة.» قال ذلك بصوت مهدئ لها ولكن ذلك زاد من غضبها. وأضاف: «سوف نتكلم لاحقاً، عندما تكونين أكثر هدوءاً.»

«لن أبدل رأيي - ليس لدي المزيد لأقول.» أجابت بحدة ولكن لم يكلف نفسه بالرد عليها. وسمعته يهبط الدرج إلى غرفة الجلوس، ويغلق الباب بهدوء.

رمت جولييت بنفسها على السرير وحدقت إلى السقف، محاولة أن تفكر بوضوح، ولكن كل ما حصل تحول إلى حلم يقظة حول سايمون. بقيت تسترجع صوراً عنه: وهو يبتسم لها، ويسخر منها، ويعانقها، ويلاطفها. حاولت أن تجبر خيالها الأحمق أن يتذكر لحظات أخرى - سايمون ينظر إليها بعداء، يصرخ بها، ويهددها. كان ذلك بلا فائدة. تذكرت فقط ما أرادت أن تتذكره سراً: وارتجف جسدها من رغباتها الحسية، واحتقرت نفسها لضعفها هذا. لم يكن الأمر كأنه لم يقل لها بصدق وحشي لم هو هنا! لقد أعلن عن نيته الليلة الماضية ومنذ ساعات قليلة بينما كانت بين ذراعيه، مستعدة لأن تسمح له بفعل ما يريد. أي نوع من الأغبياء كانت هي؟

أجفلت، وأغمضت عينيها. وقالت لنفسها لا تجيبي على هذا

السؤال! فكري في شيء آخر، إعطي، فكري بالعمل. كم من وقت سوف يمضي قبل تنظيف الطريق وتستطيعي العودة إلى لندن؟ ثم بدأت تخترع الطرق والأساليب للخروج من الكوخ والعودة إلى لندن. وبدلاً من هدر الوقت استجمعت السبل للهرب، وبدأت تتثاءب. كانت تعبة جداً. لقد كانت ليلة قلقة ومقلقة وكانت جولييت منهكة جسدياً وفكرياً. بعد برهة قصيرة، نامت، واستيقظت عندما خيم الشفق الأحمر على الغرفة.

وفي لحظة واحدة، تذكرت جولييت كل شيء! جلست وهي تتنهد وتنظر إلى الساعة، وقد دهشت عندما رأت أن الساعة تقارب السابعة مساء.

قامت عن سريرها لتنظر خارجاً إلى الهضاب. بدا النور أكثر في الخارج مما كان في الداخل. وكانت النجوم تلمع مثل ضربات سيوف متألقة في منتصف ليلة سماء زرقاء. عاد البرد مجدداً، ولكن الثلج لا يبدو كأنه عميق. لقد كان يعلو حائط الحديقة، ولكن الآن ذاب بعض الشيء وهي تستطيع أن ترى بعض النبات يبرز من خلال الثلج. حدقت إلى الخارج، عابسة - هل كان الثلج يتفكك أم أن ذلك من نسج خيالها؟

انحنت على عتبة النافذة، حدقت إلى الخارج، عدة دقائق، ولكن لا تستطيع أن تجزم إذا بدأ الثلج يذوب أم لا؟ ربما تستطيع في الصباح أن تقود السيارة عائدة إلى لندن.

لكثرة الأحداث التي حصلت - شعرت جولييت أنها موجودة هنا منذ عدة أيام - ولكن لم يمض على وجودها أكثر من اثنتي عشرة ساعة. سوف تكون مسرورة لعودتها، قالت في نفسها. يجب أن تكون سعيدة فهذه هي الفكرة الوحيدة المعقولة التي تتخذها.

تنهدت وأغلقت الستارة، واتجهت لتضيء نور غرفتها، قبل أن تذهب إلى غرفة الحمام لتستحم. لأنها، أولاً، شعرت بالحرارة والإرهاق، وثانياً، لأنها احتاجت لأن تغسل سايمون من أفكارها.

تساقطت المياه عليها، مثل شلال يصم أذنيها عن كل الأصوات. عندما انتهت اقفلت خرطوم المياه الموجود فوق رأسها، وارتدت مئزر الحمام، ولفت شعرها بالمنشفة ثم جففت قدميها وساقيها قبل أن تعود إلى غرفة نومها.

كانت تمر على السجادة عندما سمعت صوت محرك سيارة.

وقفت جولييت مجمدة، وقلبها يغوص بشكل مميت. وللحظة صدقت أنها كانت تتخيل هذا الضجيج، ولكنها أدركت أنها لم تكن تحلم، ثم ركضت إلى النافذة. الضوء الأمامي شق الظلام وأنار الطريق مفسحاً لها المجال لترى سيارة رانج روفر سوداء تتقدم في الخارج.

تساءلت جولييت من يكون هذا بحق السماء؟ وكانت تحدق إلى السيارة وهي تتوقف إلى جانب الحائط. هل هو مزارع محلي يتأكد إذا كانت بخير؟ أم أحد أصدقاء أمها لاحظ النور؟

ثم فتح الباب من جهة السائق وترجل شخص واستدار ليحدق باتجاه الكوخ، ونظرت جولييت بحدة غير مصدقة.

لقد كان آدم.

الفصل السادس

وللحظة كانت جولييت مذهولة لا تستطيع التفكير ثم أخذت تفكر كالمجنونة. سايمون كان في الطابق السفلي. قد يفتح الباب إذا طرق آدم عليه، وكرهت التفكير بما سوف يحصل في ذلك الوقت! وعندما تقدم آدم باتجاه الكوخ لاحظت جولييت أنه عازم على إحداث شجار. سوف يتعاركان هو وسايمون. فذلك بدا واضحاً وسوف يسعدها أن ترى آدم ينزل سايمون من عليائه، ولكنها لا تشعر بالتفاؤل. والنتيجة المتوقعة من هذا العراك بينهما هي أن آدم سوف ينال الأسوأ منه، وبما أنها هي السبب في وجوده هنا فلسوف يكون الذنب ذنبها إذا لحق به أذى أو إهانة، ولذلك عليها أن توقف حدوث ذلك.

فلم تتوقف لترتدي ملابسها لأنه لم يكن هناك وقت لذلك. فأسرعت تنزل الدرج وهي تقفز كل درجتين معاً، ولكنها وصلت متأخرة لإيقاف سايمون لأنه كان يفتح الباب وينظر إلى آدم بانزعاج.

«إذا كنت تبحث عن السيدة منتلي، إنها ليست هنا.»

«أنا أعرف ذلك.» وكان آدم فظاً تماماً مثل سايمون. وكان يحدق إلى سايمون ببرود عندما وصلت جولييت إليهما، ثم تركت عينيه تراقبانها من فوق إلى أسفل، من شعرها الرطب إلى ساقيها العاريتين إلى قدميها دون أن يتجاهل المئزر الأبيض الذي، أخفى لدرجة ما، بقية جسدها. فأصبح فمه قاسياً وقال بصوت كالجليد «إذاً، أنت هنا، يا جولييت.»

نظر سايمون إليها نظرة جانبية وعقد حاجبيه.

وقال بخشونة: «إصعدي إلى الطابق العلوي وارتدي ملابسك!» فعبست به.

وقالت: «هلا عدت إلى غرفة الجلوس واهتممت بشؤونك الخاصة؟ هذا صديقي.»

«لقد عرفت من هو،» قال سايمون وهو ينظر إلى آدم باستخفاف: «ولن تكلميه وأنتِ شبه عارية فاذهبي وارتدي ملابسك!»

«توقف عن توجيه الأوامر لها!» تدخل آدم عابساً، وهو يتقدم خطوة إلى الأمام بعزم واضح على استعمال كتفيه العريضتين ليقتحم بنفسه ويبعد سايمون عن طريقه.

ضحك سايمون وتوترت أعصاب جولييت، لأنها كانت تعلم ما سوف يحدث، وبالفعل حدث. كل قوة سايمون تصدت لآدم عندما حاول دفع سايمون ليمر إلى داخل الكوخ، ووقع آدم.

«لا، لا تفعل...» صرخت جولييت بتوتر ثم تنهدت بارتياح عندما رأت آدم مستلقياً، لا على حجر المر بل براحة في حوض الغار الذي تلقاه.

بدأ سايمون بإغلاق الباب ولكن جولييت أمسكت بالمقبض وهي تتصارع معه، أدارت وجهها المتوهج وحدقت فيه غاضبة «هلا كففت عن التصرف وكأنك تملك كل شيء؟ أنت لا تملك هذا المنزل ولا تملكني - وليس لديك الحق في أن ترمي بأصدقائي خارجاً!»

وقف آدم على قدميه. كان حانقاً وغاضباً، تمايل واتجه إلى ناحيتهما وقال: «انتظر حتى أصل إليك، أيها المجنون!»

«آه، أنا خائف،» قال سايمون ساخراً وحرك جسده مستعد

للحركة، ولكن جولييت تحركت بسرعة أمامه وواجهت آدم وعيناها بدتا قاتمتين تحملان الإعتذار.

«آدم، أنا آسفة جداً، ولكن ما كان يجب أن تشق طريقك من أمامه. فهو رديء الأطباع.»

«لست من ذلك النوع!» أنكر سايمون كلامها وكانت يده تطبق على معصمها وهو يحاول أن يبعدها عن طريقه.

أبعدت يده بعيداً وقالت: «لا تعاملني بالقوة، يا سايمون! ابتعد عني.» ونظرت إلى آدم مناشدة وقالت: «آدم، ما كان يجب أن تأتي إلى هنا - بحق السماء ما الذي جعلك تفعل ذلك؟»

«من يكون؟» سأل آدم وهو يحدق إلى سايمون ثم أضاف: «هذا ما جئت إلى هنا لاكتشافه. من يكون؟ هو الذي تكلم معي في الهاتف صباح اليوم. أليس كذلك؟ ما كان يعني، هل كان زوجك؟ هو ليس زوجك، هل هو كنلك، يا جولييت؟»

«نعم.» قال سايمون.

في الوقت نفسه قالت جولييت: «لا!» فضحك سايمون ثم تنهدت وقالت: «حسناً، في الواقع يا آدم، نعم ولا. إنها قصة طويلة، وليس هذا وقت الشرح.»

«آه، لدي كل الليل، وأنا حتماً لن أعود إلى لندن حتى أعرف الحقيقة كاملة، وفي أي حال، أنا تعب - ولن أعود حتى الغد، والوقت متأخر جداً لإيجاد غرفة في أي فندق في مكان ما، حتى لو كنت أعرف أي فندق، سوف أكون ممتناً إذا سمحت بقضاء الليلة هنا. أي شيء يفي بالغرض - كنبة، إذا لم يكن هناك شيء آخر.»

«ليس في حياتك!» قال سايمون، ولكن كان لجولييت الوقت لتفكر بأن وصول آدم كان المعجزة التي كانت تصلي لأجلها، فهزت رأسها موافقة بحماس.

«بالطبع، يا آدم تستطيع.»

«لا! دعيه يذهب إلى أي فندق.»

«هلا بقيت بعيداً عن هذا الموضوع؟» قالت جولييت مبتسمة إلى آدم ثم أضافت: «نستطيع تأمين ما هو أفضل من الأريكة - يوجد غرفة نوم مريحة تستطيع استعمالها.»

«شكراً لكِ، لقد أحضرت معي حقيبة لحاجياتي لهذه الليلة وهي في السيارة، ولكنني سوف أحضرها في ما بعد.» شيء ما في تعابيره جعلها تشعر أنه يخشى من أنه إذا ذهب إلى السيارة الآن فقد يجد الباب مقفلاً بوجهه عند عودته.

فهزت رأسها، وتراجعت خطوة إلى الوراء وأشارت له إلى غرفة الجلوس وقالت: «تفضل، إن الجو أكثر دفئاً في الداخل، أجلس.» كانت تتكلم بأدب وقلق، وكأنها توجه كلامها إلى أحد المعارف الذي دعي لمناسبة إجتماعية: «ألا أستطيع تقديم أي شيء لك؟ لا بد وأنك متجمد بعد هذه الرحلة الطويلة وأنت تقود السيارة، هل تحب أن تأخذ شراباً ساخناً؟ قهوة؟ شاياً؟»

بقي آدم واقفاً، في مواجهتها، وتبدو عليه ملامح المحاربين. وبدا واضحاً أنه ليس في حالة تسمح له بالدخول في محاولة مهذبة. وكل ما قاله كان: «أولاً، أحب الحقيقة، مهما أخذت من الوقت، هل ذلك الفتى زوجك، أم لا؟»

كان سايمون واقفاً بتكاسل في المدخل وهو ينظر إليهما وكانت تعلم أنه واقف هناك مع أنها لم تنظر إلى ذلك الإتجاه.

«حسناً، نعم، في طريقة ما،» قالت جولييت بصوت أجش وعندها ضاق وجه آدم. فتابعت بسرعة: «آدم، كنت في السابعة عشرة، لقد تزوجنا ليوم واحد، ثم رحلت، ولم أره منذ ذلك اليوم، حتى أتى إلى هنا. لهذا قلت إننا لم نكن متزوجين

حقاً، وصدقني، سوف نحصل على الطلاق قريباً.»

قال سايمون ببرود: «كلا، لن نفعل.»

قالت جولييت معترضة: «لا تأبه له، كان يجب أن أبدأ بمعاملات الطلاق منذ سنوات، ولكن لم أشأ أن اتزوج مرة ثانية، وكنت غير راغبة في لقائه لإنهاء الاجراءات حتى عن طريق محامٍ، وهكذا كنت دائماً أرجيء هذا الموضوع.»

«لا أستطيع أن أفهم هذا - تزوجت وهربت في نفس اليوم؟ لماذا؟ ماذا حدث؟» ثم نظر إلى سايمون بحدة وعداء وقال: «ماذا فعل بك؟»

كانت تريد أن تخبره، ولكنها فكرت بأن ذلك سوف يؤدي إلى شجار آخر بين الرجلين، لذلك قالت باختصار: «هذا لن يفيد شيئاً.»

«لا يفيد شيئاً؟»

ولكن سايمون أجاب على سؤاله لأن جولييت أحمرت خجلاً، بعد أن أدركت ما قد تعنيه كلماتها، لأنها كانت لا تجد ما تقول.

«كلا، لم تعط المسألة أية فرصة، هل فعلت؟» قال ذلك ساخراً ثم تابع: «لقد فزعت في ليلة زفافنا وفرت. إنها غلطتي، على ما أعتقد؛ لأنه كان يجب أن أدرك أنها ليست راشدة كما بدت على الإطلاق، ولكنها قامت بعمل حسن لإخفاء ذلك حتى ليلة زفافنا. لقد تصرفت كامرأة حتى حان الوقت لتثبت ذلك، وعندها أصبحت جبانة.»

«كنت فقط في السابعة عشرة! لقد تصرفت كامرأة حتى تزوجنا لأني كنت أطبق القاعدة. هذا ما فعلنا أليس كذلك؟ سواء كنا رجالاً أو نساء، فنحن نتصرف كالراشدين قبل أن نكون فعلاً كذلك...»

«حسناً، لقد خدعتني،» قال بجفاف بينما أخفضت جولييت بصرها، وعضت على شفتها لأنها تعلم أنه لا يوجد أي شيء ليقال في هذا الصدد.

قال آدم وقد بدا وجهه كئيباً: «كان يجب أن تخبريني. لقد كنت أفكر بالزواج منك. كان يجب أن تخبريني بأنك لستِ حرة... لم يكن عدلاً منك أن تؤخريني كل هذه المدة من دون أن تنهي مواقفك بوضوح.»

قالت وهي تنظر إليه بندم: «أنا آسفة، يا آدم. أنت على حق... بالطبع، كان يجب أن أخبرك، ولكن كما ترى، فالموضوع لم يخطر في بالي أبداً لأنني تقريباً نسيت أنني كنت متزوجة.»

ولكن سايمون قال بحدة وهو ينظر إليها مهدداً: «ولكنك متزوجة وستبقين كذلك، لذلك يجب أن تنسي أي فكرة عن الطلاق.»

قال آدم بمرارة: «لا تأبهي له! فهو لا يستطيع منعك من الحصول على الطلاق، وهو يعرف ذلك. زواج دام يوماً واحداً؟ ثم بعد ذلك ثماني سنوات من الانفصال؟ نتيجته محتومة. وهذا يزيد من كسر الزواج الذي لا يمكن إصلاحه؛ ولن تجدي أساساً أفضل من ذلك للحصول على الطلاق. فور عودتنا إلى لندن تستطيعين مراجعة محاميك وتبدأين بالإجراءات. وعندها لن يستطيع أن يفعل شيئاً في هذا الموضوع.»

سأل سايمون محدثاً ووجهه بارد: «كيف ستعيشين بعد ذلك؟ عندما يستولي ابن عمي وعائلته على شانتريز؟»

حدقت إليه، وكانت تعض على شفتها، ووجهها مليء بالشك والقلق.

«ماذا؟» سأل آدم وهو ينظر إليهما واحداً بعد الآخر. ثم أردف: «عم يتكلم؟»

«لا شيء يخصك، لمَ لا تذهب وتحضر حقيبتك من السيارة وتصعد إلى الطابق العلوي؟»

جرت جولييت نفسها ونظرت إلى آدم مبتسمة، وراجية وقالت

«أجل.» ربما من الأفضل أن تفعل ذلك. ربما من الأفضل أن تستحم، لا بد وأنك متجمد ونلك سوف يجعلك في حالة أفضل. أخشى أنك سوف تأخذ عشاء خفيفاً لأنه ليس لدينا المزيد من الطعام الطازج، فنحن نعيش بشكل أساسي على المعلبات، ولكنني سوف أفعل كل ما باستطاعتي. سوف يكون كل شيء جاهزاً بعد ساعة تقريباً.»

تردد آدم، ثم قال: «إذا ذهبت إلى السيارة، هل يحاول، عندها، أن يقفل الباب عليّ خارجاً؟»

«لا، لا تقلق، سوف أتأكد من أنه لن يفعل ذلك.» وعدته جولييت.

هزّ آدم كتفيه بلا مبالاة، ثم أومأ برأسه وخرج. ونظر سايمون إلى جولييت ببرود وتحركت هذه النظرة من رأسها حتى أخمص قدميها مما جعلها واعية تماماً لجسدها العاري تحت المئزر القصير والمفتوح الصدر.

«اصعدي إلى فوق وارتدي ملابسك، هلا فعلت؟ فمن الخبل أن تبقي هنا وأنت لا ترتدين شيئاً، وإني أكره طريقة تحديقه إليك.»

فأمسكت بصدر مئزرها بيد واحدة ونظرت إليه محدقة بغضب.

«سوف أعود فور عودة آدم. لن أسمح لك بإغلاق الباب وهو في الخارج.»

«إنه تماماً كما وصفته، ممل، عادي، صغير العقل. ماذا بحق السماء يعجبك فيه؟»

تجاهلته، وهي تراقب الباب بانتظار أي إشارة تدل إلى عودة آدم بينما كان سايمون يراقبها كما تراقب القطة حفرة فأرة، ولكن هذه القطة تستطيع أن تنتظر طوال الليل، هذا ما فكرت فيه جولييت

وهذه القطة لن تصل إلى ما كانت تنتظره. لقد عرفت أن سايمون كان يحاول أن يدفعها لتنفجر غاضبة، وهي أيضاً تعرف السبب. لم يشأ أن يدعها هادئة، رابطة الجأش مسيطرة على نفسها. حسناً، إنها لكذلك. ولديها العزم الكامل على أن تبقى هادئة حتى تبتعد عنه.

«من المؤكد أنه لم يكن أفضل من وجدت؟» سأل سايمون.

ولكنها تجاهلت سؤاله، وتمنت أن يتوقف عن تفحصها بتلك النظرات.

«إنه لا يحبك، أنت تعرفين ذلك. إنه يحب الملكية، وقد يراك وكأنك إحد أملاكه. ولكنه ليس مجنوناً بحبك. لأنه لا يعرف كيف يحب بعمق.» تقوست حاجباه بشكل ينم من السخرية وأضاف: «وأشك في أنه حصل شيء من هذا.»

وبقيت غير صاغية ولا تنم عن أنها سمعته، ولكنها شعرت بالارتياح عندما سمعت حركة تدل على قدوم آدم، ثم وهو يغلق الباب خلفه. فمشت لتستقبله في الردهة وابتسمت له برضى.

«سوف أقودك إلى غرفتك.»

«أنا أقوم بذلك،» قال سايمون من خلفها.

«هذا ليس بيتك - أنت ضيف كما هو! هذا بيت أمي، وأنا صاعدة إلى الطابق العلوي على أية حال، ولذلك سوف أريه غرفته،» قالت جولييت بحدة بعد أن وصلت بها الحال إلى أبعد حد.

لم يبتسم آدم بل بدا معتداً بنفسه وهو يمشي خلفها إلى الطابق العلوي، ولكن بخلاف ذلك أزعجها هذا الأمر لأنها علمت أنه ابتهج لأنها أوقفت سايمون عند حدوده وآدم ليس له الحق ليبتسم من ذلك.

حسناً، إنها لا تريد أن تتشاجر مع آدم، لأن وصوله حتماً أنقذها من ارتكاب غلطة فظيعة. لو لم يأت في ذلك الوقت لكان انتهى بها الأمر إلى المخدع مع سايمون وبعدها تفسد كل حياتها. وإذا أصبحت حاملاً لتوجب عليها أن تمضي التسعة أشهر التالية في شانتريز بانتظار المولود، وبعدها، بالطبع، يريد سايمون أن يحتفظ بالطفل معه، مما سيجعلها تواجه قراراً هائلاً. هل يجب أن تبقى مع الطفل، وهي تعلم أن سايمون يريدها فقط أماً لطفله... أم تترك الطفل وتطلق والده؟ ومهما يكون قرارها سيكون بانتظارها حزن وألم، وهي قد عانت ما يكفي من تلك المشاعر خلال السنوات الثماني الماضية عندما هربت منه ومن زواجها القصير. لقد كانت محنة لآدم لأنه قطع كل تلك الطريق.

نظرت جولييت إلى آدم باعتذار، عندما فتحت باب غرفة النوم الثالثة والتي كانت أصغر الغرف وقالت: «أخشى أنها ليست فسيحة، ولكن أعتقد أنها دافئة ومريحة.»

نظر في أرجاء الغرفة التي تبدو مثل صندوق، ولوى فمه باستياء. كل الأثاث كان مصنوعاً من خشب الصنوبر الذهبي: سرير مفرد، مع طاولة صغيرة بجانبه وضع عليها مصباح طاولة زجاجي، مع خزانة صغيرة ذات أدراج، وخزانة ملابس ضيقة. وكانت الستائر والسجادة خضراء كألوان الربيع، والجدران طلية بلون أبيض لامع.

«إنها جميلة جداً،» قال آدم بأدب، مع أن كُلاً منهما يعلم أنها ليست كما اعتاد آدم. فهو لا يحب هذا الأسلوب الريفي في أثاث البيت، كان آدم مدنياً، يحب الملابس الحسنة الطراز والأثاث الأنيق في المنزل وحتى المطاعم الفرنسية وشوارع المدينة. ولا شيء له هنا في هذا المكان الكثير الهضاب.

«أنا آسفة لأنك قمت بهذه الرحلة الطويلة من دون أية نتيجة.» قالت جولييت ذلك ولكنه هز كتفيه غير مبالٍ.

«هكذا فعلاً. الله وحده يعلم سبب حضوري. كان يجب أن أراجع نفسي، ولكن ذلك الإتصال أقلقني. لم أستطع أن أصدق أنكِ متزوجة، ولكن ذلك الفتى قطع الإتصال، وعندما عدت واتصلت مجدداً عاد وقطع الإتصال مرة ثانية. وبدأت بالتفكير بأن شيئاً شديد الخطورة يحدث هنا، ربما أن رجلاً مجنوناً قد أمسك بك و...» سكت وهو عابس ووجهه قاتم ثم أردف قائلاً: «آه، حسناً، أنت تعلمين. لقد بدأت أتصور ما الذي يحصل، و...»

ثم سكت مرة ثانية، وبدا وديعاً فتأثرت جولييت بتصرفه هذا، وابتسمت له.

وقالت: «كان ذلك لطفاً منك، يا آدم أن تحضر لإنقاذي!» ثم اتسعت حدقتاها وتأوهت وأردفت قائلة: «آدم، إنها الليلة أليس كذلك؟ سوف تخسر الحفلة!»

فأحنى رأسه من دون أن يتفوه بكلمة، فحدقت إليه من دون كلام، للحظة. إنها تضحية لم تكن أبداً تتوقع أن يقدم عليها، وهذا ما أدهشها وأثر فيها.

فقالت: «آه، آدم... لن أنسى لك ذلك أبداً، أنا آسفة جداً.» وعضت على شفتها السفلى وهي تشعر بالذنب، مدركة أنه كان يتوجب عليها أن تفكر في الأمر فور رؤيته. فهو منذ أسابيع لم يتحدث عن شيء سوى عن الحفلة الراقصة. فتابعت قائلة شبه معتذرة: «أعرف كم يعني لك وجودك هناك! آدم، ما كان يجب عليك أن تترك الحفلة لأجلي، حقاً ما كان يجب عليك ذلك! إنه شيء رائع منك أن تشعر بالقلق لأجلي، وأنا ممتنة جداً لك، ولكن كل ما كان عليك عمله هو أن تتصل بالشرطة وتسألهم التأكد من أنني بخير.»

نظر إليها بحدة، مترددا، ثم قال بصورة تلقائية: «حسناً، في الواقع لقد اتصلت بهم، ولكن كلفني الأمر سنوات لكي أجد أحداً يكلمني - قالوا أولاً إنه يجب أن أترك رسالة. وعامل البرق قال إن لديهم الكثير من الأعمال بسبب الثلج: وهناك الكثير من حوادث السير. فصممت على التحدث إلى أي شخص، ولكن لم يبد أنه أخذ كلامي على محمل الجد. شرحت له أنكِ موجودة هنا بمفردك، ولكن عندما اتصلت وأجاب رجل على الهاتف وكان عدائياً وقال إنه زوجكِ وهذا ما لم استطع تصديقه...» كان آدم متوهجاً، وغاضباً وهو يتابع كلامه: «ولكن رجل الشرطة هذا وجد الموضوع سلبياً. لم يضحك ولكن بدا عليه وكأنه يريد أن يبتسم ابتسامة عريضة. قال إنه من الممكن أنكِ قد كذبت عليّ من البداية وأنكِ كنتِ متزوجة طوال هذه المدة. قال إنها لمسألة عائلية، والشرطة لا تتدخل في مسائل كهذه. وهذا يدل على أن لن يفعل شيئاً في هذا الشأن، ولذلك قررت أن أحضر بنفسي.»

«كان ذلك لطفاً منك ويدل على حسن انتباهك.» قالت ذلك وهي تحاول إرضاءه، وقد تأثرت كثيراً بعدما أدركت أنه ضحى بفرصة تتيح له أن يترك انطباعاً حسناً لدى المسؤولين في احتفال المؤسسة السنوي، وذلك من أجل إنقاذها مما تصور أنه خطر مخيف.

نظر إليها آدم بطرف عينه، مقطب الوجه، وقال محتقراً: «نعم، الآن وجدت أن الشرطة على حق، كل ذلك الوقت - كنتِ تكذبين عليّ، فقد كنتِ متزوجة، وأنا كنت مخدوعاً.»

«ليست المسألة هكذا، أنا لم أكذب... على الأقل، لم أتعمد ذلك.

لقد نسيت أنني كنت متزوجة...» قالت ذلك وقد شحب لونها.

سألها بحدة وفي وجهه عداء: «كيف أمكنك نسيان شيء كهذا؟»

«كان ذلك منذ زمن بعيد، وكنت صغيرة جداً، ولم تبد المسألة كأنها حقيقية، لا شيء منها بدا واقعياً. بدت وكأنها حلم رأيته وهربت منه. لم أخبرك به لأنه بكل بساطة لم يحدث معي، وليس لأنني أردت أن أضع غشاوة على عينيك.»

التزم آدم الصمت، وكان وجهه متجهماً، ثم قال عابساً، «حتى لو كان كل ذلك صحيحاً، فأنا مندهش لأن والدتك لم تقل شيئاً عن الموضوع. لقد أوضحت بأنني عازم على الزواج منك - كانت على الأقل حذرتني...»

«لم تكن تعلم. لم أخبرها أبداً. لم أخبر أحداً. أردت أن أنسى كل شيء عن سايمون، عن الزواج، عن كل شيء. فلقد محوت هذا الموضوع من ذاكرتي - ولقد تمنيت لو أن شيئاً من هذا لم يحصل على الإطلاق.»

«لست مندهشاً، إن ذلك الفتى بغيض، لم أر له مثيلاً في حياتي. بما كان يهددك منذ قليل؟ قال شيئاً ما عن شانتريز، وأنتِ بدوت وكأنك تشعرين بالأسف إذا طلقته؟ ما كان يعني؟»

ترددت وهي تنظر إلى الأسفل، وأهدابها الداكنة تظلل خدها الشاحب. فلا تستطيع أن تواجه إخبار آدم بوصية روبرت جيرارد، أو عن طلب سايمون في هذا الشأن.

«شانتريز هو مسكن عائلته، وهو يريدني أن أذهب معه إلى هناك.»

فقال آدم عابساً: «آه، لقد فهمت، مسكن العائلة؟ هل هذا يعني أنه ثري؟»

«إنه من عائلة ثرية جداً، وهم يملكون تلك المزرعة منذ أجيال، وتوجد أراض شاسعة تحيط بالبيت.»

قال آدم بصورة تدل على عدم الرضى: «هذا يفسر الشيء الكثير، فهو قد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، أليس كذلك؟ شخص متعجرف جدير بالازدراء. وأنا لا أطيق هذا النوع من الرجال.»

كانت تريد أن تبتسم ولكنها حاولت جاهدة أن تبقى حازمة، كانت تعلم أن آدم يكره الرجال الذين يولدون أثرياء وأقوياء، ويطمحون إلى يوم يديرون فيه كل ما ورثوه بحق الولادة. وكرهه لأشخاص أمثال سايمون لم يكن إيديولوجياً، بل كان حسداً: فلقد أرادوا ما يملكون.

قالت بلطف: «حسناً، شكراً لك، يا آدم لحضورك لإنقاذي. أنت تبدو مرهقاً. لمَ لا تستلقي وتستريح لمدة ساعة بينما أرتدي ملابسي وأحضر لك العشاء؟»

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، وذهبت إلى غرفتها، لتجد سايمون بانتظارها. كان مستلقياً على سريرها، وجسده النحيل مسترخياً، وعند رؤيته شعرت بنبضاتها تتسارع بجنون مما جعلها أشد غضباً لوجوده هناك.

«ما تعتقد نفسك فاعلاً هنا؟» قالت ذلك وهي تخفض رأسها حتى لا يسمعها آدم، ولأنها لا تريد أن يعود الرجلان إلى المشاجرة.

«أليس السبب واضحاً؟ كنت أنتظر عودتك من غرفته، ما الذي أخرك كل ذلك الوقت؟» كان صوته منخفضاً، ولكن كانت نظراته ميتة ولم تخدعها الإبتسامة التي ارتسمت على شفتيه. سايمون عادة يكون في ذروة غضبه عندما ينظر بتلك الطريقة الجانبية المألوفة.

فقالت باقتضاب: «كنا نتحدث، إسمع، أريد أن أرتدي ملابسي هلاّ خرجت من الغرفة وسمحت لي بقضاء بعض الوقت بمفردي؟ إذا أردت الحديث معي، فيمكنك ذلك في الطابق السفلي.»

ولكنه بقي حيث هو، مبتسماً بطريقته المعتادة رافعاً حاجبه الأسود وقال: «لا بد وأن لديكما الشيء الكثير لتقولاه لبعضكما بعضاً. ولمَ وجب عليكما أن تقولاه في غرفة نومه؟ لمَ لمْ تتحدثا في الطابق السفلي حيث أستطيع سماعكما؟»

«لهذا السبب لم نفعل، لم نردك تقف وتستمع إلى كل كلمة نتفوه بها وتقاطعنا متى تشاء! ألا تستطيع أن تفهم أن لي حياتي الخاصة وأنت لن تتحكم بها؟»

بدا وجهه قاسياً وهو يومىء بفظرسة قائلاً: «حسناً، من الآن فصاعداً، لن تذهبي معه بمفردكما إلى أي من غرف النوم. هل هذا واضح؟»

تراجعت جولييت بغضب وأجابت: «من الآن فصاعداً، لا تدخل إلى غرفتي وهذا واضح؟ وتوقف عن إصدار الأوامر. واخرج حتى اتمكن من ارتداء ملابسي!»

«لقد رأيتك عارية من قبل،» قال ذلك وفي عينيه الرماديتين لمعان سخرية، وراقب تورد وجنتيها وهو يبتسم.

فقالت بحدة: «أخرج!»

وعندما نهض عن السرير ووقف، تراجعت جولييت، وهي متوترة لوجوده مع أن آدم موجود بالقرب منها لتصرخ له طالبة النجدة.

ومشى سايمون بتؤدة باتجاه الباب ثم استدار جانباً وأمسك بها دون أي إنذار، وأطبق يديه على كتفيها، وجذبها نحوه حتى تلاشى جسداهما. مما جعلها ترتجف ولكنها أبعدت رأسها إلى

الخلف ورفعت ذقنها بتحدٍ ثم قالت مهددة: «دعني أذهب وإلا ناديت آدم!»

فضحك وسأل: «وما تعتقدين أن باستطاعته أن يفعل؟»

«إنه...» بدأت تقول بغضب لتجعل صوتها ثابتاً وحسب.

حاولت أن تتابع كلامها ولكن حركة فمها أعطت سايمون الفرصة ليعانقها. لقد اكتشفت ضعفها تجاهه ولن يوفر أية فرصة للإستفادة من ذلك، ولكنها كانت تعلم أنه ليس لمشاعره أي علاقة في الموضوع، فتساءلت لمَ كانت تسمح له أن يفعل هذا بها؟ فقد كان يستعمل عقله لا قلبه، ولو سمحت له بإغوائها للذهاب معه إلى شانتريز، والعيش معه كزوجة له، فعندها تكون مجنونة، بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

توقف ونظر مبتسماً إلى وجهها، المتورد، المضطرب، لحائر: «أنتِ تعلمين أنكِ الآن أجمل مما كنتِ عليه في السابعة عشرة. آه، لقد كنتِ عندها مثيرة- لقد كنتِ مراهقة مبكرة النضج وأدرتك بقوة، ولكنك كنت هزيلة جداً وجاحظة العينين لدرجة لا يمكن أن تكوني مثيرة حقاً. لقد تغيرت هيئتكِ بشكل لا مجال لإنكاره، فقد عرفتِ كيف تتأنقين، وتتزينين. كنتِ واثقة من نفسكِ، وأكثر اطلاعاً على الثقافة الحديثة، أعتقد أن المرأة بحاجة إلى الإطلاع على أحدث الآراء حتى تكون مثيرة. وأنتِ، ألستِ كذلك؟»

«أنا...» بدأت تتلعثم لأن الطريقة التي كان ينظر إليها بها جعلتها تتوتر، وشعرت بوخزة في حنجرتها مما جعلها تشعر بالفزع. هل حقاً وجدها مثيرة؟ أم أنه يخبرها هذا لتقع في المصيدة؟

أرادت أن تبعده عنها، ولكنها لم تستطع.

قال سايمون وهو ينظر إليها بوجه كئيب: «لقد كانت لنا بداية

سيئة يا جولييت. لقد أفسدنا الأمر. كل منا أفسد الأمر. أعرف أنني أسأت إليكِ في تلك الليلة، وقد ندمت بمرارة منذ ذلك الحين، لكن لدينا فرصة للبدء من جديد أليس كذلك؟ فلا تضيعيها.»

حدقت إليه جولييت صامتة، ووجهها شاحب ومضطرب، وبعد لحظة تركها وتراجع إلى الخلف ثم قال: «سوف أنزل إلى الطابق السفلي وأحضر عشاءنا، هل أفعل؟»

«شكراً لك.» قالت ذلك بصوت أجش.

بعد أن خرج بلحظة، أوصدت الباب خلفه، ووقفت هناك مشوشة الأفكار بشكل تام. كم كان ذلك صحيحاً؟ لم تعد تعرف ما تصدق - كان يقودها إلى الجنون ولا تعرف كم تستطيع أن تتحمل من تصرفاته المحيرة المقلقة. والشكر للسماء لأن الثلج أخذ يذوب وفي الصباح تستطيع حتماً أن تقود السيارة باتجاه لندن. حتى لو لم تزل الطرق جليدية، فهي تستطيع أن تترك سيارتها في المرآب في الكوخ، وتعود مع آدم بسيارة الرانج روفر التي باستطاعتها أن تقطع الطرق السيئة بشكل أفضل بكثير من سيارتها. بطريقة أو بأخرى، كانت مصممة على الإبتعاد عن سايمون والعودة إلى صخب الحياة في المدينة، التي قد تبدو مريحة إلى أبعد الحدود بعد تجربة ما سمي بالهدوء والسكينة في الريف، إذا كان سايمون موجوداً هناك.

فاستجمعت قوتها! لترتدي ملابسها، لأنه لم يكن لديها الوقت لتفكر في أمور كهذه. ارتدت ملابسها دونما تفكير بما سترتدي وسرحت شعرها، واستعملت القليل من مساحيق التجميل، ونزلت إلى الطابق السفلي لتساعده في تحضير العشاء.

كان يحرك شيئاً ما في الإناء، واستدار ليتفحصها من رأسها

حتى قدميها فقال ساخراً: «رائعة جداً، أنا متأكد من أن صديقكِ سوف يستحسن ذلك.»

واختلست نظرة إلى المرآة الصغيرة الموجودة في المطبخ وفهمت عندها ما كان يعني سايمون، مع أنها رفضت أن تعترف له بذلك. كانت قد ارتدت ملابسها بطريقة آلية، فلبست تنورة سوداء وبلوزة بيضاء محتشمة وكنزة صوفية دافئة سوداء محفورة على شكل (٧) عند الياقة، مما يعود إلى التمسك بالتصرف الشكلي في المدينة.

«هل قلت إنكِ كنت مثيرة؟» قال سايمون ذلك وهو يخفض الحرارة تحت إناء حساء الخضار الذي كان بعده. ثم أضاف: «إننا ودودان جداً الليلة، ألسنا كذلك؟ ألأجله؟ أم لأجلي؟ هل أنتِ تتأكدين من أنني لا أجدكِ مثيرة إذا كان هو موجوداً؟»

قد تكون، لا شعورياً، كذلك، ولكنها هزت كتفيها غير مبالية، وهي تحاول أن تبدو هادئة. «لقد ارتديت أول شيء تناولته يدي، وأنت تعطي الموضوع تفسيرات كثيرة.» ثم رفعت غطاء إناء آخر: حيث كان سايمون يغلي الماء. وسألته: «لمَ هذا؟»

«أرز، لقد وجدت المزيد من البندورة المعلبة، وعلبة من الحبوب المخلوطة وعلبة من سمك الطون... هذا قد يكون طعاماً معقولاً لثلاثة أشخاص، مع هذا الحساء على الرغم من أن كل هذا من مجموعة صغيرة، ولكنها شهية وسوف تساعد على إشباعنا.»

قالت جولييت معترفة: «أنا أموت جوعاً، ولقد بدا هذا اليوم طويلاً، وأنا مرهقة فكرياً.»

وضع سايمون ذراعه حولها برفق وابتسم لها قائلاً: «لقد نمتِ كل فترة بعد الظهر، وما زلتِ تعبة؟»

«لقد حدث الكثير منذ أن استيقظت.»

«إنه فعلاً يوم مليء بالأحداث،» قال ذلك موافقاً، ثم تحول نظره باتجاه باب المطبخ وتجمد وجهه وهو يقول: «آه، ها أنت ذا - العشاء جاهز تقريباً.» وعندما قال ذلك جمدت جولييت في مكانها ثم استدارت لتنظر حولها.

وتقدم آدم مباشرة إلى الغرفة وقال متجهماً: «آسف، لمقاطعتكما!»

«أنت لا تقاطع شيئاً، لقد أعد سايمون لنا وجبة شهية، فلناكل إذن الآن، هل ناكل؟»

لم تكن الوجبة شهية بالتحديد، ولكنها كانت دافئة وغنية، ولشدة جوعها كانت جولييت تستطيع أن تأكلها كلها. فانتهوا من الطعام وغسلوا أيديهم في آن واحد وكانوا يتحدثون بأدب وباقتضاب عن حالة الطقس. في الخارج كان الثلج يذوب من على السطوح والأشجار، وكانت المياه تنساب في مكان ما في ميازيب أو مجارٍ. حتى أن الطقس كان أكثر دفئاً. فشربوا القهوة في غرفة الجلوس، وهم يحاولون أن يكونوا مهذبين، ثم استمعوا إلى مسرحية في المذياع لمدة ساعة.

عند انتهاء المسرحية، استمعوا إلى نشرة الأخبار، وكان الرجلان يعلقان على بعض الأحداث الدولية التي كانا بطبيعة الحال يختلفان عليها بحدة. لا شيء مشتركاً بينهما، وبشكل خاص في آرائهما، وكانت جولييت تعبة من مناقشاتهما، ولذلك نهضت وقالت عمتم مساءً ثم تركتهما حتى يتشاحنا دون أن تسمع كلامهما.

وما كادت تضع رأسها على الوسادة، حتى غفت، واستيقظت في الضوء الشاحب، الغائم من الصباح. ثم نظرت إلى ساعتها،

ورأت أن الساعة كانت السابعة والنصف صباحاً، فلذلك نهضت عن سريرها. وبعد أن اغتسلت وارتدت ملابسها نظرت من النافذة لتجد أن الثلج قد ذاب - مع بعض البقع الثلجية على الطريق، ولكنها كانت متأكدة من أنها تستطيع الوصول إلى لندن بأمان.

فحزمت حقيبتها ونزلت إلى الطابق السفلي، لتجد أن آدم كان قد استيقظ وشرب القهوة وتناول بعض «الكورن فلاكس» المغير.

قال آدم عابساً: «هذا كل ما استطعت الحصول عليه.»

«هذا حسن، نستطيع التوقف على الطريق، لقد قررت أن أترك سيارتي وأذهب معك - هل هذا ممكن؟»

فوضع ملعقته وحدق إليها ثم قال «رائع... هل أخبرت ما اسمه؟»

هزت رأسها نفياً: «أفضل أن أرحل قبل أن يستيقظ، إذا لم نمانع.»

«تهربين؟» سأل آدم بجفاف، لكنه لم يوجه إليها أية أسئلة أخرى، أنهى قهوته فقط، وقدم لها بعض القهوة، وعندما رفضت ذهب لإحضار حقيبته. خرجت جولييت بهدوء من الكوخ وحدقت إلى الهضاب التي كانت تلمع بضباب متلألئ، تصلي حتى لا يوقظ آدم سايمون.

خرج آدم وهو يحمل حقيبته، وأغلقت الباب بهدوء خلفهما، وسمعته يقفل بشكل آلي. «هل يجب أن نتركه وحيداً في الكوخ؟» سأل آدم عابساً: «هل تعتقدين أن ذلك تصرف حكيم؟»

قالت جولييت بنفاد صبر: «إنه ليس مجرماً؟ وعندما يغادر الكوخ سوف يُغلق الباب خلفه، وعلى أية حال لن يتمكن من الدخول مرة ثانية، وهكذا لا وجود لأية مشكلة.»

«ألا تعتقدين أن أمكِ سوف تعترض، إذا اكتشفت أنكِ؟ أعني، ترك غريب بمفرده في كوخها؟»

«إنه ليس غريباً. فهي تعرفه، تعرفه منذ أن كان طفلاً.»

وقف آدم وحدق فيها ثم قال: «ولكنكِ قلتِ إنها لا تعلم شيئاً بشأن الزواج.»

«إنها فعلاً لا تعلم شيئاً عن الزواج، ولكنها تعرف سايمون. لقد أخبرتك أن والديّ قد طلقا وبقيتُ أنا مع والدي، الذي كان دائماً يعمل في شانتريز، مزرعة جيرارد - ومازال يعمل، في الحقيقة، إنه حارس الطرائد. أمي تعرف عائلة جيرارد بمن فيهم سايمون - ولكنها رحلت قبل سنوات... قبل أن نتزوج.»

«لا أفهم شيئاً من هذا،» قال آدم ذلك، وعندها نظرت جولييت إلى الكوخ، بقلق خائفة من رؤية إحدى الستائر تتحرك، وظهور وجه سايمون. إذا رآهما سايمون يرحلان، فقد يأتي خلفهما، واضطرارها للعجلة جعل عروقها تنبض بسرعة.

وقالت: «هيا بنا يا آدم! لا وقت الآن للجدال. لنذهب الآن طالما باستطاعتنا ذلك!»

لاحظ آدم توترها، ومشى مسرعاً باتجاه سيارة الرانج روفر وفتح الباب ووضع الحقائب فيها بينما صعدت جولييت إلى المقعد المجاور للسائق. ثم صعد آدم خلف عجلة القيادة وأدار المحرك وانطلقا. نظرت جولييت بقلق إلى المرآة الجانبية ولكن لم تظهر أية إشارة لأية حركة في الكوخ. لابد وأن سايمون نائم كالميت.

كان آدم يقود بعناية - ولكن الطريق كانت ما تزال جليدية - ولكن شيئاً فشيئاً أخذ الكوخ يتلاشى في المسافة البعيدة، وغاصت جولييت إلى الخلف في مقعدها وتنهدت وهي تشعر

بخليط من المشاعر تتأرجح بين الراحة والندم المؤلم. لم تكن قادرة على أن توافق على العودة إليه ورحيلها كان مؤلماً، كما آلمها هروبها منه بعد ليلة زفافهما، وربما كان اليوم أشد إيلاماً من قبل.

وسأل آدم فجأة: «هكذا كان الموضوع، إذن؟ هل أنتِ عازمة على الطلاق منه أم لا؟ أعني، أن الموضوع برمته يبدو محيراً، ألا تعتقدين أنه من الأفضل تسوية الأمور؟ خاصة وأنه على ما يبدو أنكِ تخافين هذا الفتى.»

«أنا لست خائفة منه!» أنكرت جولييت ذلك باستياء.

«بدا لي الأمر كذلك.» قال آدم. وبالطبع كان ذلك صحيحاً، كانت تعرف أن ذلك صحيح. وإنها تخاف سايمون وتحترس منه، تماماً كما يحترس أي شخص عاقل من حيوان مفترس يجول خارج قفصه ويبحث عن طريدة.

«بالطبع سوف أطلقه،» قالت ذلك بصوت حاد وهي غاضبة من نفسها لأن مجرد لفظ تلك الكلمات يجعلها كئيبة. وزواجهما لم يكن زواجاً حقيقياً، فلم يزعجها إنهاء زواج كهذا؟

«ولكن هل يستطيع وضع عراقيل أمام الحصول على الطلاق؟» فكر آدم بصوت عالٍ ومجدداً كان استنتاجه في مكانه.

كان ذلك ما سيقوم به سايمون بالفعل - يضع العراقيل. وسيبدأ بالتخطيط لذلك بعد أن يستيقظ ويكتشف أنها هربت من الكوخ. لن يسمح لها بالهرب دون بذل الجهد لإعادتها. لأنه سيخسر الكثير. سوف يأتي خلفها، وبسرعة، وشعرت جولييت بأعصابها تحدث قرقعة مثل نيران في غابة وذلك عند تصورها أن سايمون يقتفي أثرها، ثم يجرها بقساوة حتى يستطيع أن يحاصرها في زاوية صغيرة.

نظرت إلى عداد السيارة واشتعلت نظراتها. كان آدم يقود بمعدل أربعين ميلاً في الساعة، وكان ذلك تصرفاً حكيماً من دون شك لأن الطرق كانت كلها منزلقات، ولكن القلق سيطر عليها لأنها كانت يائسة تريد أن تصل إلى لندن قبل أن يمسك سايمون بهما.

«ألا تستطيع أن تسرع أكثر؟» قالت وهي تشعر بالفزع ونظر آدم إليها نظرة جانبية تعكس دهشته ولكن جولييت قالت محذرة: «قد يلحق بنا في أية لحظة.» شحب وجه آدم وقد بدا متشنجاً من دون أي تحذير داس على دواسة البنزين.

الفصل السابع

كانت جولييت نائمة عندما أوقف آدم السيارة خارج شقتها. فلمس ذراعها، واستيقظت وجفلت. فنظرت إليه وجفناها مثقلان من النعاس ولثوان قليلة كان وجهها خالياً من التعبير، ثم استرجعت كل شيء فجلست في مقعدها ودفعت بشعرها الكستنائي إلى الخلف بعيداً عن وجهها المتوهج.

«أين نحن؟»

«في منطقتك،» قال آدم ذلك بصوت ثابت وجامد. لم تكن رحلة سهلة؛ ففي الفترة الأولى انهال عليها بالأسئلة وأجوبتها لم تكن ترضيه، وكانت هي عديمة الصبر وتكره أن تكون دبلوماسية- لم تر أن له الحق في الحكم عليها أو على سايمون، وقالت له ذلك، مما خلق بينهما توتراً وشجاراً بسيطاً. وأخيراً رفضت أن تكلمه على الإطلاق، وأغمضت عينيها، وأدارت رأسها ثم غفت.

«وصلنا؟» قالت وهي تشعر بالارتياح ونظرت إلى خارج السيارة إلى المبنى المألوف لديها وإلى الشارع الهادىء: «لقد استغرقت المسافة القليل من الوقت.» لا بد وأنه قد قاد سيارة لرانج روفر كالمجنون. وبنظرة إلى ساعتها علمت أن الساعة لم تتجاوز الواحدة، وقت الغداء - وبعد ذلك مباشرة بدأت تشعر بالجوع.

«لم يكن السير خانقاً، لا بد وأن الثلج قد أبقى الكثير من الناس بعيدين عن الطريق،» قال آدم ذلك ثم خرج من سيارة الرانج روفر وأنزل الحقائب ثم انضمت إليه جولييت على الرصيف، وكانت

تزدري النوافذ المغطاة بالستائر في شقتها. لا يمكن أن يكون سايمون قد حضر إلى هنا أولاً؛ لأن آدم كان يقود بسرعة جنونية ومن دون شك من الصعب على سايمون أن يتعقبهما.

«هل أصعد معك؟ للتأكد من أن كل شيء على ما يرام؟» سأل آدم ذلك بأدب وهو يقرأ بوضوح تعابيرها، ولكنها هزت رأسها نفياً.

وقالت: «كلا، سأكون بخير وعلى أية حال إننا في وضح النهار.» ثم حملت حقيبتها التي لم تكن ثقيلة وكان باستطاعتها أن تتدبر أمرها بشكل تام. ثم بدأت تقول بأدب: «آدم، شكراً...»

ولكن آدم قاطعها: «لا أبداً. الوداع يا جولييت.»

ثم عاد إلى سيارة الرانج روفر وجلس خلف عجلة القيادة، وبعد لحظة كان قد ذهب، تاركاً جولييت واقفة على الرصيف، وهي تحدق إليه. كان آدم يعني ذلك الوداع، لأن النهاية كانت صدى في صوته.

كان قد هدد بإنهاء علاقتهما إذا لم تذهب معه إلى الحفل، ومع ذلك فقد قطع كل الطريق إلى كورنوول لأنه شعر بالقلق عليها، وهي قد شعرت بالامتنان له على ذلك، وشعرت بالذنب، لأن ذلك يعني أن آدم كان يهتم بأمرها بطريقته الخاصة. ولو كانت مكانه هل كانت ستفعل الشيء نفسه؟ فكرت بذلك الأمر وهي مستاءة. لم تكن متيمة به ولكنها أحبته، ولكانت اهتمت بأمره وساعدته لو شعرت أنه يعاني بعض المتاعب. لقد كان لها صديقاً وقد شعرت بالأسف لأنها قد لا تراه ثانية.

ولكنها لن تبكي. لقد كانت العلاقة بينهما فاترة منذ البداية وقد كانت ممتنة له لأنه رحل دون أن يوجه لها الإتهامات. وكان باستطاعته أن يكون بغيضاً. كانت كبرياؤه عظيمة وكذلك كان تقديره لنفسه. لقد قرر أنها ستكون الزوجة المناسبة، وقد أخطأ

في فكرته عنها؛ لقد شعر أنها قد خدعته. ولكنه ضيع فرصة التأثير على رؤسائه في حفلة الشركة، وذلك لأجلها، وليكتشف بأنها كانت متزوجة كل ذلك الوقت، ومتزوجة من رجل مثل سايمون جيرارد، تماماً من النوع الذي يكره آدم ويحسده.

نظرت من فوق كتفها وشعرت بالتوتر فجأة وتساءلت عم كانت تفعل واقفة في ذلك المكان حيث من الممكن أن يحضر سايمون فجاة وفي أية لحظة؟ فأسرعت إلى شقتها وأوصدت الباب أمامي خلفها، ثم جالت في الغرف، وهي ترفض أن تعترف لنفسها بأنها كانت تفعل ذلك لتطمئن إلى أنها بمفردها.

بعد أن تأكدت من ذلك، أفرغت حقيبتها ووضعت الملابس في سلة الغسيل. كانت بحاجة لأن تغسل كل الملابس التي ارتدتها في الكوخ - بدا لها أن كل ملابسها قد دمغت بعلامة من أصابعه. وقد شعرت برغبة في رميها كلها بعيداً حتى لا ترتديها مرة ثانية. ولكن ذلك جنون وقد يكون اعترافاً بشيء لا تريد الإعتراف به.

وبعد لحظات قليلة أدارت الآلة ووجدت في الثلاجة بعض طعام لإعداده للغداء. فقررت إعداد بعض أنواع السمك من القد والفريدس مع البطاطا.

ولم تكد تنهي طعامها حتى رن جرس الهاتف. فقفزت من مكانها، وهي تشعر بالقلق وتساءلت هل يكون سايمون؟

ربما يتوجب عليها أن لا تجيب؟ ولكنها لم تكن قادرة على تجاهل الرنين الملح. وهكذا رفعت السماعة أخيراً وقالت هامسة: «ألو؟»

«آه، لقد عدت!» عندما سمعت صوت أمها هدأت جولييت وشعرت بالارتياح.

«نعم، أين أنت؟ هل ما زلت في إيطاليا؟»

أجابت شيرلي مندلي بمرح: «تقريباً! لو لم تجيبي الآن لكنت حجزت على الطائرة التالية. إنني أحاول الإتصال بكِ منذ الصباح. لقد اتصلت بكِ في البداية إلى الكوخ ولكن لم أتلق إجابة ثم اتصلت بكِ إلى هنا، ثم اتصلت مجدداً إلى الكوخ، لقد شعرت بالقلق عليكِ وقررت العودة اليوم، ولكن جورجيو قال إنك قد تكونين في طريقك إلى لندن وليس من الضروري أن أقلق...»

ضحكت جولييت وهي تتصور المشهد الطبيعي بينهما - دائماً تبالغ أمها في التعامل مع أي شيء بينما يحاول جورجيو أن يهدىء من توتر أعصابها، وعادة ما يتبع وجهة نظر منطقية في ذلك العمل.

«ثم أدركت أنكِ إذا أردتِ العودة فلا بد وأن تنطلقي عند وقت الفطور، فلذلك انتظرت مدة ساعتين وأعدت الاتصال وهكذا حظيت بكِ. وأقول لكِ، إنني شعرت بالراحة لسماع صوتكِ! كيف كانت قيادة السيارة في طريق العودة إلى لندن؟ هل كانت الطرق صعبة العبور؟»

«كلا، لم نواجه أية مصاعب. ما زال الثلج يذوب حتى الساعة ولم يكن السير خانقاً.»

«لم نواجه؟» كررت والدة جولييت بفضول ثم سألت: «هل أوصلك سام جيرارد إلى البيت؟»

ترددت جولييت، لأنها أدركت بأن الكثير مما حصل في تلك العطلة لا تستطيع إطلاع والدتها عليه، ولكنها قالت: «لا، في الواقع، لقد أوصلني آدم.»

«آدم؟ ولكنك لم تخبريني أنه ذهب معكِ إلى هناك.»

«لم يذهب معي، لقد ذهب إلى هناك لإحضاري إلى المدينة في سيارة الرانج روفر التي استعارها من صديق له...»

«لمَ في سيارة الرانج روفر؟»

«لأنها حسنة في الطرق الصعبة.»

«آه، فعلاً، حسناً، تلك كانت فكرة حسنة من آدم. عزيزتي، هل تريدينني أن أعود في الحال إلى لندن؟ على جورجيو أن يبقى هنا لعدة أيام، ولكنني أستطيع العودة بمفردي - إذا احتجت إلي؟»

«لا، يا أمي، لا تكوني ساذجة! فلا وجود لأية مشكلات هنا. إبقي أنتِ مع جورجيو! لأنه بحاجة لكِ أكثر منا!» قالت جولييت ذلك وهي تحاول أن تبدو مقنعة. ولا تريد أن تجعل أمها تشعر بأن شيئاً ما يقلقها! وعلى كل حال لن تستطيع أمها المساعدة في أي شيء.

«أمتأكدة أنكِ تستطيعين تسوية كل الأمور في العمل؟»

«طبعاً أستطيع! لأنني آمل بأن أكون مسؤولة!» أجابت جولييت بمرح ولكن حاولت أن تبدو جادة - لأن انشغالها كلياً في العمل قد يمنعها من التفكير في سايمون.

فضحكت أمها وقالت: «حسناً، في تلك الحالة - اتمنى لكِ قضاء وقت ممتع يا عزيزتي وشكراً لكِ. فإنها لمساعدة عظيمة أن تكوني هناك، وتهتمي بكل شيء. ولكن إذا كنتِ بحاجة إليّ، سوف أعود في الحال - فما عليك إلا أن تطلبي، أنت تعرفين ذلك.»

«أنا أعرف.» قالت جولييت ذلك وهي تعلم أنها لن تسأل ذلك ولن تستطيع أن تسأل. لقد أخفت الكثير، وأيضاً لم تطلع والدتها على الكثير، ولكن عندما تطلع شيرلي على القصة كاملة سوف تشعر بالأذى لأنها بقيت خارج الموضوع. هل ستفهم لِمَ لم تستطع ابنتها أن تثق بها؟ لمَ أرادت أن تنسى زواجها فقط وكل ما أدى إليه؟ شعرت جولييت أنها في يوم ما، وقريباً، سوف يتحتم عليها أن تطلع والدتها - ولكن هذا لا يكون طالما هي بعيدة عنها كل تلك المسافة، ولا علم لديها بما يقلقها؟

بقيت جولييت قلقة طيلة النهار بانتظار وصول سايمون، أو اتصال منه، ولكن لم تكن هناك أية إشارة عنه، وعند حلول الساعة العاشرة توقفت عن التفكير به. كان ذلك عندما ذهبت إلى السرير، ولكن لا لتنام. فهي بقيت مستلقية يقظة، وعقلها يدور في حلقات مفرغة.

عندما اتصلت أمها في الكوخ لم تتلق جواباً، فإذاً لا بد وأن سايمون قد ترك الكوخ في وقت مبكر. فأين كان؟ وكان الجواب واضحاً، فقررت أنه قد عاد حتماً إلى شانتريز لا إلى لندن. ولكن لِمَ فعل ذلك؟ لقد كانت واثقة من أنه سوف يلحق بها.

هل تخلى عن خطته؟ هل استسلم لأنها هربت مع آدم؟ لا تستطيع أن تصدق ذلك... فسايمون لا يرضى بالهزيمة بهذه السهولة. لقد كان مجازفاً، وشانتريز هي بالنسبة إليه حياته كلها ولن يخسرها لأنه سوف يقوم بأي شيء حتى لا يفقدها.

حتى عندما غفت كانت تستيقظ باستمرار، وكانت تجلس فجأة في السرير وتنظر حولها محدقة، وهي حائرة وكأن شيئاً ما أو شخصاً ما موجود معها في الغرفة. بدا لها الأمر وكأن بها مساً. غير أنها كانت في كل مرة تكتشف أنها بمفردها فتتنهد وتستلقي من جديد لتعود إلى النوم.

استيقظت في الساعة السابعة والنصف على صوت المنبه، فشعرت وكأنها ميتة عندما نهضت عن سريرها وبدأت بأعمالها الروتينية قبل الذهاب إلى العمل. نظرت من النافذة قبل أن تغادر شقتها؛ فلم يكن هناك أي أثر لسايمون ولا لسيارته. فلذلك أسرعت وصعدت إلى سيارتها.

وعندما وصلت جولييت إلى مكتبها نظرت إليها سكريتيرتها وقالت: «آه، صباح الخير. كيف كانت رحلة نهاية الأسبوع؟» كانت

هيلين تعلم أنه ينبغي لجولييت أن تقود سيارتها إلى كورنوول. وأضافت: «لقد رأيت أن الطقس كان مثلجاً في الغرب - هل واجهتك أية متاعب هناك؟»

«لقد حبست لمدة يوم واحد، ولكن الثلج ذاب بعد وقت قصير.» نالت جولييت ذلك وهي تجمع الرسائل الموجودة على مكتبها وتتفحصها. ثم سألت: «هل من رسائل أخرى؟» لم تكن تنظر إلى هيلين ولكنها كانت تتساءل، فمن الممكن أن يكون قد اتصل بها هنا أو - هل فعل؟ فهذا آخر شيء تتوقعه، ولذلك قد يكون فعل ذلك.

«لقد تركت رسالتين فوق مكتبك - الموردون الإيطاليون اتصلوا للسؤال عن موعد تسليم البضائع.» ثم توقفت برهة، ونطبت جبينها وقالت بصوت ينم عن القلق: «آه، في المناسبة، لقد اتصل شخص في مساء الجمعة، في الوقت الذي كنت استعد فيه للمغادرة. قال بأن المسألة ضرورية ولا بد من الحديث إليك، ولكنني اعتقدت أنه من الأفضل أن لا أعطيه العنوان ولا رقم الهاتف في الكوخ. آمل أن كل شيء كان على ما يرام؟»

فابتسمت لها جولييت باستياء وقالت: «نعم، أنت محقة، لا تعطي أبداً أية معلومات شخصية من دون مراجعتي أولاً.»

هزت هيلين رأسها وقالت: «حسناً، ذلك يريحني. لأنه غضب من كلامي واستمر يقول إنه قريب لك، ولم أكن واثقة من أن ما أقوم به هو الصواب.»

كانت فتاة هادئة نحيفة بنية الشعر وعيناها قاتمتين. وعندما تبتسم، تبدو ابتسامتها رقيقة وعذبة ولكنها، لا تبتسم ولا تتكلم بسهولة. كانت هيلين خجولة. وكانت أيضاً قديرة وتعمل بجهد ومن الصعب حملها على الحديث عن نفسها.

كانت جولييت تعلم القليل عن حياة هيلين خارج العمل.

ولكنها كانت تحبها، وتثق فيها ثقة عمياء وكثيراً ما تساءلت لم كانت هيلين كتومة. ولكنها عرفت ذلك، وهذا أفضل من أن تطرح أسئلة مباشرة، ومع ذلك، فقد وجهت إليها ابتسامة مشجعة وقالت «حسناً، من الأفضل أن نؤدي بعض الأعمال، أليس كذلك؟ أين أوراق الميزانية التي كنت أعمل بها يوم الجمعة؟»

وأخرجت هيلين الأوراق من الملف حيث حفظتها بترتيب ونظام، ثم خيم الصمت على المكتب مما يدل على الإنشغال. كانت جولييت قد حازت على ترقية في العمل وأصبح لها مكتبها الخاص وسكرتيرتها الخاصة منذ سنة، وذلك بعد أن عملت في عدة مخازن، وبعد أن درست مواد في الأعمال، ثم شاركت سكرتيرة والدتها، في بعض الأعمال وهكذا استطاعت أن تدرس عمل والدتها كله قبل أن تنتقل شيرلي مع جورجيو إلى مانشستر لافتتاح فرع جديد هناك.

وبتزايد عدد المخازن كان لابد من زيادة الإدارة، وقد علم الجميع أن زيادة العمال في قسم السكرتاريا كان لابد وأن يتحقق عاجلاً أم آجلاً، ولكن أصر جورجيو وشيرلي على أن تكون إدارة المؤسسة من العائلة فقط. كانا يخشيان من التمدد السريع على الرغم من النصائح التي وجهت إليهما من محاسبيهما. وشككت في أنهم يؤمنون بصعوبة التحكم في الشركة عندما تصبح أكبر، أو، على الأقل، يصبح من الصعب عليهم التحكم فيها، وكانت جولييت متعاطفة معهما في ذلك الأمر. ولكن الجزء الأكبر من السعادة في العمل، لكل من عمل لديهم ومن كل المستويات، كان يكمن في الاسلوب الشخصي في تولي الإدارة.

وبما أن أعباء العمل قد تزايدت في السنتين الماضيتين فقد شغلها ذلك طوال الوقت، ومع أنها كثيراً ما كانت تتذمر من ذلك، إلا

أنها كانت سعيدة بهذا العمل في ذلك الأسبوع لأنه كان يبقيها بعيدة عن التفكير في سايمون.

كانت منفعلة وهي تعمل في المكتب أو تقود سيارتها بين المخازن، وباستمرار تتساءل عمّ إذا كان سايمون سيظهر أمامها. لكنه لم يفعل، وذلك ينبغي أن يريحها، ولكن نوعاً ما لم يكن الأمر كهذا. لقد كانت تنام بصعوبة والتشنج يأكل أعصابها.

ألهذا السبب كان سايمون يفعل ذلك؟ هل كان يحاول أن يجعلها مضطربة؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنه يقوم بعمله بشكل رائع. لأنها مهما كانت تعمل فإن أفكارها بقيت تدور حول سايمون.

فكرت جولييت بغضب، لو علم ذلك فهو سيكون المنتصر، وكانت في تلك اللحظة تتناول هيلين مجموعة من الرسائل بعد أن وقّعت عليها وكانت غاضبة مما جعل الفتاة تنظر إليها بقلق.

وتقول: «هل قمت بأي خطأ؟»

«ماذا؟» استجمعت جولييت أفكارها ثم عبست وقالت: «لا، فالأوراق مطبوعة بإتقان. شكراً لك، أنا آسفة يا هيلين، كنت أفكر في موضوع آخر.»

«هل يوجد أية مشكلة تبدين... منفعلة جداً...»

وكما من النادر أن تقدم أية ملاحظات شخصية، كذلك من النادر أن تهب أحداً ثقتها، فلذلك نظرت جولييت إليها مندهشة ثم ابتسمت. «إنها مشكلة شخصية ما كان يجب أن أجعلها تؤثر علي في العمل! أنا آسفة، دعك من ذلك يا هيلين.» كان الأمر مريحاً لها أن تدرك بأن هيلين لن تطرح المزيد من الأسئلة. وفي الحال هزت هيلين رأسها وعادت إلى مكتبها وهي تحمل الرسائل لترسلها بالبريد.

اتصلت والدة جولييت في ذلك المساء، لتعلمها أنه أصبح

باستطاعتها هي وجورجيو أن يعودا أخيراً، وأنهما سوف يستقلان الطائرة في صباح اليوم التالي. «سوف نكون في مانشستر في المساء. وسأتصل بك لدى عودتنا إلى البيت يا عزيزتي. وسوف نحضر إلى لندن لرؤيتك بعد يومين أو ثلاثة. ونستعلم عن كل ما حدث. أعتقد أن الطقس مخيف كالعادة هناك؟ هل ما زال الثلج يتساقط؟ صقيع... في الواقع أتمنى لو أننا نستطيع البقاء هنا. لقد كنا نسبح ونأخذ حماماً شمسياً وذهابنا سوف يكون كالجحيم.»

فضحكت جولييت وقالت: «أنا أصدقك! ولكن الطقس تحسن وأصبح دافئاً في اليوم الأخير. لقد ظهرت الشمس اليوم وبدا الربيع وكأنه يعود أخيراً. ومانشستر ليست ريفيرا إيطاليا، ولكني لا أعتقد أنك سوف تتجمدين حتى الموت.»

لقد شعرت بالفرح عندما ذهبت إلى النوم. لأنها مع أمها ومع جورجيو تشعر بالأمان، وقد تعود حياتها إلى طبيعتها وسوف تتوقف عن التلفت حولها ولن تتوتر أعصابها، كلما رن جرس الهاتف. وقد تستطيع التوقف عن التفكير في سايمون في كل لحظة في اليوم، وتكف عن التساؤل لِمَ لم يأت؟ لو تعلم فقط لم استسلم؟ عندها تستطيع أن تنسى كل هذا الحدث الغريب.

لقد كانت ليلة مزعجة أخرى في حياتها، وقد غفت في ساعات الفجر وغفيت لدرجة أنها لم تستطع أن تسمع صوت المنبه في الصباح. ولحسن الحظ ايقظها صوت مذياع أحد الجيران، وهو يصدر أصوات موسيقى صاخبة مما جعلها تتأوه، وتضطرب، وحتى أنها اعتقدت أن المذياع كان معها في غرفتها. استجمعت أفكارها، ونظرت إلى ساعتها فأدركت أنها لابد وقد نامت دون أن تسمع صوت المنبه. سوف تتأخر عن موعد عملها هذا الصباح.

كانت تنهض عن سريرها عندما توقفت الموسيقى الصاخبة وبدأت نشرة الأخبار. كانت جولييت في طريقها إلى غرفة الحمام، وهي تخلع ثوب النوم الحريري، عندما تناهى إلى مسامعها عبر الجدران اسم مألوف:

«شانتريز...»

جمدت جولييت في مكانها، وهي تفكر أن هذا الأمر من نسج خيالها. ولكن مذيع الأخبار تابع كلامه: «أحد اقدم البيوت في انكلترا، والذي ما يزال من أملاك العائلة ذاتها منذ العصور الوسطى.»

لمَ يحمل بحق السماء برنامج الأخبار عبارة عن شانتريز؟ تساءلت جولييت، وهي عابسة.

ثم تابع مذيع الأخبار: «وحتى الآن لم يحدد سبب الحريق.»

صرخت جولييت من صدمتها، ووضعت يدها على فمها آه، لا! آه، يا إلهي، لا! وفكرت، بأنه قد أضرم النار في المنزل لمنع ابن عمه من أن يرثه!

«والسيد سايمون جيرارد، الذي كان والده المالك السابق لشانتريز، والذي توفي منذ فترة شهر، قد نقل إلى مستشفى غرانفي بعد إصابته بحروق إثر حجزه في غرفة النوم وتغلب الدخان عليه. ولم يكن... هناك إصابات أخرى و...»

ثم قُطع الصوت، وسمعت جولييت مزيجاً من عدة أصوات وموسيقى كانت تصل إليها عبر الحائط وصادرة عن تحريك الإذاعات من قناة إلى أخرى. وركضت جولييت كالمجنونة، وأدارت جهاز المذياع وراحت يداها ترتجفان وهي تبحث عن الإذاعة. ولكن تطلب الأمر برهة من الوقت عندما أصبحت نشرة الأخبار عن حادثة ثانية.

حاولت جولييت سماع قنوات أخرى وأدارت التلفاز، ولكن لم تكن ثمة نشرة أخرى تذيع الحادثة.

وأخيراً، استسلمت وذهبت لتستحم وترتدي ملابسها، وعقلها يدور في خوف وقلق. كم تبلغ إصابته؟ تبدو المسألة جدية. ما قال مذيع الأخبار بالتحديد؟ نقل إلى المستشفى، يعاني من حروق إثر حجز هي غرفة النوم وتغلب الدخان عليه؟ هذا يعني شيئاً خطراً حتى ولو لم يصب بالحريق. فالعادة أن يموت الناس من تنشق الدخان.

يجب أن تذهب إليه، بأسرع ما يمكن. ماذا لو كان...؟ لم تستطع حتى أن تفكر بتلك الكلمة. كان سايمون صلباً، كان يعمر طويلاً فليس من الممكن أن يموت. يجب أن لا يموت، لأنه لو مات فعلاً فهي أيضاً تريد الموت.

أغمضت عينيها وهي ترتجف، وبدا وجهها شاحباً. لقد أحبته، أحبته دوماً، ولطالما استطاعت أن تتذكر. لم تكن مولعة به فقط، أو تفقد عقلها لأجله. بل كانت دائماً تكرر لنفسها أن كل ما كانت تشعر به؛ هو سحر المراهقة. ولكن الموضوع كان أكبر من ذلك بكثير. لقد أحبته، مثلما تحب امرأة - بعمق وبشغف. لقد حاولت أن تقتل حبها بعد ليلة زفافهما الكارثة، حاولت أن تكرهه. وفي اللحظة التي رأته فيها من جديد، أحست بحبها يتأجج بقوة مثلما كان في السابق. لقد أحبته كثيراً لدرجة أنها كانت أحياناً تكرهه وتشعر أنها تريد قتله.

فتحت عينيها الزرقاوين، الكبيرتين، وكان البؤبؤان الأسودان فيهما يلمعان مثل نجمتين سوداوين في وجهها الأبيض. وفكرت والخوف يؤلمها أن سايمون يحب شانتريز بتلك الطريقة. وتذكرت كلام شعر يقول: «كل إنسان يقتل الشيء الذي يحب.»

فجفلت، وهي تفكر بأن سايمون لا يعقل أن يكون قد أضرم النار في شانتريز. لا يمكن أن يكون قد فعل ذلك لأنه أحب المنزل كثيراً، والمنزل يعني له الشيء الكثير. كانت الفكرة مجنونة؛ وتساءلت، لِمَ بحق السماء سمحت لنفسها بالتفكير في موضوع كهذا؟

قد يكون سايمون شخصاً استحواذياً، وقد يكون شخصاً لا يمكن التنبؤ به كالإعصار يهب فجأة من لامكان، وقد يكون شخصاً تملكياً، مشاعره تجري في الأعماق تحت غطاء بارد يظهر إلى الآخرين، ولكنه أيضاً رجل قوي، رجل أمانة وشرف. وإلا لِمَ شعر أنه مضطر للزواج منها مع أنه لم يكن عازماً على ذلك في البداية؟

لا، سايمون لن يقدم أبداً على شيء يهدم شانتريز حتى لو كان سيخسرها.

اتصلت بمستشفى غرانفي عندما تأكدت أن صوتها أصبح هادئاً، ثم تحول الاتصال إلى الجناح الذي نقل إليه سايمون، حيث تكلمت معها الممرضة بأدب وقالت: «هل أنت إحدى قريباته؟»

ترددت جولييت، ثم قالت وللمرة الأولى: «أنا زوجته.»

«آه، نعم سيدة جيرارد، لقد اعتقدت أنك إحدى قريباته. لقد قال إنك في عطلة سياحة، كان يجب أن نتصل بك لنعلمك. آمل أنه لم تكن صدمة لك سماع تلك الأخبار. هل وجدتك الشرطة؟ لقد طلب إليها أن لا تزعجك ولكنني توقعت أن تشعر بوجوب ذلك. إنه مرتاح نسبياً. متى تعتقدين أن بأستطاعتك الحضور إلى هنا؟»

«في أي وقت من هذا اليوم، ولا أستطيع أن أحدد متى.» قالت ذلك بصوت أجش ثم سألت: «أختاه، ماذا تعنين من أنه مرتاح نسبياً بالتحديد؟ ما مدى خطورة جراحه؟»

«لا تقلقي، فإننا نبقيه تحت المراقبة المستمرة. فالصدمة قد

تسبب مشكلة في حالات كهذه، وتنشق الدخان قد يكون له عواقب لا تظهر في الحال، ولكنني اعتقد أنني أستطيع أن اعدك بأن لا حاجة إلى القلق.»

شعرت جولييت أنها لن تستطيع الحصول على جواب فعلي، فالمرضة في ذلك الجناح كانت إلى حد بعيد دبلوماسية. ويجب عليها أن تنتظر لتعلم كيف هي حالة سايمون حتى تراه بنفسها.

ثم اتصلت بهيلين. وأخبرتها بأنها لن تأتي إلى العمل اليوم، وقالت: «صديق قد تعرض لحادث، وسأذهب لأراه في المستشفى، وسوف تستغرق المسألة طيلة النهار. فتولي الأمور، هل تستطيعين ذلك؟ إلغي كل المواعيد، وحددي مواعيد جديدة. وعند حصول أية مشكلات حاولي ضبط الوضع حتى اتصل بك لاحقاً. سوف تعود أمي هذا المساء، شكراً للسماء. سأكلمها، وإذا كان هناك شيء ضروري اساليها إذا كان بإمكانها الحضور غداً إلى لندن لتولي الأمور عني.»

كانت هيلين غير فضولية في هذا الموضوع وقالت بأدب: «فهمت. وسوف أبذل قصارى جهدي - لا تقلقي. هل يوجد رقم هاتف حيث استطيع الإتصال بك اليوم؟»

«ليس بعد، سوف اتصل بك لاحقاً عندما أحصل على عنوان ورقم هاتف لأبلغك بذلك.»

«حسناً،» قالت هيلين ثم أضافت بهدوء: «أتمنى أن لا تكون إصابة صديقك بالغة يا جولييت، وسوف أبقى قلقة عليك.»

«شكراً لك،» قالت جولييت هذا و أغلقت الخط.

وقبل أن تبدأ برحلتها قامت باتصال أخير إلى منزل والدتها في مانشستر. وبالطبع لم يكن هناك أحد في البيت، ولكنها تركت رسالة على آلة الإجابة، وشرحت فيها الوضع وأخبرت أمها بأنها

سوف تتصل لاحقاً لإعلامها بالمزيد عندما تطلع على الأمر. سوف تصبح والدتها حائرة عندما تعلم أن ابنتها قد اندفعت إلى المستشفى لتطمئن على رجل لم تذكره منذ ثمانية أعوام إلا الأسبوع الماضي، ولكن ليس لدى جولييت الوقت لتشرح الأمر لوالدتها. وعلى جولييت مواجهة هذا الأمر قريباً، وهذا سوف يشكل صدمة شديدة لشيرلي مندلي، ولكن في الوقت الحالي كل ما يشغل بال جولييت هو الوصول إلى سايمون.

الفصل الثامن

يقع المستشفى فوق مروج خضراء محاطة بالأزهار في ضواحي إحدى المدن التي تبعد خمسة أميال عن شانتريز. وهذا المستشفى لا يقدم الخدمات فقط إلى المدينة، بل إلى المناطق المجاورة أيضاً، وتتذكر جولييت أنها قدمت إلى ذلك المكان عندما كانت في الخامسة من عمرها لإجراء عملية استئصال اللوزتين. لقد بدا المستشفى فسيحاً والمبنى الشاهق جعلها تشعر بالفزع. في ذلك الصباح، عندما مشت باتجاه المبنى من موقف السيارات، حيث تركت سيارتها، بدا المستشفى وكأنه يتقلص، ومع ذلك استمرت تشعر بالخوف وترتجف وهي تنظر إلى المبنى. كانت خائفة على سايمون؛ ماذا لو كانت إصابته خطرة؟ لقد كان رجلاً نشيطاً قوياً - كيف سيتحمل الاستلقاء على السرير فترة من الزمن؟

ورأت جولييت المبنى يعيني فتاة مراهقة وكأنه سوف يتداعى ويتجزأ إلى مجموعة من المباني، تعود لعدة عصور وفي عدة أشكال، أضيفت إلى البيت الفيكتوري المركزي، الذي بدا واضحاً أنه المستشفى الأساسي، والذي لديه شكل ثابت، يبدو أنيقاً في المكان الذي يقع فيه، ومن الصفوف العديدة للغرف والنوافذ المغلقة. ربما كان ينبغي لها أن تجد الرضى أمامها، ولكن ذلك جعلها تشعر بالقلق، تشعر وكأنها تقترب من مكان بغيض حيث لا أحد يهتم إذا مات شخص أو عاش.

مشت تحت القنطرة الضخمة، بين العمودين الضخمين اللذين

يدعمان القنطرة المظللة، ودخلت من الباب المزدوج إلى القاعة الكبيرة التي كانت مليئة بالمقاعد الخشبية التي يشغلها المرضى الذين يأتون للمعالجة من خارج المستشفى. وقفت جولييت في تلك القاعة مترددة، تشعر وكأنها ليست في المكان الصحيح. لم ينظر أحد إليها؛ فالوجوه كانت تنتظر بفارغ الصبر، وكأن المرضى لا يتوقعون أن يراهم الطبيب أبداً، مما كان يترك على وجوههم الكآبة.

سارت جولييت إلى مكتب البواب الصغير وسألت عن الإتجاه الصحيح، ثم عمدت إلى الذهاب إلى الجناح حيث قضى سايمون ليلته. كان الرواق طويلاً، فمشت على الأرض اللامعة التي تفوح منها رائحة المطهرات، وبدا لها أن الرواق لا نهاية له، ولكنها أخيراً دفعت الباب المتحرك فرأت ممرضة جالسة على مقعد في مكتب صغير له حائط من زجاج.

«هل تريدين رؤية السيد جيرارد؟ هل أنت السيدة جيرارد؟»

نظرت إليها المرأة نظرة سريعة حادة ثم ابتسمت لها.

بدا الإحمرار على وجه جولييت وهي تهز رأسها لتؤكد صحة استنتاج الممرضة التي أضافت: «حسناً، إنه ليس وقت زيارة الآن، ولكن تحت الظروف... إنه في الجناح الجانبي في آخر الرواق. أرجو أن لا تبقي معه طويلاً، لأن الوقت قد شارف على وقت الغداء.»

تساءلت جولييت، «تحت الظروف؟» وارتجف قلبها في غمرة الخوف وهي تسير عبر الجناح الكثير الحركة. ماذا كانت المرأة تعني من كلامها هذا؟ أية ظروف؟ هل كان سايمون مريضاً لدرجة تعديل قانون المستشفى؟ هل هو...؟ واغمضت عينيها لأنها لم تستطع تحمل الفكرة التي أخذت تزحف إلى عقلها مثل أفعى. لا

يمكن أن يكون على فراش الموت، يجب أن لا يكون.

«هل أنت بخير؟» سألتها الممرضة التي كانت تقف إلى جانبها وهي تتفحصها بنظراتها، ثم فتحت جولييت عينيها وطغت على وجهها ملامح من الخجل للطريقة التي كانت تحدق بها عيني الممرضة:

«نعم، أنا بخير - إنني أبحث عن السيد جيرارد - لقد أخبرتني الممرضة أنه موجود في الجناح الجانبي.»

«استديري إلى جهة الشمال في آخر الرواق، وسوف تجدينه. لأنه المريض الوحيد في الجناح الجانبي حتى الآن.»

«شكراً لك،» قالت جولييت ذلك ومشت وهي تتساءل لم كان سايمون المريض الوحيد في هذا الجناح؟ لأن حالته كانت خطرة وكان في حاجة ماسة إلى الهدوء؟

استدارت عند الزاوية وشعرت برجفة تسري في ظهرها من الخوف ونظرت بسرعة إلى السرير الوحيد الموجود في الغرفة. لقد كانت قلقة جداً حتى أنها شعرت بغشاوة تغشي بصرها، وكانت وهي واقفة هناك تشعر أن قلبها قد توقف عن الخفقان، واستدار الرجل الموجود فوق السرير وحدق إليها بعينيه.

ثم زالت الغشاوة عن عينيها وجالت ببصرها فوقه بسرعة لتستعلم عن وضعه الصحي. كان وجهه شاحباً، وبدا شعره فاحم السواد بالنسبة لبشرته التي فقدت لونها، ولكن الجرح الوحيد الذي استطاعت رؤيته أولاً لم يكن بليغاً: بعض الرضوض والخدوش على أحد خديه، كانت ملونة بالسواد، حيث كان لون الجلد لامعاً، وجرح على صدغه فوق عينه، ورباط على راحة إحدى يديه. الراحة جعلت جسدها كالمطاط فاسترخت على أقرب شيء لها وصادف ان كانت كرسياً.

«مرحبا،» قالت ذلك بصوت متهدج وحاولت أن تبتسم، لكن سايمون لم يبتسم لها، وفي الحقيقة لقد حدق إليها بما يشبه الحقد.

فقال وهو منزعج: «أنتِ! ماذا بحق السماء تفعلين هنا؟»

كان الخوف يتملكها وتخشى أن يكون مريضاً بحالة خطرة، أو تخشى أن يكون على حافة الموت، ولم تتساءل أبداً إذا كان يريد رؤيتها أم لا. وحتماً لم تتوقع أن ينظر إليها نظرات عداوة تجعل الأرض تنشق تحت أقدامها.

فتلعثمت وهي تقول: «أنا... أنا ...سمعت عن الحريق من المذياع هذا الصباح و...»

وقال ببرود ساخراً منها: «وعلى ما اعتقد فكرت بأنني قد أنضم في أية لحظة إلى «المرتلين الخالدين»، تاركاً لكِ كل ما أملك. آسف لأنني خيبت أملكِ - ولكنني لست على فراش الموت.»

«إنه أمر يدعو للأسف!» قالت جولييت غاضبة وغضبها يجعل قلبها يقظاً. وتساءلت ماذا بحق السماء جعلها تهتم إذا كان هذا الرجل حياً أو ميتاً؟

«ما كان ينبغي أن آتي، إذاً!»

«كلا، لقد ذهبت رحتلكِ سدى. لأنني بخير.»

«إذاً، لم لم تترك المستشفى؟» قالت ذلك ومشت ببطء لتجلس على كرسي مجاور للسرير وقد لاحظت شيئاً آخر - لاحظت بأن شعره على الجهة اليمنى من وجهه بدا وكأنه ملسوع بالنار، كما بدا منظره وكأن اللهيب قد مر من فوقه دون أن يمسه.

لقد بدا عابساً نافد الصبر وقال: «آه، إنهم خائفون من الصدمة، وبالتحديد - عواقب تنشق الدخان. لا شيء خطيراً في الموضوع. وفي الواقع، أنا مستعد لمغادرة المستشفى لكنهم

أصروا على أن أبقى من أجل الشيء المضحك الذي يسمونه مراقبة، والتي تتضمن إيقاظي عندما أخلد إلى النوم وإضاءة النور أمام عيني وإحداث ضجة من حولي وتوجيه الأسئلة وتقديم الطعام الذي لا أرضى أن أتناوله حتى لو كنت سوف أشنق في الصباح.»

ضمت أصابعها المرتجفة مع بعضها بعضاً في حضنها واحمرت وجنتاها عندما أدركت أنه كان يراقبها تفعل ذلك وقالت بصوت رقيق: «أعتقد أنهم يعرفون تماماً ما يفعلون.» ولكنه لوى فمه ساخراً.

«لابد وأن تكوني مريضة مثالية. ومستعدة لأن تقومي بكل ما يطلب منك دون أية أسئلة. أليس كذلك؟ ولكنك لم تتصرفي بتلك الطريقة عندما كنت بالقرب منك. فأنت لم تتوقفي عن المجادلة.»

فتحت فمها، لتتفوه بجواب حاد ولكنها لاحظت شحوبه مرة ثانية، ولاحظت الظلال السوداء تحت عينيه، وعدت إلى العشرة قبل أن تتكلم وتغير الموضوع.

«ماذا عن شانتريز؟ هل تعرف ما هي الأضرار؟»

انحنى إلى الخلف على الوسادة وهو يتنهد بتعب، ولكن كانت تعابيره ساخرة: «كل شيء يعوض. الشكر لوالدك.»

«والدي؟» كررت كلمته وكانت عيناها جاحظتين وقاتمتي اللون.

«لأنه هو الذي لاحظ الدخان يتصاعد من نافذة غرفتي وأطلق صفارة الإنذار. لقد كان في جولته العادية حول الأراضي، في ساعات الصباح الأولى عندما لاحظ الدخان. فأسرع إلى المنزل، ولكنه لم يستطع أيقاظ أحد، لذلك دخل من نافذة المطبخ، فأسرع يصعد السلالم ووجدني فاقد الوعي مرمياً على الأرض في غرفة

النوم. فأخرجني من الغرفة، ثم أحضر اداة الاطفاء عن الجدار وذهب لإخماد النار، ولكن كان من الصعب عليه السيطرة على الحريق، وبما أن الوقت كان يمضي بسرعة، لذلك أغلق الباب واتصل بفرقة الإطفاء والإسعاف. لم أعلم شيئاً من هذا؛ لأنني كنت فاقد الوعي تماماً. ولكنني علمت هذا الصباح أنهم عملوا على إطفاء الحريق - لأن والدك عمل بأتقان في البداية، ومنع انتشار النار أكثر، والضرر الوحيد كان في غرفتي. لقد كلفت كثيراً ولكن قد تكون الآن مدمرة تماماً.»

شعرت بألم في حنجرتها، وابتلعت ريقها متألمة قبل أن تنطق كلمات بصوت أجش: «مدمرة تماماً.» قالت موافقة. كان من الممكن أن يقتل. كانت الأفكار تطعنها مثل سكين وعيناها تلمعان بالدموع ولذلك أحنت رأسها حتى تخفيها عنه.

ثم خيم صمت طويل بعدها، فقال سايمون ببرود: «حسناً، بما أنك هنا، فيمكن أن تكوني مفيدة. لقد ضجرت من هذا المكان وعليّ أن أوقع على أوراق مغادرة المستشفى غداً صباحاً، سواء وافق الأطباء أم لا. أريد منك أن تذهبي إلى شانتريز، لتجدي لي بعض الملابس ثم تأخذينني إلى البيت في الصباح.»

عبست جولييت وقالت: «لا أعتقد أنه يتوجب عليك ذلك - أنا أنصحك بأن...»

«أنا لا أسألك النصيحة!» صرخ بها قائلاً، وهي قد التزمت الصمت.

في ظروف أخرى، كان من الممكن أن تصرخ في وجهه، وهي تخبره بأن لا يصرخ في وجهها، ولا يصدر لها الأوامر، ولكنها لا تستطيع أن تصرخ في وجه رجل يبدو بحالة كهذه. فهي لم يسبق أن رأته مريضاً، وفي الواقع، لم تره أبداً ضعيفاً. لقد وجدت أن الأمر

مزعج حقاً. حتى هذه اللحظة، إذا صادف أن سألها أحد أي نوع من الرجال هو سايمون جيرارد، لما ترددت أبداً في القول إنه قاس لايتأثر بالمشاعر الإنسانية، وحتى أنه خطر إذا ما عارضه أحد. فخفضت أهدابها وراحت تتفحصه، وقد لاحظت جسده المتعب المستلقي تحت غطاء سرير المستشفى، ثم لاحظت الخط الرفيع الأبيض حول فمه، كما لاحظت الطريقة التي كان فيها يضع يديه على الغطاء. ومن الممكن أن لا يكون سايمون قد أصيب بحريق في النار، إلا أن كارثة قد حلت به- أم كان هذا كله من تأثير الصدمة؟ ولكن قد تكون الصدمة خطيرة، هل تكون؟ وذكرت نفسها وهي تشعر بالقلق. يجب ألا يغادر سايمون المستشفى إلا بموافقة الطبيب. وهذا ما كانت جولييت تراه التصرف الصحيح.

«حسناً؟» سأل بنفاد صبر ثم رفع رأسه عن الوسادة في حركة غاضبة: «هل ستفعلين ما طلبته منك أم لا؟»

فنظرت إلى أعلى؛ والتقت نظراتهما، عيناها زرقاوان مضطربتان تتحركان بتوتر وعيناه قاسيتان، بلون رمادي فضي. شعرت جولييت بالم في معدتها، وإحساس يؤلمها، إنه حب لاتستطيع أن تخفيه وحتى تمنعه من كشف هذا السر. أسرعت وهزت رأسها موافقة وقالت: «نعم، إذا اصررت.»

تنهد، وأعاد رأسه إلى الوسادة ثم أغلق عينيه، وكانت أهدابه تظلل خديه الشاحبين. ثم قال: «تعالي حوالي الساعة الحادية عشرة- لأن الإختصاصي سيكون قد رآني في ذلك الوقت، وقد أحصل على إذن للخروج.»

لم يضف شيئاً، ولم يقل إنه سوف يعود إلى البيت مهما قال الطبيب، ولكن لم تكن جولييت تشك في ذلك الأمر. ولم يكن لديها الوقت لتحاول إقناعه مرة ثانية لأنه في ذلك الوقت حضرت

ممرضة وهي تجر عربة الطعام. فنظرت إليها بأدب وقالت «آسفة، ولكن الممرضة تسأل إذا كنت تستطيعين المغادرة الآن؟ لأنه وقت الغداء، ولا نسمح بوجود زوار خلال وقت الغداء.»

نهضت جولييت وقالت: «نعم، بالطبع...» ولكن قبل أن تستطيع التحرك أمسكها سايمون من معصمها في قبضة حديدية.

نظرت إلى أسفل، ولمعت عيناه وهو ينظر إليها ثم قال: «لا تنسي ذلك!»

فهزت رأسها ثم ترك يدها، وقالت بصوت أجش: «حسناً. إذاً سوف أراك غداً. لقد عانت في داخلها لتقبّله، وتخفف الألم الذي يحيط بفمه، ولكن سايمون أغلق عينيه وبدا وكأنه نسي حتى أنها موجودة، ثم استدارت لتغادر، وهي تبتسم للممرضة المراقبة

فصدرت عن الممرضة ضحكة خافتة، وراحت عيناها تتراقصان بشقاوة عندما قالت: «حسناً، يمكنك تقبيله. فلا تهتمي لوجودي!»

فتوردت جولييت قليلاً ثم نظرت إلى سايمون، لتجد عينيه مفتوحتين ومركزتين على وجهها بنظرة ساخرة مما جعلها تتجمد.

إن الأمر بدا محيراً لأنها لا تستطيع أن تغادر بعد ذلك؛ فالممرضة تعلم أنها زوجته ويبدو الأمر مدهشاً أن تغادر دون أن تقبله. فوجدت جولييت أنه لا مجال للاختيار لذلك انحنت بسرعة لتقبله من خده، فوضع يده عليها ليمسك رأسها ويبقيها في مكانها، بينما تحركت شفتاه ليقبلها، ثم تركها تذهب ووقفت جولييت مرة ثانية، شفتاها ترتجفان وقلبها يخفق بسرعة.

التقت نظراتهما لبرهة ورأت السخرية في نظراته ثم استدارت وتمتمت وهي تتلعثم: «حسناً... إلى اللقاء...»

«أراك قريباً يا عزيزتي،» قال سايمون ذلك من ورائها، لكن لم تلتفت إلى الخلف. فقد كان يعذبها عن عمد، وهو يعرف أنه ليس بيدها حيلة. كانت غاضبة وذليلة، ولكنها لا تستطيع شيئاً، وهذا كان يسعد سايمون. سمعته يضحك حينما انعطفت عند زاوية الجناح الرئيسي شدت على أسنانها.

لقد مرت بالقرب من الممرضة عندما تركت الجناح وقد سألتها: «كيف تعتقدين صحة زوجك، يا سيدة جيرارد؟»

«ليست بخير أبداً، إنه يتحدث عن مغادرة المستشفى غداً ـ هل هذا ما ينصح به الأطباء؟»

«لا يمكن أن أقول إن السيد ستيفنز، المستشار الذي سوف يراه غداً قد يرسله إلى البيت قريباً.»

كان من المستحيل بالطبع، أن تخبرها بأن سايمون عازم على المغادرة، بإذن أو من دون إذن من الإختصاصي. جولييت تعلم أن سايمون سوف يقتلها إذا علم أنها قد خانت ثقته بها، وعلى أية حال، لا تستطيع أن تتآمر مع المسؤولين في المستشفى ضده، مهما كانت تعارض خططه.

كانت الممرضة المسؤولة عن الجناح تراقب تعابير وجه جولييت، ثم ابتسمت باستياء وقالت: «لا تقلقي، يا سيدة جيرارد، فالرجال دائماً قلقون ومقلقون في المستشفى.»

التقت نظرات جولييت بنظراتها وتساءلت عما إذا كانت الممرضة على علم بنوايا سايمون وقالت الممرضة بصوت هادىء: «أنا واثقة من أن السيد ستيفنز سوف يقنعه بأن يصبر قليلاً.»

«آمل ذلك،» قالت ذلك جولييت دون أن تتفاءل أكثر. وحتى تتأمل المرأة إقناع سايمون بسهولة فهي حتماً لا تعرفه بشكل جيدا.

وعند مغادرة المستشفى، وجدت نفسها تقود سيارتها في الشمس الدافئة خلال المنعطفات القروية الضيقة حيث كانت الشجيرات التي تسيج تلك الممرات تنبت من جديد. عند كل منعطف جديد كانت تولد في مخيلتها ذكرى جديدة حتى أنها بدأت تشعر وكأنها تحلم. زحف الوقت إلى الماضي في رأسها. لقد عادت من جديد، فتاة تعاني من ألم الحب الأول وليس لديها فكرة للتعامل معه.

سوف تصل إلى شانتريز عن قريب. وأخذت معدتها تدور وتؤلمها لمجرد التفكير بذلك. لم تفكر أبداً بأنها سوف ترى شانتريز من جديد. لقد كان جنوناً أن تفكر بالذهاب إلى هناك. لا بد أن لديه أحداً ما اليدير شؤون المنزل، من يمكن أن يحمل له ثيابه ويعيده إلى المنزل. يجب أن لا تكون هي.

ومع ذلك تابعت سيرها، وكأنها لن تعود إلى لندن ولا إلى الأمان. هنا وهناك تحت الشجيرات الصغيرة لمحت أزهار الربيع الصفراء بين العشب. لقد فكرت جولييت، أن الربيع قادم في هذا الطقس المعتدل، ولاحقت بنظراتها طائر الشحرور الذي طار من الحقل وهو يحمل شيئاً في منقاره: قشة وغصيناً وطحلباً. لقد جمع الكثير، فقد كان طيرانه مترنحاً وبقيت تتوقع أن يقع إلى الأرض، ولكنه اختفى في إحدى الأشجار.

كانت تتمنى لو أنه ليس الربيع؛ لأنه يجعلها تشعر بالقلق والخيبة. ولكن كان الأمر أكثر من ذلك، هذا ما اعترفت به لنفسها. كان الربيع وقتاً رائعاً من السنة؛ كان الهواء دافئاً والضوء أشد توهجاً. إنه وقت السعادة لا وقت معاناة الألم كما تفعل هي.

لقد حيرها سايمون. لو أنه أرادها فعلاً أن تعود إليه وتنجب طفله، لم لم يلحق بها إلى لندن عندما هربت من الكوخ؟ لم لم يتصل بها منذ ذلك الوقت؟

لقد جاء إلى الكوخ وهو مصمم وبحزم، وكان مقرراً أن يسير طريقه بشكل يجبرها على الإستسلام. ما الذي حصل وجعله يغير رأيه؟ لا تصدق بأنه اعتبر أن آدم كان تهديداً له. فهي لم تجد أي تلميح لذلك على قسمات وجهه. في مواجهة بين الإثنين وجهاً لوجه كان سايمون واثقاً من نفسه، ساخراً بأعصاب باردة. لقد كان آدم هو الذي فقد سيطرته على نفسه دون أن يؤثر على سايمون وليس خلاف ذلك.

عضت على شفتها، وهي غاضبة من نفسها لتناقض مشاعرها. فقد هربت، وقالت لنفسها إنها أرادت الإبتعاد، ومع ذلك فقد بقيت كل الوقت بانتظار أن يلحق بها: لقد كانت منفعلة ليلاً ونهاراً لأنه لم يفعل. يجب أن تفكر وتقرر ما لا تريد، يجب ألا تتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف.

كانت ما تزال تناقش نفسها عندما صعدت فوق تلة صغيرة لترى المنظر الأول من شانتريز، ونور شمس الربيع يلمع فوق حجر القرميد الأحمر، المداخن المصممة بروعة، القرميد الباهت اللون غير المتوازي، صفوف من الشبابيك المحددة بأطر. حتى من تلك المسافة فإن المنزل قد بدا رائعاً، بدا يلوح مثل يد ساحرة لم يكن واحداً من البيوت التي بنيت لتكون منزلاً للتأثير وللرهبة. بل إن شانتريز بنيت لتكون بيت عائلة، ترحب بأسيادها لدى عودتهم من الصيد أو من أمسيات شتاء، أو من عمل في المزرعة، أو بزوار قادمون من أجل وليمة أو من أجل إقامة. المداخن تنبىء بالكثير عن المدافىء الكبيرة حيث تحترق قطع الأشجار محدثة صوت فرقعة، وعن الغرفة المظللة، المريحة المزودة بنوافذ تفتح على مصراعيها وبمصابيح تلمع عندما يحل الظلام.

ويقع المنزل في أرض مسيجة مخصصة لصيد الطرائد: بحر

صغير من مرج أخضر، حيث تستطيع أن ترى الأغنام ترعى. وتنتشر حول الأرض بعض أشجار البلوط وأشجار البلح، وفي الصيف تشكل هذه الأشجار بركة سوداء من الظلال حيث تستلقي الخراف عندما تكون الشمس عمودية في الأفق. خلف المنتزه تنتشر الأحراج التي يحرسها والدها، ولكن نظر جولييت تحول إلى البستان الصغير وتستطيع أن تسرق النظر إلى خلف المنزل، ثم إلى الكوخ حيث ولدت وترعرت، والذي مازال حتى الآن منزل والدها.

لم تسامح والدها أبداً على ما فعل في تلك الليلة، في البستان، للتعبير الذي ارتسم على وجهه، والكلام القاسي الذي وجهه لها. وآخر شيء أرادته هو رؤية والدها.

لو علم أنها قد وصلت إلى شانتريز، ماذا يفعل؟ يتجاهل الخبر؟ يتجنبها بعناية؟ أم قد يأتي إلى المنزل لرؤيتها؟

تحرك فمها الشاحب بحركة ساخرة. لا، ليس كذلك. فوالدها كان رجلاً لا ينسى ولا يغفر. فهو لن يوافق على رؤيتها مرة ثانية، وإذا ابتعدت عن طريقه فسوف يبتعد عن طريقها. فهي متأكدة من ذلك.

قادت السيارة خلال بوابات المكان الحديدية، المزينة بزخرفة بشكل ملولب حول الأحرف الأولى، «ج» من إسم جيرارد و«ر» من إسم روبرت، هذه الأحرف الأولى من إسم جيرارد الذي عمل على صناعة البوابة في القرن الثامن عشر. تلك الطريق تقود إلى البيت، حيث يحيط مرج واسع بكلتا الجهتين. سارت جولييت ببطء، وهي تحدق إلى الطابق العلوي وترى للمرة الأولى آثار الحريق: إطارات النوافذ مسودة والدخان قد جعل القرميد الأحمر أسود حول النوافذ. ووضع قماش مشمع داخل النوافذ التي أصبحت دون زجاج، حتى يصبح مستحيلاً استراق

النظر إلى الداخل ومعرفة الأضرار في الداخل.

لقد أوقفت السيارة على الحصى أمام المنزل، ثم خرجت منها ونظرت حولها وهي تشعر بالقلق إلى الباب الرئيسي المصنوع من خشب البلوط. لقد كان الباب الأصلي ضخماً، محكماً بالحديد، مع قطعة حديد طويلة تمر فوقه من كل مفصلة. كان موصداً من الداخل ويستطيع مواجهة آلة حربية كبيرة.

حدقت إلى الباب، وإلى النوافذ، وشعرت بالفزع يسري في داخلها. فهي لا تقدر على العبور إلى الداخل. لا تستطيع الدخول إلى البيت. يجب أن تعود فوراً.

كانت على وشك أن تعود إلى سيارتها عندما سمعت صوت وقع أقدام على الحصى واستدارت بسرعة في الوقت الذي مر به والدها من زاوية المنزل.

شحب لون جولييت بفعل الصدمة، ووقف جاك نيوكم مجمداً في مكانه، رأسه منخفض وجسده مشدود مثل ثور يستعد للمواجهة. حدق كل منهما إلى الآخر دون حركة أو كلام إلى ما بدا أنه الأبد.

كانت عيناها منبهرتين وهي مأخوذة بالانطباع، أدركت كل الأشياء التي جعلتها تشعر بالإجفال والحيرة. لقد كبر أكثر مما توقعت، كان شعره أبيض، وكتفاه محدودبتين وقد فقد الكثير من وزنه تقريباً، كان متقلصاً. إنه رجل عجوز! فكرت وهي تشعر بطعنة من الصدمة.

لقد كان جاك نيوكم يحدق إليها أيضاً، كان عابساً وكأنه يشك في شيء.

ثم سأل بصوت منخفض وخشن وكأنه لا يصدق عينيه: «جولييت؟ هل هذه أنت؟»

قالت بصوت أجش: «نعم، كيف حالك يا أبي؟» خرج الإسم بطريقة عفوية بصوت غير واضح.

تقدم والدها منها ببطء وما زال محدقاً إليها ثم قال: «أنت... أنت مختلفة كثيراً...»

«أنا أكبر بثمانية أعوام.» كان من المتوقع أن تكون قد تغيرت كثيراً - وعلى كل حال، كانت فتاة مراهقة عندما هربت. ولكن الآن فإنها امرأة راشدة. ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون والدها قد تغير لهذه الدرجة. لأنه بدا لها وكأنه لم يتغير منذ مرحلتي الطفولة والمراهقة - فهو لم يتغير، إلا داخلياً، حتى عندما رحلت والدتها. أصبح جاك نيوكم مريراً، أكثر قساوة، أصبح منغلقاً على نفسه. ولكن جسدياً بقي كما هو، رجلاً جعلته سنين العمل في الخارج صلباً، قوياً، ملائماً لعمله. الآن، لم يعد الرجل الذي كان في الماضي.

إنه واقف أمامها مباشرة، وقد لاحظت تقريباً أن لديهما طول القامة نفسها، مما جعلها تشعر بالدوار أو حتى تشعر بالصدمة. لقد كان يبدو في الماضي وكأنه قلعة بالنسبة إليها. أما اليوم فإنها تستطيع أن تنظر في عينيه مباشرة.

«ماذا تفعلين هنا يا جولييت؟»

«لقد سمعت عن الأخبار في المذياع... عن الحريق، سايمون...» بدأت الكلام وهي مرتبكة، فأصبح وجه والدها قاتماً، ولوى فمه.

ثم قال: «آه، لقد فهمت! وأنت أتيت لتتأكدي من أنك أصبحت أرملة ثرية، هذا باعتقادي! حسناً، من الأفضل أن تتوقفي عن هذه الأحلام لأن...»

فقاطعته غاضبة: «توقف عن ذلك يا أبي! لقد أتيت لأنني كنت

خائفة جداً عندما سمعت الأخبار، كنت خائفة أن يكون سام ميتاً، وأنا...»

لم تستطع أن تقول الكلمات، حتى لنفسها، ولكن حقيقة شعورها تأتي واضحة وبسيطة. جاك نيوكم أصغى لها وهو مقطب الجبين وعابس.

«إذا كنت تهتمين لأمره، لمَ هربت؟»

«هذا من شأننا وليس شأنك!» كانت ما تزال غاضبة، ورفعت رأسها إلى الخلف في تحد، وكانت عيناها تخبرانه أنها لم تعد طفلة بل أصبحت راشدة وليس له الحق في توجيه الأسئلة لها.

«لقد بقيت أنا لمواجهة الجميع بعد رحيلك!» قال ذلك متهماً وموبخاً، ثم تابع: «كل الثرثرة والأحاديث كانت تدور حول ذلك فقط. كل من رأيت كان يحدق إلي - آه، لقد تظاهروا بالأسف لأجلي، طيبون جداً في وجهي، ولكنني كنت أعلم أنهم كانوا يتهامسون ويضحكون في غيابي. لا شيء أفضل ليقوم به معظمهم. حتى الأولاد، كانوا يتلصصون علي من خلف الشجيرات الصغيرة، أو بين الأشجار، وينادون بأشياء ثم يسرعون بالهرب!» توقف برهة وابتلع ريقه، وهو متشنج الأعصاب ثم تابع: «أولاً هربت زوجتي ثم طفلتي... هل تتعجبين من أنهم جميعاً اعتقدوا أن الغلطة غلطتي، أنا كنت الشخص الذي يجب أن يلام؟»

لقد كرهته لمدة سنوات، ولامته، واعتقدت أن كل الأمر كان غلطته ولكن مزيجاً من الشفقة والندم جعلها تقول برقة: «كلا، لم تكن غلطتك يا أبي، أنا هربت من سايمون - ليس منك، هو يعرف السبب وليس لك أية علاقة في هذا.»

ركز جاك نيوكم نظرة عليها ثم قال: «إذاً، لم لم تبقي على اتصال معي منذ ذلك الوقت؟»

«أنا آسفة - لكنني لم أكن سعيدة، كل ما أردته هو أن أنسى...» ثم ألقت نظرة خاطفة شملت البيت، الأراضي، ووالدها وأضافت: «كل شيء! لقد أغلقت الباب على الماضي لأنني لا أستطيع أن أتحمل تذكر أي شيء.» حدقت إلى عينيه وفي وجهها نظرة رجاء. «أنت تستطيع أن تفهم ذلك، أليس كذلك يا أبي؟» لقد كان زواجها كارثة وكان يجب عليه أن يتحمل تهدم هذا الزواج. لم يدمر جسدياً، ولكنها تذكر كيف كان عندما كانت تكبر وتنمو وهي تعلم أن روحه قد تحطمت، وهو يغلق الباب على كل من حوله، حتى هي.

وقف جاك نيوكم جامداً، ونظراته خالية من التعبير، وللحظة اعتقدت أنه سوف يرفض مناشدتها لعطفه، ثم صدرت عنه تنهيدة وهز رأسه. وقال: «نعم، أستطيع أن أفهم...»

لقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يتكلمان فيها كشخصين راشدين، أو يشكلان نوعاً من الإتصال الحقيقي، والمفاجأة جعلتهما ينظران بعيداً، ثم خيم الصمت. عضت جولييت على شفتها ونظرت إليه من بين أهدابها، غير واثقة مما يجب قوله. والشيء الوحيد المألوف لديها عنه هو ثيابه: كان ما يزال يرتدي سترته التويد الخشنة، وقميصاً بلون «كاكي»، باهت والذي كانت تعتقد في ما مضى أنه كان يرتديه لأنه يذكره بأيام الجيش، البنطال القديم، والحزام الجلدي العريض حول خصره. اليوم، مع أنه ما زال يرتدي كل هذه الملابس إلا أن الجسم الذي في داخله قد ذبل، وشعرت بالدموع تغلي خلف عينيها. فهي لا تعرف هذا الرجل، لم تعرفه أبداً، وقريباً سوف يكون الوقت متأخراً لتعرفه.

قالت بصوت أجش: «لقد مررت بالمستشفى رأيت سايمون، فقد أرسلني إلى هنا... أخبرني أنك انقذت حياته...»

قاطعها والدها بحدة: «لم يحصل شيء من هذا النوع! كل ما حصل أنني لاحظت وجود النار قبل أن تسيطر على كل شيء. لقد حضر أحد المراسلين الصحافيين منذ ساعة أو ساعتين، وكان يحاول أن يجعل من الأمر عملاً بطولياً، ولكن كل ما فعلت هو أنني أيقظت سام.»

«لكنه يعتقد أنه ما كان ليستيقظ، فهو يعتقد بأنه كان الآن ميتاً لولاك.»

«هذا هراء!» كان جاك نيوكم يصرخ مجدداً وقد احمر من الغضب. لقد كان رجلاً شجاعاً يكره أن تكون شجاعته موضوعاً للحديث. إنه أبداً لم يكن شخصاً كثير الكلام. فقد قضى معظم أيامه بمفرده، في العراء، مع الحيوانات والطيور وكان قليل الإحتكاك ببني جنسه، وهذا ما كان يحب، وراقبته جولييت وهي تتساءل إذا كان ذلك الآن صحيحاً كما كان في السابق. كانت على وجهه خطوط تدل على وحدته، لقد أصبح رجلاً عجوزاً الآن وهو وحيد دائماً.

هز كتفيه غير مبالٍ ثم غير الموضوع. وسألها: «هل ستقيمين في شانتريز خلال فترة وجودك هنا؟»

«لقد سألني أن أجمع بعض حاجياته واحضرها له.» قالت ذلك مما جعل والدها يندهش.

«لن يرسلوه إلى البيت في هذه الفترة القصيرة! لقد كانت حالته سيئة عندما أخرجته من الغرفة.»

أخفت جولييت ابتسامة لاعترافه بشجاعته في إنقاذ سايمون من الحريق.

«أشك أن الأطباء سوف يستحسنون الفكرة، لكنه مصر على العودة إلى البيت، سواء أعجبهم ذلك أم لا.»

«الغبي!» تمتم جاك نيوكم بتلك الكلمة وضحكت جولييت. وقالت: «أنت تعرف سايمون.»

«آه، أنا أعرفه- عنيد كالدابة! وأغبى منها مرتين! ألم تتكلمي إليه في الموضوع؟»

«لقد حاولت، ولكنه صرخ في وجهي لأقوم بما طلب مني وأحضر له ثيابه. اعتقد أنها لم تحرق جميعها بالنار؟»

هز والدها رأسه قائلاً: «كما أعتقد، لا! كل الأثاث الذي لم يتضرر قد نقل إلى الغرفة المجاورة- فقط الجزء الذي نشبت فيه النار قد دمر تماماً.»

«ما الذي سبب الحريق؟»

«سلك كهربائي - إنها قديمة كالجحيم، كلها بحاجة إلى تجديد.» نظر إليها مشككاً ثم قال: «هل أنت خائفة في البقاء ليلة من أن يشب حريق آخر؟ ربما من الأفضل أن تنامي في الطابق الأرضي -لدى مدبرة المنزل جناح صغير مؤلف من عدة غرف مجاورة للمطبخ، والأسلاك في ذلك المكان قد حُسنت عندما بني ذلك الجناح على الطراز الحديث. أخشى أنه عليك أن تحضري سريراً لنفسك.»

«لا حاجة لذلك، أنا حتماً سوف أذهب إلى فندق.» قالت ذلك وهي متوترة حتى من دخولها إلى المنزل. ولكنه كان عابساً.

«لم دفع المال إذا كان بامكانك قضاء الليلة هنا مجاناً؟ على كل حال أنت زوجة سام - لديك الحق، وأنا واثق من أنه كان يعني أنك...»

«ربما قد فعل، ولكنني لا اعتقد أنني أستطيع مواجهة الكثير من

النظرات المحدقة والأسئلة! أعتقد أن لديه مدبرة منزل؟»

«كان يوجد واحدة، ولكن بعد وفاة والده قال سايمون لها إنه لم يعد بحاجة إليها، بما أنه لا يوجد أحد غيره في المنزل. الآن، تأتي امرأة من القرية في أيام الأسبوع، لتنظف البيت وتطهو له، ولكنها ذهبت منذ ساعة بعدما أنجزت ما تستطيع إنجازه في غرفة النوم - وهكذا لا يوجد أحد هنا ليطرح الأسئلة أو لينظر بفضول. فلا تقلقي.» استدار باتجاه الباب الأمامي، وهو يخرج من جيبه مجموعة من المفاتيح. «إنني أحمل المفاتيح. وأستطيع أن أدخلك إلى المنزل.»

شعرت جولييت أنها غريبة وهي تخطو فوق تلك العتبة من جديد وللمرة الأولى منذ ثمانية أعوام. وشعرت بأن عبء كل تلك السنوات يلقي بثقله فوق كتفيها.

طالما صرخت في الماضي في وجه هذه الذكريات المريرة، ثم أشرقت الشمس من خلفها إلى القاعة القديمة، المظللة، المكسوة بألواح زيتية خشبية، مما أظهر الجمال الذي نسيته. والأرض المرصوفة بالبلاط الأحمر تلمع بسنوات من الإهتمام والحب، والسقف المشرق، وحجر المدفأة الكبير الذي وضع فوقه إناء من أزهار الربيع، التي تبعث أريجها العذب في الهواء، وأدركت أنها حرة بعض الشيء من الذنب والحقد واليأس التي حملتها معها كل تلك السنوات.

الفصل التاسع

«إذا كنت مصراً على التصرف كالأغبياء، فأنا لا أستطيع أن أمنعك، ولكن تذكر أنني حذرتك...» قالت الممرضة ببرود.

«لقد تلقيت كل التحذيرات! فوفري على نفسك تكرار هذه النصائح وأرني أين يجب أن أوقع.» كان صوت سايمون ثابتاً مما جعلها تلتزم الصمت، فأظهرت انزعاجها وامتعاضها بحركة من فمها ثم أشارت له بصمت أين يجب أن يوقع.

كانت جولييت جالسة إلى جانبه، متوردة، وهي تعي نظرات الممرضة الغاضبة. لم يلاحظ أحد الحقيبة التي احضرتها معها إلى الجناح: فأخذ سايمون الملابس ودخل إلى غرفة الحمام وعندما ظهر من جديد كان مرتدياً بنطالاً رمادياً وكنزة زرقاء عالية عند العنق مما اضفى على عينيه الرماديتين لوناً داكناً. كان لا يزال ممتقعاً، وأثر الحروق على خده كان يزوده بمظهر غاضب، ولكن بعدما ارتدى ملابسه عاد سايمون نفسه، تقريباً عاد إلى طبيعته.

«والدي اختار لك هذه الملابس. كان بإمكانه إحضارها إلى هنا، أيضاً. أنت لست بحاجة إلى وجودي.»

«أستطيع أن أقرر ما أحتاج،» قال ذلك بحدة جعل الدماء تتصاعد إلى وجهها. لقد قاومت مشاعرها الغبية، وخافت أن يدرك سايمون أو يفهم هذه المشاعر، ولكن يجب ألا تزعج نفسها لأنه لم يكن موجوداً في الغرفة ليلاحظ ذلك. لأنه كان قد ذهب، وأخذ يمشي في الجناح مرعباً الممرضة التي كانت تعطي

www.rewity.com

جرعات من الدواء إلى مريض آخر. ففتحت فمها وقالت: «آه! سيد جيرارد... ماذا... أين...؟»

كانت جولييت تخطو بسرعة لتلحق بخطواته، وقد حاولت أن لا تفكر بما قال. قد «يحتاج» إلى إنجاب طفله، ولكن تلك كانت حاجة مادية بحتة؛ ولم تكن أبداً من نوع الحاجة التي شعرت بها لأجله.

وقفت الممرضة في طريقهما، وهي مندهشة وغاضبة لرؤيته مرتدياً ملابسه، وقد بدأت جدالاً طويلاً أوقفه سايمون بلهجة حاسمة. كانت الممرضة تحاول أن تقود جولييت إلى النقاش، ولكن سايمون قال بحزم: «دعي زوجتي وشأنها! فهي قد فعلت ما طلبت منها.»

كانت جولييت سعيدة لأنها بقيت خارج هذا الجدال، لم تقل شيئاً، إلا أنها كانت تؤيد الممرضة. فسايمون ليس لديه أي عمل حتى يغادر المستشفى باكراً؛ وليس ممكناً أن يكون الحق معه، ربما أنها تعرفه جيداً حتى تجادله. فقد فضلت أن تبدو مطيعة، لا أن تكون مؤيدة لجيش الممرضة المنهزم، ونظرت إليها الممرضة باحتقار لإزعاجها.

وقعت كل الأوراق الضرورية، وخرجا من المستشفى إلى حيث أوقفت جولييت سيارتها. مشى سايمون نحو كرسي السائق ولكن في اللحظة الأخيرة اندفعت جولييت أمامه قائلة وهي تمسك بمقبض الباب وتفتحها مرفوعة بتحد.

«أنا سوف أقود، شكراً لك. إنها سيارتي.»

راح يتفحص التعابير على وجهها، ثم قال وهو ينظر إليها بإمعان. «إذا كنت مصرة!»

«أنا كذلك.» وفتحت الباب، ثم دفعت بالحقيبة الفارغة إلى المقعد الخلفي وجلست خلف المقود، وهي تقريباً غير واثقة بعد

تلك المواجهة القصيرة، ولكنها انتصرت، لأنها ربحت. فقد تراجع وانهزم. لقد كان ذلك انتصاراً صغيراً، ولكن كان ذلك انتصاراً على أية حال.

جلس سايمون على المقعد المجاور، ومدد قدميه وهو يصدر تنهيدة. ثم قال: «لا تعلمين مدى سعادتي لمغادرة ذلك المكان!»

«أعتقد أنهم سعداء لمغادرتك، مع أنهم شعروا أن الواجب يحتم عليهم محاولة منعك من المغادرة.» قالت ذلك وهي تدير المحرك. ثم أضافت: «أنت لست مريضاً مثالياً على وجه التحديد.»

كان يراقبها، وهو يدير وجهه إلى جانب ولم تشعر أن نظراته المحدقة تسبب لها التوتر، وقد تساءلت في ما كان يفكر. «ماذا حصل مع والدك؟»

«لقد تكلمنا.» لا تستطيع أن تفسر بأي طريقة لأي شخص ما حصل عندما التقت والدها مرة ثانية؛ كان الأمر مزعجاً وحتى غير متوقع أن تدرك أنهما لحد ما قد التقيا للمرة الأولى، كغريبين تماماً. ثمانية أعوام قد احدثت تغيراً جذرياً في كل منهما؛ هي قد أصبحت ناضجة بينما والدها قد أصبح عجوزاً. لقد أحرق الوقت كل اختلاف بينهما، وذوب غضبهما. وتوصلا إلى تفاهم مع نفسيهما، مع الماضي، ومع كل ما هو بعيد إن الطريق التي أصبح لهما حرية الاختيار في سلوكها أخيراً معرفة بعضهما بعضاً.

«حسناً، حسناً، على بال من خطر هذا الموضوع؟»

«أي موضوع؟» لقد علمت ما تعنيه تلك اللهجة المندهشة. ولكنها أبقت نظراتها على الطريق، كانت تراقب سيارة بيضاء مكشوفة ظهرت خلفها لا تدري من أين وهي تحاول أن تمر أمام سيارة جولييت على الرغم من المنعطف الموجود أمامهما والذي يجعل تلك المناورة خطرة وجنونية.

تمتم سايمون وهو يفكر: «بالواقع، أنا واثق تماماً، هل هذا يعني أنك فعلاً تكبرين - أم أن والدك بدأ أخيراً يمتلك عقلاً؟»

«ربما، الإثنان،» قالت ذلك وبدت على فمها شبه ابتسامة.

«وكيف بدا الأمر؟» سألها، ولكن جوابها استغرق لحظة.

«مربكاً.»

«بالتأكيد،» قال ضاحكاً في الخلف.

واندفعت السيارة البيضاء وهي تحدث صريراً بسبب احتكاك الإطارات بالأرض، وصوتاً قوياً بسبب الضغط على دواسة البنزين، وبصعوبة تجنبت أن تسحق بسيارة شحن اندفعت نحوها من الجهة الثانية. ثم أحدثت سيارة الشحن صوتاً غاضباً مدوياً، ثم توقفت السيارة المكشوفة في الخلف، وبعدها اختفت السيارتان تاركتين الطريق خالية لسيارة جولييت.

«لقد اعتقدت أنه سوف يسحق السيارة، المجنون الغبي.»

«إنها امرأة.»

«أنت لم تكن حتى تنظر إلى السيارة! هذه عنصرية واضحة.»

«لا، إنها ملاحظة، لقد تعرفت على السيارة، إنها سيارة آندريا جايمسون وهي تسكن بالقرب من شانتريز. هي تعمل مصممة مستقلة وغالباً ما تذهب إلى لندن.» ونظر إلى جولييت نظرة جانبية. ثم تابع: «إنها أيضاً امرأة شقراء مثيرة، وأنا أراهن على أن أي رجل على بعد عشرين ميلاً قد لاحظ ذلك.»

«حسناً. إذا كانت دائماً تقود سيارتها بتلك الطريقة، فهي لن تعيش طويلاً،» قالت جولييت وهي تدرك تماماً أن الألم الذي شعرت به بين أضلاعها هو الغيرة. وتساءلت كم امرأة دخلت حياة سايمون منذ أن تركته؟ إن ثمانية أعوام هي مدة طويلة من الزمن وهو لم يكن عازباً. إنه شهواني. وتساءلت من جديد هل ما زالت

إحدى فتياته بالقرب منه، هل يقابل إحداهن؟ ومن جهات عدة، إنه بالنسبة لها غريب - وهي تقريباً لا تعرف عنه شيئاً ولا عن حياته الخاصة، مع أنه زوجها منذ ثمانية أعوام.

«أي غرفة نوم استعملت عندما كنت في شانتريز؟» سألها وهو يقطع أفكارها، وقفزت بقوة حتى أنها فقدت السيطرة على عجلة القيادة. وانحرفت السيارة عن الطريق، في حين كانت سيارة قادمة باتجاههما وكان السائق يطلق بوق السيارة من الغضب.

فدفعت جولييت العجلة، حتى أصبحت السيارة في الوضع الصحيح، ثم تابعت سيرها، وهي متوردة غاضبة من نفسها.

اختلست نظرة إلى سايمون، الذي كان عابساً، ثم قالت: «لا تقل، ولا حتى كلمة واحدة!»

«حسناً، فقط أوقفي السيارة،» قال وهو متجهم الوجه.

«لا تكن سخيفاً. ماذا ستفعل؟ تتعلق بمصعد؟»

«أنا سوف أقود السيارة بقية الطريق، يا جولييت. أريد أن أصل وأنا قطعة واحدة.»

«بإمكانك أن تنسى ذلك!» قالت جولييت وهي تضغط بقدميها إلى أسفل، شبه خائفة من أن يختطف عجلة القيادة منها، وقفزت السيارة إلى الأمام وإزداد عبوس سايمون، ولكنه لم يخاطر في العراك على التحكم بالسيارة وهما ينطلقان في تلك السرعة، لذلك جلس في مكانه، يحدق إليها بانشداه، وجسده الطويل النحيف مشدود وشعرت أنه كان يتهددها كلما لمحته بنظرة جانبية.

وبعد عشر دقائق توقفا خارج شانتريز فخرج سايمون من السيارة وتوجه إلى الجهة الثانية وفتح الباب لجهة السائق وأمسكها بذراعها بأصابع فولاذية.

«أخرجي من مكانك!»

خرجت من السيارة ولكنها حررت نفسها من قبضته. لا تضع يدك عليّ!»

«لقد خاطرتِ بحياتنا معاً!» قال ذلك متهماً، وقد كانت تعرف أنه كان محقاً، ولكن بالتأكيد لم تكن تعترف بذلك له. والعداء الذي شعرت به كان يحرقها كما تحرق النار الوقود؛ عميقاً وبطيئاً حيث لا يمكن الوصول إليه، مما جعل عينيها الزرقاوين تلتهبان وحدق سايمون إلى عينيها وهو متجهم الوجه.

«ما كان يجدر بك أن تصرخ بوجهي وتجعلني أقفز بتلك الطريقة!» قالت جولييت ذلك ولوى سايمون فمه.

«أنا لم أصرخ بك، لقد تكلمت بهدوء تام. وأنت تعلمين أنه ليس ذلك ما جعلك تجفلين. إن وجودك معي في السيارة وبمفردنا يجعلك عصبية ومتوترة - هل تريدين أن أخبرك لماذا؟»

«أنا أعرف لماذا! لأنني أكره حتى رؤيتك!» وأخرجت من حقيبتها مفاتيح البيت، التي كان والدها قد سلمها إياها في الليلة السابقة، وقدمتها إلى سايمون قائلة: «بإمكانك أن تدخل بمفردك إلى البيت، أنا ذاهبة.»

«ما زلت تهربين، يا جولييت؟» كانت عيناه الرماديتان تلمعان باحتقار وعضت جولييت على شفتها السفلى، مجبرة نفسها على التزام الهدوء، حتى تبدو وكأنها واثقة تماماً. يجب ألا تسمح له برؤية أية إشارة إلى ضعفها واضطرابها؛ لأنه قد يستغل ذلك لمصلحته.

«يجب أن أعود إلى لندن - أريد أن أرى أمي وزوج أمي عندما يصلان إلى هناك.» قالت ذلك بصوت طبيعي. ثم أضافت: «لقد وصلا إلى المنزل الليلة الماضية، ولم يكن باستطاعتي أن الاقيهما حتى الآن، ولدينا الكثير من الأمور لمناقشتها.»

«ونحن أيضاً لدينا الكثير!»

وهزت رأسها وهي ترسم على شفتيها ابتسامة وقالت: «لقد قلنا كل ما يجب أن يقال، يا سايمون. لا أريد أن...» وتوقفت عن الكلام وشعرت بطعنة تحذير، عندما رأته يغلق عينيه وهو يترنح ويميل إلى الخلف باتجاه السيارة وبدا عليه الشحوب.

«ماذا في الأمر، سام! هل تشعر بدوار؟»

اتكأ عليها، وكان مفاجئاً وزن جسمه النحيف، القوي العضلات وتمتم: «م م م...»

نظرت حولها يائسة، وكانت تأمل أن ترى والدها أو المرأة التي تأتي من القرية للقيام بتنظيف البيت والتي وصلت في ذلك الصباح عند مغادرة جولييت، ولكن لا يوجد أية حركة تشير إلى وجود أحد في ذلك المكان.

«هل يمكنك الذهاب إلى المنزل، إذا ساعدتك؟» سألته، وهي حائرة إذا كان يجب عليها أن تعود به إلى المستشفى أم لا.

بدا وكأنه يحاول بقوة أن يفتح عينيه، وما زال جسده ثقيلاً لتساعده وقال: «ماذا؟ آه، أجل، أعتقد ذلك.»

«ربما يجب أن تعود إلى المستشفى!» فكرت بصوت عالٍ وهي لا تعرف ماذا تفعل.

«لا، سوف أتحسن بعد قليل. أنا في حال أفضل الآن.» قال هذا وكان يبدو عليه أنه في حالة أفضل، فساعدته ببطء ليمشي باتجاه المنزل وأخذت المفاتيح التي كان يحملها وفتحت الباب الأمامي. حاول سايمون بمساعدتها الدخول إلى غرفة الجلوس ثم ألقى بنفسه على الأريكة. كانت ذراعه ما تزال حولها، وهو نوعاً ما حاول أن يدفعها معه. لقد ذهلت لذلك، وصدرت عنها تنهيدة صغيرة، وكان الوقت قد فات لتمنع نفسها من السقوط بجانبه.

ولأنها تصرفت بشكل لا شعوري؛ فقد استغل سايمون ذلك وللحظة بقيت لا تعي شيئاً، وكانت عيناها الزرقاوان جاحظتين وهي مندهشة تحدق فيه إلى أعلى.

كان من المفروض أن يكون سايمون مستلقياً على الأريكة - ولكن في الواقع كانت هي مستلقية، وهو ينحني فوقها، ولم تستطع أن تفهم كيف حدث ذلك. فقط عندما دفعتها يداه على الوسادة الموجودة على الأريكة بدأت تعي ما كان يحصل.

كانت تبحث في وجهه، وهي الآن تشكك في شيء أكيد، عن تلك النظرة الضعيفة المتوسلة وقد اختفت. وهذا هو الوجه الذي تعرفه جيداً، الوجه القاسي العنيد في الرجل الذي أفسد حياتها في السابق ويبدو عازماً على فعل ذلك مرة ثانية.

«لم تشعر أبداً بدوار!» قالت ذلك تتهمه وهي تشعر بوجهها يتوهج.

راقبها سايمون بنظرات ساخرة جعلتها تشعر وكأنها تصرخ.

كم كانت غبية! ألم تتعلم قبل الآن أن لا تثق به أبداً؟ لم يكن مريضاً. ولم يشعر بالدوار؛ كل ذلك كان تمثيلاً. كل ذلك كان مصيدة حتى تدخل البيت، وعلى هذه الأريكة معه في المنزل بمفردها، وكل ذلك قد تم بشكل حسن.

«لم أكن واقفاً خارج منزلي لأناقش الموضوع معك،» قال سايمون وهو لا يشعر بالخجل لأسلوب الغش الذي اتبعه.

«لقد كذبت عليّ!»

«لم أخبرك شيئاً! لقد أغلقت عيني واتكأت عليك وأنت أسرعت في استنتاجاتك.»

«أنت قصدت أن أفهم ذلك!»

«يجب أن أكلمك. كنت على وشك أن تهربي مرة ثانية. ولن أستطيع أن أسمح لك بذلك.»

«لا أستطيع إقامة أي علاقة معك لترث أنت شانتريز وأحصل أنا على بعض المال. لا أحتاج المال لهذه الدرجة. لا أحتاجه على الإطلاق.»

«وأنا لا أحتاج إلى شانتريز،» قال ذلك بصوت عميق خشن. مما جعلها تفتح عينيها مصدومة وغير مصدقة.

«إلى أين تريد أن تستدرجني؟» قالت غاضبة، وهي ترتجف من الغضب، وقد بدت شاحبة الوجه. «أي نوع من الأغبياء تعتقدني، حتى تتصور أنني سوف أصدقك في لحظة واحدة!»

«أنا أكثر غباء منك،» وبدت ابتسامته مريرة وهو يسخر من نفسه، وهذا ما جعلها تجفل. «لو لم أكن غبياً، لكنت لحقت بك إلى لندن عندما هربت مع صديقك اللندني. لكنت اقتحمت شقتك وعميت بصره وسحبتك إلى هنا وأجبرتك على منحي ما أريد!»

«لا شيء كان سيجبرني على ذلك!» قالت ذلك وهي تؤكد غاضبة.

كان ينظر إليها باستياء. «كوني صادقة مع نفسك، فأنت تعلمين أن باستطاعتي أن آخذك إلى المخدع من دون أن اضطر إلى استعمال القوة.»

تحول لونها قرمزياً، وهي تحاول أن تصرخ وتنكر ذلك ولكن الكلمات لم تخرج من فمها؛ لأنه لم يكن باستطاعتها أن تكذب ولكنها ليست على استعداد لأن تقدم أي اعتراف خطير.

ولم تكن بحاجة لذلك؛ لأنه قد قرأ تعابيرها وابتسم بمكر. «أجل. أنا وأنت طالما شعرنا بذلك الإنجذاب تجاه بعضنا بعضاً، أليس كذلك؟ ربما عقلانا لم يفهما بعضهما بعضاً، ولكن على ما

يبدو جسدانا قد فعلا. ولكنني لم ألاحقكِ وذلك ليس لأنني كنت عاجزاً - كما كنت عندما هربتِ مني في المرة الأولى.»

بدت وكأن أنفاسها قد قطعت، لا تستطيع أن تبلع ريقها، جف حلقها وصمت أذناها. ماذا كان يعني؟ هل كان هذا كذبة أخرى؟ خطة ثانية لإضعافها، حتى تستسلم له؟

«في الصباح بعد ليلة زفافنا، وعندما استيقظت لأجد أنك قد رحلتِ، شعرت وكأنني قد ضُربت بقاس، في بادىء الأمر، كنت عازماً على اللحاق بك. أردت أن أعيدك، وشعرت بالإزدراء تجاه نفسي للطريقة التي عاملتك بها في الليلة السابقة. في ذلك الصباح، علمت لماذا ذهبت. بالطبع علمت ذلك، وشعرت انني مذنب إلى أبعد حد...»

«لقد كنت كذلك!» تمتمت بذلك ولكنه لم يعارض بل هز رأسه موافقاً وهو مقطب الجبين.

«نعم... كنت كبيراً ما يكفي حتى أفهم، كان يجب طبعاً أن اتحمل كل اللوم. ولكن الأمر كان معقداً أكثر من ذلك. جلست في سيارتي أناقش نفسي لساعات عديدة، في أحد منعطفات القرية على بعد أميال قليلة، وأنا أحاول أن أقرر ما أفعل، ولكن كان هناك شيء ما يشدني إلى الخلف، يمنعني من التحرك. لم يكن ذلك هو الشعور بالذنب فقط، أو الغضب، بل كان هو القلق عليكِ. لقد كنت صغيرة جداً، صغيرة لتدركي ما يعنيه الزواج.»

قالت بصوت أجش: «لقد علمت ما يعني الزواج! نعم لقد كنت صغيرة ولكن ليس إلى تلك الدرجة! لم يكن ذلك ما جعلني أرحل. لقد اعترفت أنت نفسك بالأمر - أنت الذي جعلتني أهرب، لم تكن أبداً تحبني! كرهتني. أردت أن تؤذيني، لقد كنت غاضباً مني لأنك شعرت أنك مجبر على الزواج مني.»

«كنت غاضباً لأننا كنا مضطرين لمواجهة زواج قسري، ولم أفكر أنك كبيرة لحد ما، أو أنك مستعدة لزواج حقيقي.»

«أنت لم ترد الزواج مني!» صرخت جولييت، والألم الباطني الذي شعرت به كان ينعكس في عينيها.

قال سايمون معترفاً في صوت ينم عن الإشمئزاز: «لم أفكر في الزواج، ذلك كان صحيحاً. بحق السماء، لقد كنتِ فتاة مدرسة! كنت أشعر بالذنب الكبير لأنني أردتك من كل قلبي، ولكنك كنت طفلة. كنت دائماً أقول لنفسي إنه يجب أن ابقي يدي بعيدتين عنك، ولكن كانت لديك فكرة ثانية، وكنت في كل مرة أفقد يدي عندما تكونين في القرب مني. هل تعلمين كم جعلني ذلك أحتقر نفسي؟ حاولت أن أبقى بعيداً عنك، ولكنني لم أستطع، كنت أكثر الأشياء إثارة مما رأيت في حياتي. رائعة في السابعة عشرة وتموت شوقاً، وأنا كنت أموت لأنني أنا الذي أشتاقك، ولم أكن مراهقاً، وأمور صغيرة لا ترضيني. وفي كل مرة لمستك فيها، أردت المزيد. لقد أردت كل شيء. وكان الأمر الأسوأ عندما لاحظت أنك أنت أيضاً أردت ذلك. لقد كان لديك حس حميم، يا جولييت: حساسة، رائعة وكريمة - وقد دفعتني إلى التصرف بوحشية.»

بدأت ترتجف وكان جسدها يعاني من الرغبة والإرتياب. لو كان يعني... لو أنه أحبها... ولكنه لم يذكر الحب أبداً، هل فعل؟ لقد تكلم عن رغبته لها، عن عواطفه ولكن ليس عن حبه.

«ثم انفجر كل شيء من حولي، وكان يجب أن اتخذ قراراً في ذلك الزمان والمكان - ما كان بإمكاني أن أفعل غير الإعلان عن عزمي الزواج منكِ؟ لم يكن لدي الوقت للتأكد من أن ذلك كان ما أردت. ولكن الفكرة خطرت في بالي الآن وفي ذلك اليوم... ربما... لو كنتِ أكبر وعلمت أنكِ بالتأكيد تريدنني، كنا نستطيع

الزواج، هذا من جهة. أما من الجهة الثانية، فأنت قد تقعين في غرامي بعد شهر أو اثنين. واعتقدت أنك كنت مفتونة بي.»

نظر إلى عينيها ولكن جولييت أخفت التعبير الذي ظهر فيهما بعد أن أخفضت أهدابها. لم تكن متأكدة من حقيقة ما شعرت به منذ ثمانية أعوام: إذا كان خليط المشاعر في داخلها تفاعلاً طبيعياً، سحر المراهقة، أو حباً حقيقياً. هي تعرف ما شعرت به الآن - ولكنها لن تسمح لسايمون أن يعرف ذلك.

«ذلك هو كل ما كان، أليس كذلك، يا جولييت؟» سألها بصوت هادىء وأجابت، من دون أن ترفع نظرها إليه.

«أعتقد هذا...» ثم نظرت إليه وأردفت: «كان يجب أن نذهب إلى المخدع ونتأكد من أننا لم نفتن ببعضنا بعضاً.»

لوى فمه ثم قال: «تلك كانت المسألة - حتى أنني أستطيع أن أقوم بذلك، ليس معك أنت. لقد عنيت لي الكثير، ولهذا فقدت السيطرة على أعصابي ليلة زفافنا. أعرف أنه لا يوجد أي عذر لي، لقد ندمت على ذلك بشكل مرير في اليوم التالي، ولكنني كنت غاضباً جداً لأنني شعرت بأنني قد خُدعتُ وما زلت أريدك، مع أنني وضعت اللوم عليكما أنت ووالدك. لم أقصد أن أجرحك، قصدت أن أكون لطيفاً معك، حتى يكون الأمر سهلاً عليك في المرة الأولى، ولكن بعد ذلك خرج الأمر عن سيطرتي.»

«لقد أرعبتني. لم أكن أتوقع أن يكون الأمر مؤلماً، لم يخبرني أحد... كيف سيكون الأمر...» لم تكن لديها أم لتكلمها وكل ما تعلمته في المدرسة كان مزيجاً من دروس مملة في العلاقات الحميمة ورسوم لم تستطع جولييت تتبعها وحتى أنها وجدتها بشعة، لدرجة أن مشاعرها المضطربة لسايمون لم تكن من ذلك النوع أبداً.

«أعرف، هل تعتقدين أنني لم ألاحظ ذلك؟ كنت صغيرة جداً، ما كان يجب أبداً أن...» توقف عن الكلام وتنهد ثم تابع: «ولكنني فقدت عقلي. لقد أردتك كثيراً، يا جولييت، لم أستطع أن أسيطر على نفسي عندما كنت المسك، ولكن عندما استيقظت ولم أجدك أدركت ما فعلت وشعرت بالإعياء. لهذا السبب لم ألحق بك لإعادتك. لو فعلت ذلك، لربما تأذى كل منا أكثر من ذلك. كان ينبغي لك أن اتركك ترحلين، حتى أجد نفسي - وهكذا عدت إلى البيت واتصل والدي بوالدتك حتى يتأكد إن كنتِ موجودة معها. وعندما علمنا أنك بخير بقيت أنا أنتظر. اعتقدت أنه إذا كنتِ تحملين أية مشاعر حقيقية لي فسوف تعودين. في البداية، اعتقدت أن المسألة سوف تستغرق شهوراً وإلى أبعد حد تستغرق سنة أو ما يقاربها - وعندما مر الوقت كان يجب علي أن اعترف بأنك لن تعودي وحتى أنني كرهتك تقريباً.»

«استطعت أن الاحظ ذلك، عندما رأيتك في كورنوول،» قالت وهي عابسة ومستاءة. ثم تابعت: «ولم يكن هناك «تقريباً» في الموضوع. لأنك كرهتني فعلاً، خاصة بعد موت والدك وبعد أن قرأت وصيته.» نظرت جولييت إلى عينيه الرماديتين، وهي تبحث فيهما عن الحقيقة: «وهذا هو كل الموضوع الآن، أليس كذلك؟ شانتريز. لقد قلت منذ عدة دقائق إنك لست بحاجة إلى شانتريز، ولكن ذلك ليس صحيحاً. لأنك تحب المكان، ودائماً أحببته وسوف تفعل أي شيء للحصول عليه.»

«لا،» قال بحدة.

«آه، اعتقد ذلك!» وبدت المرارة على وجهها وهي تتهمه غير مصدقة كلامه.

صاح سايمون قائلاً: «عندما قلت إنني لا أحتاج شانتريز، فقد

عنيت كل كلمة قلتها! قد أكون تحدثت معك ببرود، في كورنوول، ولكن هل صدقت حقاً أنني سوف أجبرك على إقامة علاقة معي، وإنجاب طفلي، إذا كنت تكرهين ذلك؟ بعد أن قرأت الوصية كنت حائراً وغاضباً، نعم ذلك صحيح. لقد فكرت في الأمر وفكرت أنه مهما حصل معك منذ أن رأيتك أخر مرة. فأنت حتماً لم تتزوجي مرة ثانية. لأنك ما زلت زوجتي. ذلك كان عندما خطرت الفكرة في بالي. لن أخسر شيئاً إذا رأيتك، وأطلعتك على الوصية، لأنك قد تعودين لي. لأن ثمانية أعوام كانت وقتاً طويلاً - اعتقدت أن الأمر يستحق المحاولة، و...» لوى فمه ثم تابع: «وأردت أن أراك من جديد. وعندما بدأت أفكر في الموضوع، أعجبتني الفكرة أكثر خاصة بعد أن وجدتك بمفردك في كورنوول وأدركت أن جمالك وإثارتك قد أصبحتا أضعاف ما كانتا عليه من قبل. واعتقد أنك كنت منجذبة نحوي أيضاً.»

كان يراقبها عن كثب، وعيناه تضيقان، ولكن جولييت تجنبت نظراته، ونظرت إلى أسفل وشعرت بأهدابها تحرق وجنتيها المتوهجتين.

فتنهد سايمون ثم قال: «حسناً، ثم ظهر الفتى الآخر، وهربت مني للمرة الثانية، وضربتني للمرة السادسة، اعتقدت أنني قد أخطأت! لأنك لم تكترثي بي أبداً. بدا لي وكأنك تفضلينه عليّ. كان من الصعب عليّ تصديق ذلك، ولكن النساء مخلوقات محيرات - يبدو أنهن يخترن الرجال الغريبي الأطوار. لم أكن الاحقك، حتى أنال صفعة أخرى على وجهي - فكبريائي تمنعني. فعدت إلى شانتريز لأضمد جراحي واتصل بالمحامي، وأخبره بأنني أريد البدء في إجراءات الطلاق على الفور.»

فحدقت إليه وهي تجد صعوبة في التنفس: «هل فعلت؟»

اعتبر أن سؤالها ينم عن الافتقار إلى الثقة فصرخ بها قائلاً: «نعم، لقد فعلت!»

«حسناً، حسناً لا داعي للصراخ!» قالت ذلك بصوت هادىء.

«إذن، توقفي عن التشكيك في كل كلمة أقولها!» ولمعت عيناه الرماديتان في عينيها، ووجهها قاس مثل لوح من خشب. «على المحامين أن يأخذوا وقتهم ولكن محاميك سوف يعلم من محامي بعد شهر أو ما يقارب الشهر.»

شعرت بفمها يجف وتساءلت، لو كان ذلك صحيحاً لم قام بذلك؟

«بالطبع، اعتقد محامي بأنني مجنون، لأنه يعلم بما جاء في وصية والدي، حاول أن يقنعني لتغيير رأيي ولكنني طلبت منه أن يهتم بشؤونه وينهي ما طلبت منه. وفي هذا الوقت يكون قد بدأ الإجراءات الطويلة الأجل. فأنت تعرفين أن قضايا الطلاق تأخذ سنين حتى يبت بها.»

«حسناً، بعد ثمانية أعوام، من منا في عجلة؟» قالت جولييت ذلك بصوت أجش وكانت عيناه تلمعان من الغضب.

«لا تمزحي حيال هذا الموضوع، اللعنة عليك! لا أجد شيئاً في هذا الموضوع مضحكاً. لقد عدت إلى شانتريز وأنا أشعر وكأنني ميت. لم بإعتقادك لم استيقظ عندما التهم الحريق غرفتي؟ نادراً ما كنت أشرب هذه الأيام - ما حصل في ليلة زفافنا شفاني من الشرب الكثير - ولكن الليلة الأخرى كدت أفقد عقلي. لم أستطع النوم، لم أستطع التفكير في شيء غيرك، وكان عليّ أن أنسى. شربت لعدة ساعات ثم أويت إلى فراشي وغفوت كالميت. ولهذا السبب كان على والدك ان يجرني إلى خارج الغرفة.»

بدت شاحبة، وعضت على شفتها ثم قالت: «سام، أنا آسفة...»

«كلا، يا عزيزتي، ليس الآن. لن نندفع هذه المرة في تصرف

غير حكيم، ليس حتى من تلقاء نفسينا. يجب أن نبدأ من جديد، ونبدأ بشكل صحيح - سوف نتزوج من جديد.»

«ماذا؟» كانت تقريباً تشعر بدوار مع هذه العواطف، ولم تكن تفهم ما كان يقول لها. فلمعت عيناه الرماديتان فجأة، بمرح دافىء وأحنى رأسه وطبع قبلة فوق عينيها.

«إستيقظي يا عزيزتي! ألا تستطيعين أن تري؟ إذا كانت لنا علاقة الآن، في هذه الدقيقة، سوف تشكين بي مجدداً - ولن تصدقي أنني أردتك، سوف تعتقدين أن كل شيء كان من أجل شانتريز ولكن ذلك ليس صحيحاً، ياجولييت.» كان صوتاً عميقاً، غنياً بالمشاعر جعلها تشعر بالضعف: «أنا أحبك. لا أعرف كيف أحسست منذ ثمانية أعوام؟ مزيجاً من المشاعر الحسية والحب؛ ولكنني علمت أن هذه المشاعر لم تمت لأنك رحلت ولكنها اختفت في داخلي. وعندما رأيتك توهجت وأصبحت لهيباً.»

مرّرت أصابعها خلال شعره وهي تبتسم له وقالت وشفتاها ترتجفان قليلاً: «آه، سام... أنا أعرف... لقد شعرت نفس الشيء تماماً. كنت اعتقد أن كل شيء انتهى، ولكنك عدت من جديد وأنا أصبحت حائرة.»

عانقها وقربها منه أكثر وتمتم بصوت أجش بعبارات حب وشوق. «لقد أردتك كثيراً يا جولييت، أنت لا تعلمين...»

«أنا أعلم،» قالت وصوتها يرتجف بين الضحك والرغبة. «آه، نعم، أنا أعلم...» ولمست وجهه المتوهج، وشعرت بالنار في بشرته وقد سرها هذا الدليل على شعوره. «سام، عندما أفكر بأن الأمر قد سار في الاتجاه الخاطىء - وأنك طلقتني، وأننا لن نرى بعضنا بعضاً أبداً، لو أن النار لم تلتهم غرفتك!»

فضحك بصوت رقيق وقال: «الحمد لله على أن ذلك قد حصل!

فلو لم يكن هناك حريق، لما كنت عدت إلى هنا، ولما كنت اكتشفت أبداً أنك تهتمين بي!»

فعبست وقالت وهي ترتجف قليلاً: «إنه أمر مخيف، أليس كذلك؟» في كل مرة تفكر بذلك تشعر وكأنها تنظر إلى جحيم أسود.

«أنا أحاول أن لا أنظر إلى هذا الموضوع عن كثب،» اعترف سايمون وعلى وجهه تعبير من الغضب. «هامش صغير كهذا - بين أن أخسرك، وبين كوني سعيداً! ولكن كان هناك نار، وأنت أتيت. ربما لو لم تسمعي بالحريق، لكان القدر قد أحدث شيئاً آخر. من يدري؟ لدينا فرصة ثانية، هذا كل مايهم - لنغتنم هذه الفرصة ونجعل الأمور تسير، يا جولييت. لهذا السبب أريد أن أقوم باحتفال جديد - هذه المرة سيكون في الكنيسة، ليكون زواجنا مباركاً، سوف نقوم بشهر عسل في مكان رومنطيقي ونبدأ حياة زوجية صحيحة.»

أعجبتها الفكرة؛ فابتسمت، وبدأت فوراً تفكر ماذا سوف ترتدي عند مباركة الكنيسة - ليس اللون الأبيض، بل ثوب حريري مع أشرطة بلون الكريم تستطيع أن ترتديه في الحفلات مرة ثانية. كان عقلها منشغلاً، بتصور الأشياء، وتستطيع أن تصر على وجود أمها وجورجيو. وعندها يلتقي والدها بزوجته السابقة مرة ثانية - عندما تعيش هي وسايمون معاً، فهو لا يستطيع أن يتجاهل والدتها عندما تزورها، وحتى عندما يكون هناك أطفال فجولييت تعرف أنها سوف تحتاج إلى أن تكون والدتها إلى جانبها قدر الإمكان.

وقطبت جبينها وقالت: «سام... ماذا سوف أفعل بالنسبة إلى عملي؟»

«سوف نقرر شيئاً في هذا الصدد، أليس كذلك؟» قال ذلك بهدوء، فرفعت نظرها إليه واستراحت مرة ثانية، وابتسمت له.

سوف تكون هناك مشكلات؛ ولكنهما سوف يعملان على إنهائها معاً، وبطريقتهما. سوف يكون هناك حل، وسوف يجدانه - ولم يكن لديها شك في هذا الموضوع، أكثر مما تشك في حب سايمون لها. لقد كان كلامه في صلب الموضوع عندما قال إن القدر قد جمعهما - كل شيء كان يعني أن من المحتم أن يجتمعا، والآن بما انهما قد اجتمعا أخيراً فسوف يكونان قادرين على أن يجعلا الأمور تسير على طبيعتها.

تمت

www.rewty.com
عيون الهوى